النزعة الذاتية في الشعر الجاهلي

للدكتور عبد الغني زيتوني
جامعة حلب

نستدل من أشعار كثيرة على أن العربي ربط حياته بحياة القبيلة لشعوره بضرورة هذا الربط ، بل لعله كان مضطراً إلى هذا الربط لحاجته إلى العيش حياة جماعية في تلك المرحلة من حياته. أما فيما عدا ذلك فإنه يظهر في الشعر ذا شخصية متفردة ، وذات مستقلة ، وتفكير متميز ، وذلك من خلال حديثه عن حياته الخاصة ، وعن عواطفه الذاتية ، سواء أكانت تجاه قبيلته ، أم تجاه المرأة التي يحبها ، أم تجاه أصدقائه وخصومه .

وعلى ذلك فإن الشعر يصف لنا الإنسان العربي ذا نزعتين تتجاذبانه ، نزعة جماعية نحو القبيلة ونزعة فردية تجعله متميزاً من طغيان الروح الجماعية . وقد قوى هذا النزوع الفردي ماطُبع عليه العربي من حبّ للحرية ومن إباء نفس يجعلانه عسير الانقياد والخضوع فيما يتعلق بشؤونه الخاصة ، وإن كان على النقيض من ذلك فيما يتعلق بشؤون القبيلة .

وقد عبر الشعراء أنفسهم عن ذلك التجاذب النفسي ، الجماعي والفردي ، أفضل تعبير ، فلم يقصر الشاعر في القيام بواجبه نحو القبيلة ، ملتزماً بقضاياها والدفاع عنها ، كما أنه في الوقت نفسه ، لم يغفل عن دوافعه الشخصية ونوازعه الذاتية ، فكان شأنه شأن الفنان «الذي أقر رسالة اجتماعية مزدوجة ، رسالة مباشرة تفرضها حاضرة أو رابطة أو فئة اجتماعية معينة ، ورسالة غير مباشرة تفرضها تجربة هامة بالنسبة إليه»[1] .

وقد جُلِّيت هذه النزعة لدى الشعراء في الخروج على القبيلة ، راضين عن ذلك الخروج أو مضطرين اليه ، وفي تميّزهم الفردي وبروز ذواتهم بروزاً واضحاً ، وفي موقفهم من الأفراد الآخرين الذين تربطهم بهم روابط مختلفة .

١ ـ **الخروج على القبيلة :**

إن الشعر الجاهلي أبان لنا عن أن الحياة الاجتماعية التي كان يحياها الانسان العربي كانت تدعوه بإلحاح إلى التمسك بالنسب الذي هو بمنزلة «الهوية الشخصية» التي تميزه من بين أفراد القبائل الأخرى ، لذلك كان عليه أن ينهض بما تمليه عليه القبيلة من واجبات وحقوق ، لينال رضاها ، ويأمن في حمايتها ، ويعيش مطمئنا في ظلال جناحيها الوارفين .

بَيْدَ أن الشعر أوضح لنا أيضاً أن العربي قد يقف ، في بعض الحالات ، موقفا مغايراً للموقف السابق ، إما مدفوعا إليه بدافع ذاتي ، ينبع من قناعة فكرية معينة ، وإما أن تضطره القبيلة إليه اضطراراً . وقد أبرز الشعراء هذين الأمرين أكثر ما أبرزوهما في حالتين ، مثلت الأولى خلاف الفرد مع القبيلة ، ومثلت الثانية خلع القبيلة له .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ أولا ، الخلاف مع القبيلة :

يرينا الشعر أن الفرد يعيش في كنف القبيلة آمناً مطمئناً ، ما دامت تمد رعايتها عليه ، وتقوم بحماية أهله ومصالحه ، غير أنه قد يحدث أن يلحق الفردَ ضيمٌ في شخصه ، أو يناله غبنٌ في حقوقه ، ثم لا تقف القبيلة معه موقفا عادلاً ، من وجهة نظره ، بل لعلها قد تقسو عليه ، وتناصبه العداء ، من غير ذنب أو جريرة جديرين بهذا العداء بحسب رأيه . عند ذلك يصوره لنا الشعر ، في أغلب الأحوال وقد ثارت نفسه سخطاً وغضباً ، وتحرك إباؤه رافضاً متمرداً ، ومضى بأهله نازحاً عن ديار القبيلة .

بَيْدَ أن ذلك كله لا يدفعه إلى أن ينسلخ من انتمائه إلى قبيلته ، ولا يجعله يخلع نسبها عنه ، لأن التخلي عن النسب يعني الضياع في أرض غير آمنة وحياة غير مطمئنة . وقد عبر عن ذلك الموقف خير تعبير عمرو بن قَمِيئة الذي أبعدته القبيلة رغماً عنه ، فعانى ماعاناه من صراع نفسي يقوم بين حبه لقومه الذين دفعوه إلى النزوح عنهم ، وبين إبائه وكرامته وعزته التي أبت عليه أن يكون هدفاً لسهام الضغينة والحقد التي يرميه بها الكاشحون ، وفي نهاية الأمر انتهى إلى قرار يرضي إباءه ويحفظ عليه انتماءه ، إنه الفراق ، فهو الأجمل للبقاء على كرامة النفس ، وعلى النسب الذي كادت أواصره تتقطع[٢] :

على أنَّ قومي أَشْقَذُوني فأصبحتْ ... دياري بأرضٍ غير دانٍ نُبُوحُها
تَنَفَّذ منهم نـافِـذاتٌ فَسُؤنني ... وأَضْمَرَ أضغاناً عليَّ كُشُوحُها
فقلتُ : فِراقُ الدارِ أجملُ بيننا ... وقد ينتَئِي عن دارِ سَوْءٍ نزيحها
على أنني قـد أدعي بأبيهمُ ... إذا عَمَّتِ الدَّعْوَى وثابَ صريحُها

وعلى هذا الغرار ما حدث لزهير بن عَروة المازني ، المعروف بزهير السَّكْب ، وكان من أشراف قبيلته وفرسانها وشعرائها ، حين غاضب قومه

في شيء ذمَّه منهم ، وفارقهم إلى غيرهم من بني تميم ، فلحقه ضيم ، وأراد الرجوع إلى عشيرته فأبت نفسه ذلك عليه ، ونازعه الشوق اليهم ، فقال يذكر ناسا من بني عمه الأقربين ، يُدعون ببني حَنْبَل[٣] :

إذا اللهُ لم يَسْقِ إلَّا الكرامَ ... فَسَقَّى وجوهَ بني حَنْبَلِ
فَنِعْمَ بنو العمِّ والأَقْرَبُونَ ... لدى حُطْمَةِ الزمنِ المُمْحِلِ
ونعمَ المواسون في النَّائبا ... ت للجار والمُعتَفِي المُرْمِلِ
ونعمَ الحُماةُ الكفاةُ العظيْمَ ... إذا غائظُ الأمرِ لم يُحْلَلِ

وقد عكس الشعر أحيانا شعور الفرد بالندم بعد أن يفارق قومه مغاضباً لهم ، وكيف يؤنب نفسه . ويطامن من غضبها، ويرى أن إباءه الذي كان يشمخ بين جوانح القبيلة لا يكاد ينهض لدى الأقوام الذين يأوي اليهم . وقد انتاب مثلُ هذا الشعور البُرْجَ بن مُسْهِر الطائي ، وكان قد خرج على قومه ، وجاور بني كَلْب زمناً فلم يحمد جوارهم ، فندم وتحسّر على ما كان من تركه لقومه[٤] :

فَنِعْمَ الحيُّ كلبٌ غيرَ أنَّا ... رأينا في جِوارهمُ هَنَاتِ
تركنا قومَنا من حربِ عامٍ ... ألا ياقومِ للأمرِ الشَّتاتِ
وأخرَجْنا الأيامى من حصونٍ ... بها دارُ الإقامةِ والثَّباتِ
فإن نرجِعْ إلى الجبلَيْن يوماً ... نُصالحْ قومَنا حتى المماتِ

وربما صادف الفرد في قبيلته أموراً تخالف ما اعتاد عليه من قيم وأخلاق ، وتناقض ما يختزنه في فكره من صورة مثلى لها ، فتأبى عليه نفسه أن يقبل ما ينكره ، ولو كان صادراً عن القوم الذين يمجدّهم ، ويعلي من مكانتهم ، فإذا هو يثور في وجوههم ، ويعلن خروجه على نهجهم وسلوكهم ، على شاكلة لبيد بن ربيعة الذي عبر عن نزعته الذاتية التي ترفض كل ما من أن يشوّه صورة القوم في نفسه ، وذلك في قوله[٥] :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هُمُ قومي وقد أنكرتُ منهم شمائلَ بَدَّلوها من شِمالي
يُغارُ على البَرِيِّ بغيرِ ظلمٍ ويُفْصَحُ ذو الأمانةِ والدَّلالِ
وأسْرَعَ في الفواحشِ كلُّ طِمْلٍ يَجُرُّ المُخْزِياتِ ولا يُبالي
أطعتم أمرَهُ فَتَبِعْتُمُوهُ ويأتي الغَيُّ مُنْقَطِعَ العِقَالِ

ويرينا الشعر أن ثمة أمراً آخراً قد يحدث للفرد فتثور نفسه سخطاً وغضباً على قومه ، وهو أن تغير قبيلة عليه ، فتغنم منه ما تغنم ، فيطلب العون من قومه ، فيجدهم يتثاقلون عن نصرته ، إما إهمالاً وتحقيراً لشأنه ، وإما ضعفاً وجبناً منهم ، وفي كلتا الحالين فإنهم قد أخلوا بحقوقه ، وقصَّروا عما تتطلبه العصبية من نصرته والاقتصاص من المعتدين عليه .

ومن ذلك ما وقع لقُرَيْط بن أُنَيْف العَنْبَري ، إذ أغار عليه بنو اللَّقِيطة واستاقوا إبلا له ، فاستنجد قومه فلم ينجدوه ، واستنجد أقرباء بعيدين له من بني مازن فأنجدوه ، وأغاروا على بني اللَّقِيطة وأعادوا عليه أكثر من الإبل التي فقدها ، فقال يمدحهم ، ويذم قومه ، ويسخر منهم[٦] :

لو كنتُ من مازنٍ لم تَسْتَبِحْ إبِلِي بنو اللَّقِيطَةِ من ذُهْلِ بنِ شيبانا
إذاً لَقامَ بنصري معشرٌ خُشُنٌ عند الحِفيظةِ إنْ ذو لُوثَةٍ لانَا
قومٌ إذا الشَّرُّ أبدَى ناجِذَيْه لهم طاروا إليه زَرَافاتٍ ووحْدانا
لا يسألون أخاهم حين يَنْدُبُهم في النَّائباتِ على ما قالَ بُرهانا
لكنَّ قومي ، وإنْ كانوا ذوي عددٍ ليسوا من الشرّ في شيءٍ ، وإنْ هَانا
يَجزون من ظَلْم أهلِ الظلْمِ مغفِرةً ومن إساءةِ أهلِ السُّوءِ إحسانا
كأنَّ ربَّكَ لم يَخْلُقْ لِخَشْيتِه سواهمُ من جميع الناس إنسانا
فليت لي بهمُ قوماً إذا ركبوا شَنُّوا الإغارةَ فرساناً ورُكْبانا

لقد كادت أواصر القبيلة تتقطع في نفس قَرَيْط ، فإن أهم ما يربطه بقومه هو التآزر والتعاضد أمام الأخطار ، وها هوذا يتعرض لها فتتخاذل

القبيلة عن نصرته ، ويُهرع إلى قوم آخرين فينصرونه ويعيدون إليه إبله وماله . فكيف تتحقق المعادلة ؟ وما الموقف الذي تتخذه النفس من قوم أذاقوها مرارة الخذلان ، ومن قوم آخرين أذاقوها حلاوة الانتصار ؟ إنها لن تنسلخ من نسبها ، ولن تتبرأ من قومها ، لكنها تمور بأمنية وتجيش بحلم أن يتبدل قومها غير القوم ، فتنبعث فيهم الشجاعة بدل الجبن ، والكرامةُ بدل الذل ، ويحتذون حذو بني مازن في نجدتهم ومروءتهم .

وعرض الشعر أيضاً لحالات يرى فيها الفرد رأياً ، ويعتقد أن فيه نفعاً للقبيلة ، فينصح لها أن تتبعه ، لكنها تقف ، لأمر ما ، موقفاً رافضاً منه وتنهج نهجا مخالفا ، فإذا النفس تعلو بصوتها في وجه القوم ، تناقش وتجادل مسوغة ما ارتأته ، غير أن صوتها لا يلبث أن يتلاشى بين أصوات الجماعة المعارضة ، فتزجر صاحبها وتحضّه على التمرد ومفارقة القبيلة ، لكنه غالباً ما يأبى عليها ذلك ، ويتركها وهي تنطوي منه على يأس ممض ، ونجد صراعاً مماثلاً نشب في وجدان عامر بن الطفيل فعبّر عنه شعرا[٧] :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولـو أَني أُطِعْتُ لكـان مني لمُـدْرِكِ أَكلُبٍ يـومٌ طـويـلُ
ولكنّي عُصِيتُ وكـان جهـلا بهم ألاَّ يُبـالـوا مـا أقـولُ
يَلومُوني الذين تـركتُ خلفي ويَعصيني الـذين بهم أَصولُ

وعلى نحو مماثل نصح الكَلْحَبَةُ العُرَنيُّ قومه ، لكنهم أبو أن ينصاعوا لرأيه ، فحزّ في نفسه أن يذهب قوله هباء ورأيُه ضياعا[٨] :

أمرتُكُمُ أمري بمُنْعَرَجِ اللِّوى ولا أمرَ للمَعْصيِّ إلاَّ مُضَيَّعا
إذا المرءُ لم يَغْشَ الكَرِيهةَ أوشكتْ حبال الهُوَيْنَي بالفتى أنْ تَقَطَّعَا

ويؤكد لنا الشعر ، في قسم منه ، أن القبيلة ، مهما أظهرت من مخالفة لرأي الفرد وتفكيره ، تبقى مشدودة إليه بأسباب متينة ، ويبقى الفرد

يحاول جاهداً أن يكبح جماح نزعته الشخصية ، مغلباً عليها ما يجده في نفسه من نزوع إلى القوم . وإذا بدر منها ما يسيء إليه عدّه أمراً عارضاً ، ورأى أنها لا تلبث أن تثوب إلى رشدها ، وتكشف ما نزل به من إساءة . وذلك الموقف الذي يقفه منها يكون مدعاة إلى فخره الذاتي ، لأنه استطاع أن يحقق الموازنة بين طموحه إلى التميز والتفرد وبين الخضوع والانقياد للقبيلة ، على الرغم من أنها ، في نظره ، غير بعيدة عن الوقوع في مزالق الخطأ والجهل أحياناً .

نجد هذه الرؤية جلية واضحة لدى عِلْبَاء بن أَرقَم اليَشْكُريّ الذي أصلح ما فسد من أمر قبيلته ، وصفح عن جهلها وضلالها ، وأنار لها طريق الهدى والرشاد ، ولم يبخل على معوزها بالعطاء[٩] :

ولقد رَأَبْتُ ثَأَىٰ العشيرةِ بينَها وكفيتُ جانبَها اللُّتَيَّا واللَّتي
وصَفَحتُ عن ذي جهلها ورَفَدْتُهُ نُصْحِي ولم تُصِبِ العشيرةَ زَلَّتي
وكفيتُ مولايَ الأَحَمَّ جريرتي وحَبَسْتُ سائمتي على ذي الخَلَّةِ

وقلَّما تفاقم الشر بين العربي وقبيلته حتى أدى إلى التقاتل والاحتراب ، ويبدو أن ذلك لا يحدث إلا في حالات نادرة ، كأن يُقتل قريبٌ له ، فيرفض أن يأخذ ديته ، ولأمر ما ترفض القبيلة أن يُقاد من الفاعل ، ويُقتل لقاء ما جنت يداه . حينئذ تثور ثائرة الفرد غالباً ، ويفارق ديار القبيلة ، مضمرا العداوة والبغضاء لها ، لأنه يعدّها شريكة في الجريرة ، ويحاول الانتقام منها ما وجد إلى ذلك سبيلاً . وتمثل هذه الحالة حالة بَلْعاء بن قيس الكنانّي مع قومه ، فقد أبى أن يرضى بالعقل ، ويقبل بالدية ، ويصالح من أراقوا الدماء ، وإنما آلىٰ على نفسه أن ينتقم منهم أشد الانتقام برجال أشداء وفرسان أقوياء[١٠] :

يقولون : خُذْ عَقْلاً وصالحْ عشيرةً فما يأمروني بالهموم إذا أُمسي
فأقسمتُ لا أنفكُّ حتى أزورَهُمْ بِقُبٍّ كأمثالِ المُجَوَّعَةِ الغُبْسِ

وبذلك كان موقف الشعراء من قبائلهم التي خاصمتهم أو ناصبتهم العداء موقفاً ، فيه إباء شديد للضيم ، ورفض قوي للذل والهوان ، وقد برزوا من خلال أشعارهم أفرادا معتزين بأنفسهم ومفتخرين بكبريائهم . بَيْدَ أن ثمة أمراً جديراً بالاهتمام ، وهو أن الشاعر ، مهما تقلَّبت به أمور القبيلة وأحوالها ، ومهما خالفته في آرائه ، أو تقاعست عن نصرته ، أو ناصبته العداء ، يظل متصلا بأرومتها ، ومعلناً أن آصرته وشيجة فيها ، وأنه فرع من غصنها .

ـ ثانيا ، الخليع :

إذا كنا لا نكاد نجد في الشعر فرداً يعلن أنه تبرأ من نسب قبيلته ، أو أنه خلع انتماءها عنه ، في المقابل ، نجد إشارات كثيرة فيه ، تنطوي على أن القبيلة هي التي كانت تتبرأ من بعض أفرادها ، وتعلن خلعها لهم ، مما يؤدي إلى ضعف رابطتهم العصبية بها ، وظهور ذواتهم ظهوراً مميزاً تجاهها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقبل أن نبحث في الأشعار التي عرضت للخليع والخلع لا بد لنا من إيضاح صورتهما في الحياة الجاهلية ، إذ كان شائعا فيها أن تخلع القبائل أفرادها ، وذلك إذا وجدت أنهم غير جديرين بالانتساب إليها ، أو غير مؤهلين لأن تربطهم بعصبيتها . ولا تسلك هذا السلوك إلا إذا اضطرت إليه اضطراراً ، ورأت أنها لم تعد قادرة على تحمل المسؤولية تجاه الفرد الخليع ، وخاصة إذا كانت جرائره كثيرة ، ينوء كاهلها بحمل تبعاتها ، وتخشى أن تخوض بسببها معارك مع قبائل أخرى لا طاقة لها بها .

وكانت صورة الخلع تتم بأن تعلن القبيلة ذلك على رؤوس الأشهاد ، وتنادى بخلعه في المواسم ، لكي يعلم العرب جميعا أنها بريئة من أية جناية يرتكبها ، أو أية جريرة يقوم بها ، وهذا ما كانت تفعله قريش ، إذا كانت تكلف منادياً ينادي بأعلى صوته عن خلع الخليع ، وقد

يكتبون كتاباً يحفظونه عندهم ، أو يعلقونه في مكان عام ليقف عليه الناس . أما ما يقال عند الخلع فقد ورد أنهم كانوا يقولون : «إنا خلعنا فلانا فلا نأخذ أحداً بجناية تجنى عليه ، ولا نُؤاخَذُ بجناياته التي يَجنيها»[١١] .

ومعظم أولئك الخلعاء اتخذوا من الصعلكة نهجا لهم ، فالتقوا بذلك مع أولئك الذين ترفّعت القبائل عن إلحاقهم بنسبها من جراء شائبة تعترى أصولهم ، أو لسواد أتاهم من أمهاتهم اللواتي غالباً ما كنَّ من الإماء الحبشيات ، وقد دُعيَ هؤلاء الذين أتاهم السواد من أمهاتهم بالأغربة[١٢] ، فكانوا جميعاً يتكتلون في جماعات ، ويغيرون على القبائل وقوافلها ، فيغنمون ما يغنمون ثم يعودون لائذين بالجبال والشعاب ، قد جمعتهم وحدة الدفاع عن النفس بعد أن فقدوا وحدة الدم ووحدة الانتماء .

ولاريب في أن الحياة ضمن مجتمع قوامه القبيلة لم تكن تيسِّر للخليع أن يعيش في معزل عن الجماعة التي تقوم مقام القبيلة ، وخاصة إذا علمنا أن ثمة حاجة ملحة تدفع الضعفاء ، في مجتمع كالمجتمع الجاهلي يعتمد على القوة وأسبابها ، إلى التكتل والتجمع ، بغية إشباع غرائز مكبوتة لديهم ، تلتمس السيطرة عن طريق التكثر والتعدد .

وقد يسعى الخليع أحياناً للالتجاء إلى قبيلة أخرى طلباً لحمايتها والعيش في جوارها ، وكان بعض العرب يجير هؤلاء الخلعاء ، ويفخر بإجارته لهم ، لأن ذلك دليل على شرفه ونبله ، فضلاً عن شجاعته وقوته ، لما تتطلبه تلك الإجارة من حصانة وحماية تجاه أقوام ، قد يكونون ذوي قوة وعدد ، يطالبون بالخليع لجرائره فيهم ، وجناياته عليهم . وبلغ ببعض الأشراف الأمرُ أن جعل منزلاً خاصاً ينزل به أولئك الخلعاء فيضحون في جواره وحمايته ، كما كان من شأن الزُّبير بن عبد المطلب الذي كان له بمكة مكان خاص ينزل فيه الخلعاءُ[١٣] .

وقد ظهر من الخلعاء شعراء عبروا عن صدق مشاعرهم وعظيم امتنانهم تجاه من أجاروهم بعد طرد قبائلهم لهم . وكان من أبرز هؤلاء قيس بن الحُداديَّة الذي تبرأ منه قومه بنو خُزاعة وأشهروا خلعه بسوق عكاظ ، فلجأ إلى جوار بني عدي بن عمرو ، فآووه ، وأحسنوا إليه ، فقال يمدحهم ، واصفاً مروءتهم وشجاعتهم . ومقامَهم لديه مقام الأهل والأقرباء[١٤] :

جزى اللهُ خيراً عن خليعٍ مُطَرَّدٍ ... رجالاً حَمَوْهُ آلَ عَمرِو بنِ خالدِ
فليس كَمَنْ يغزو الصديقَ بنُوكِهِ ... وهمَّتُهُ في الغَزوِ كَسْبُ المَزَاوِدِ
وقد حَدَبَتْ عمرو عليَّ بعزِّها ... وأبنائها من كلِّ أروعَ ماجدِ
مَصاليتُ يومَ الرَّوْعِ كَسْبُهُمُ العُلا ... عِظامُ مقيلِ الهام شُعْرُ السَّواعدِ
أولئك إخواني وجُلّ عشيرتي ... وثَروتُهم والنصرُ غَيْرُ المُحارِدِ

وشبيه بهذا ما كان من شأن شَيْبان بن دِثَار النَّمَرِيّ الذي صوَّر لنا تصويراً بارعاً ما كان من طرد قبيلته له وخلعها إياه ، لجرائره فيها وجناياته عليها ، مما جعله طريداً مشرداً ، تتناوشه الهموم والأحزان ، فيبيت ليلة في أرق وسهد ، حتى إذا ما آواه الزِّبْرِقَان بن بدر ، ونشر عليه جناح الحماية والرعاية ، طابت نفسه ، واطمأن قلبه ، لأنه وجد فيها نعم المجير ونعم المغيث :[١٥]

فَمَنْ يك سائلاً عنّي فإنِّي ... أنا النَّمَريُّ جار الزِّبْرِقَانِ
طريدُ عشيرة وطريد حربٍ ... بما اجترمتْ يدي وجنى لساني
أبيتُ الليل أرقُبُ كلَّ نجمٍ ... حَلَلْتُ على المُمَنّعِ من أَبانِ
إلى بيت الأكارم من مَعَدٍّ ... مَحَلاً بيِّناً لِمَنْ ابتغاني

أمّا إذا استمر الخليع بارتكاب الجنايات ، في جوار القوم الذين التجأ اليهم ، فإنهم عندئذ يخلعونه هم أيضاً ، ويرفعون عنه حمايتهم ، ويعلنون ذلك على الملأ . ومصداق ذلك أن البَرَّاص بن رافع الكِنانيّ كان

قد خلعه قومه ، ونبذوه ، فالتجأ إلى جوار بني سَهْم ، «فعدا على رجل من هُذَيل ، فقتله ، فجاء بنو هُذَيل إلى بني سَهْم يطلبون بدم صاحبهم ، فقال بنو سَهْم : قد خلعناه وتبرأنا من جرائره ، فقالت هُذَيل : من يعرف هذا ، قال العاص بن وائل : أنا خلعته كما يُخلع الكلب ، فسكت الهُذليُّون ، ولم يروا وجه طلب»[١٦] .

وهذا الخبر يدلنا على الحالة السيئة التي يؤول إليها الخليع ، فحين يتبرأ منه قومه يضحي شريدا ، ينتقل في أحياء العرب بغية الحصول على جوار قوم ، فإذا حصل عليه فإن النظرة إليه تظل نظرة ازدراء ، ويظل جواره مرتبطا بأوهى الأسباب التي سرعان ما تنقطع أمام أية تجربة له .

ولئن كنا نرى في الشعر أن الذي ينتمي إلى أصل عربي عريق يناله ماينالاه من الذل والإهانة والتشرد ، إننا لنرى فيه أيضاً أن الخليع من أغربة العرب كان يحس بوطأة أشد وأقسى ، ويشعر بمرارة الخلع شعوراً متفاقماً .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولعل السُّلَيْك بن السُّلَكَة قد عبَّر لنا عن تلك الحالة حين صوَّر موقف فتاة كانت قد أعرضت عنه لما رأت من سواد بشرته ، ولما علمت من ضآلة نسبه ، وتخلي قومه عنه ، ورنت ببصرها إلى فتيان يزهون بجمالهم وحسنهم الوضاء ونسبهم العريق ، وتناست ما له من قوة وشجاعة تفوقان ما عند الآخرين[١٧] :

أَلاَ عَتَبَتْ عليَّ فصارمَتْنِي ... وأعجبها ذَوُو اللِّمَم الطِّوالِ
فإنِّي يابنةَ الأقوامِ أُربِي ... على فعل الوَضِيِّ من الرجالِ
فلا تَصِلِي بصُعْلُوكٍ نَؤُومٍ ... إذا أمسَى يُعَدُّ من العَيالِ
ولكنْ كلُّ صُعْلُوكٍ ضَرُوبٍ ... بنَصْلِ السيفِ هاماتِ الرجالِ

وإزاء الموقف السلبي الذي يقفه القوم والأفراد الآخرون من الخليع

أو الصعلوك ، يحاول في كثير من الأحيان ، أن يستبدل الشجاعة والبأس ، وخوض المهالك ، والتحلي بالمكارم ، بما وصم به من وصمة الخلع والطرد . وربما كان في قول تأبّط شرّاً ما يدل على هذه الرغبة[١٨] :

لكنّما عِوَلي ، إن كنتُ ذا عِوَلٍ ... على بصير بكَسْب الحَمْدِ سِبَّاقِ
سبَّاقِ غاياتِ مَجْدٍ في عشيرتِهِ ... مُرَجَّعِ الصوتِ هَدّاً بين أَرْفَاقِ
عاري الظَّنَابِيْبِ ، مُمْتَدٍّ نواشِرُهُ ... مِدْلاج أدهَمَ واهي الماءِ غَسَّاقِ
حمَّال ألويةٍ ، شَهَّادِ أنـديةٍ ، ... قَوَّالِ مُحْكَمَةٍ ، جَوَّابِ آفاقِ

فهو إذا أراد أن يأسى ، ويحزن ، ويبكي ، فإنما يفعل ذلك لأجل من يتصف بتلك الخلال الحميدة ، ويسعى جاهداً لاكتساب المعالي والأمجاد . وأغلب الظن أن تأبط شراً يرسم بهذه الأبيات لوحة لطموحة هو وشجاعته وسجاياه الفاضلة ، يغيب فيها ما اعتدنا عليه من فخر بالنسب إلى القبيلة ، والاعتداد بالانتماء إليها ، بل انه ليضاهي أقرانه ذوي النسب الصريح ، ويسبقهم إلى ارتياد الأمجاد .

هل نبالغ إذا قلنا بعد ذلك : إنه وجد البديل للقبيلة في هذه الشخصية التي يطمح أن يكونها ؟ وإنه وجد فيها ما يعوضه من حماية القوم ورعايتهم ، حين بث فيها من صفات الشجاعة والبطولة والفتوة ما يجعلها تمنع ذاتها ، وتجعل حياتها ملائمة لحياة الجاهلية بقسوتها وأخطارها ؟ بل إننا لانعدو الحق إذا عمَّمنا حالة تأبط شراً على معظم الشعراء الصعاليك الذين كادت أشعارهم تخلو من الإلحاح على ذكر النسب والفخر به ، كما هو معهود عند سائر الشعراء .

أما موقف الشاعر من قبيلته بعد خلعها له ، فإنه كان موقف الناقم الذي يتحيّن سانحة ينقضّ فيها للثأر منها ، والانتقام لِما لحقه من ضيم وإهانة ، ولعل في أخبار قيس بن الحُدادِيَّة خير دليل على ما ذهبنا اليه ، إذ يروى أنه ما كادت القبيلة تخلعه ، وتتبرأ منه بسوق عكاظ ، حتى شرع في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جميع شذّاذ من العرب ، وفتاك من الذين خلعتهم القبيلة أيضاً ، وأغار عليها بهم ، فقتل منهم من قتل ، وغنم إبلا ومالا[١٩] .

وقلّ أن نجد من الشعراء الخلعاء من يبقى محبّاً لقومه ، ميالاً إليهم ، على الرغم من طردهم له ، كما هو الشأن لدى السُّلَيْك بن السُّلَكَة الذي كان يتجنب الإغارة على قبيلته ، بل إنه كان في بعض الأحيان ، يحذّرها من إغارة الأعداء عليها[٢٠] .

وهكذا نجد أن الشعراء صوروا لنا الإنسان العربي في موقفه من القبيلة حريصاً كل الحرص على الأواصر التي تربطه بها ، حتى إنه لايتبرأ منها ، ولا يخلع نسبها عنه ، وان غبنته في حقوقه ، أو قست عليه ، أو سامته ظلما ، وناصبته عداء ، ولكنهم صوّروه أيضاً أبيّ النفس ، لاينام على ضيم القبيلة ، ولا يسكت عن هوانها ، فسرعان ما ينزح عن ديارها ، وينأى بعيداً عن منازلها ، وقد يبلغ به الأمر أن يتمرد عليها ، وينبذ طاعتها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بيد أن صورة الانسان في الشعر تبدو مغايرة في حالة خلع القبيلة له من نسبها ، وطردها إياه بعيداً عن حماها ، إذ يظهر ساخطاً عليها حينذاك سخطا كبيراً ، يجعله ، في كثير من الأحيان ، ينقلب عدواً ، يغير عليها ثائراً منتقماً ، لأنها ، بخلعه ، سحبت منه الجنسية القبلية ، وتركته بلا هوية يعرف بها ، وفي هذا مافيه من تأثير في حياته ضمن المجتمع القبلي ، ومن تأثير في نفسه ذات النوازع الفردية المستقلة .

٢ ـ التميّز الفردي :

إذا كان الإنسان العربي قد رفع قبيلته إلى الذروة في البأس والشجاعة والسجايا الحميدة ، وكاد صوته يتلاشى في صوت الجماعة ، فإنه في كثير من الأحيان شمخ بنفسه وتطاول بها حتى جعلها في منزلة تضاهي منزلة القبيلة ، إذ لم يدع صفة من صفات البطولة والفتوة إلاّ

ألصقها بها ، ولا خصلة من خصال النبل والشرف إلاّ جعلها مزّية من مزاياها .

ومن يتصفح الشعر الجاهلي يجده زاخرا بفخر الفرد بنفسه ، وإعلاء مكانتها ، ورفع شأنها غير أن هذا الفخر يتفاوت بين شاعر وشاعر ، فواحد ينخفض صوته حتى لا يكاد يبين ، وآخر يلعلع صوته مدوّيا حتى لا يُسمع أيُّ صوت سوى صوته .

وما يهمنا في هذا المجال هو الإشارة إلى ذلك الفخر الذي ينزع فيه الفرد إلى إبراز الذات وتضخيمها وإعلاء صوتها ، حتى ليطغى أحياناً على صوت الجماعة . ولنا في معلقة طرفة بن العبد خير شاهد على ماينبغي الإلماع اليه ، إذ إنّنا لا نجد فيها إلاّ نشيداً يتغنى بذات صاحبها ، في حزنها على الأطلال الدارسة ، وفي إشادتها بالفتوة والبطولة والخلال الحميدة ، وأخيراً في نظرتها المميزة إلى الحياة والموت .

وذلك كله يُعبَّر عنه بلغة ذاتية لا نرى فيها إلا ضمير المتكلم ، أو ما يعود إليه ، مما يجعل أبيات المعلقة مفعمة بروح طرفة ، والمعاني تدور في فلكه ، فلا نجد صوتاً غير صوته ، ولا رؤية غير رؤيته . فلا علينا بعد ذلك أن نعزو إليه تضخم الذات وطغيانها على كل شيء ما عداها ، ولنأخذ مثالا على ذلك[٢١] :

أنا الرجلُ الضّربُ الذي تعرفونه ... خَشاشُ كرأس الحَيّةِ المُتوقّدِ
فآليتُ لا ينفكُ كَشحي بِطانَةً ... لِعَضبٌ رقيقِ الشَّفرَتَينِ مُهَنَّدِ
فإنْ مُتُّ فانعيني بما أنا أهلَهُ ... وشقّي عليّ الجَيبَ يابْنَةَ مَعبَدِ
ولا تجعليني كامرىءٍ ليس همتُه ... كهمي ولايُغني غنائي وَمشهَدي
بَطيءٍ عن الجُلى سريعٍ إلى الخَنا ... ذليلٍ بأجماعِ الرِّجال مُلهّدِ
فلو كنتّ وَغْلا في الرجالِ لضّرني ... عداوَةُ ذي الأصحابِ والمُتَوَحِّدِ
ولكن نَفَى عني الأعاديَ جُرأَتي ... عليهم وإقدامي وصدقي ومَحْتِدي

لعمَـركَ ما أمـري عليَّ بغُمَّـةٍ نهاري ولا ليلي علي بسَرَمَدِ

إنّ القبيلة لا تغيب عن أبصارنا ، إنها موجودة نلمسها بأيدينا ، فهو موجود بين المجموع ، لكن الذي غاب حقّاً هو صوتها ، فقد تلاشى هباء ولم يبق إلا دويّ نفس متوثبة بذكائها وفتوتها . لقد صغرت الجماعة وتضاءلت بعد أن طغت عليها فردية الشاعر التي لم تر في الآخرين إلا شخصها وسجاياها وخلالها ، واختصرت الحياة فلم تعد إلا حياة واحدة تدور رحاها حول محور واحد هو محور الشاعر .

وعلى هذا الغرار من الفخر الذاتي وطغيان الروح الفردية ما نجده في معلقة عنترة بن شداد الذي كان مشغولا بعواطفه تجاه محبوبته ، ومهتما بخوض المعارك والحروب ، فعلا صوت الحب والحماسة في قصيدته على كل صوت ، وكأنه حين شعر بوهن العصبية القبلية التي تشده إلى قومه ، لِما يعترى أصله من ضعف برز في سواده ، حاول أن يسد الفراغ بقوته وشجاعته ، فإذا شعار القبيلة في الحرب وصيحتها قد تحول من المناداة باسمها إلى المناداة باسمه هو[٢٢] :

لمَّا رأيتُ القوَم أقبل جمعُهم يتذامرون كررتُ غَيْرَ مُـذَمَّمِ
يدعون عنتـرَ والرِّمـاح كأنهـا أشطانُ بئرٍ في لبانِ الأدهمِ
مـازلتُ أرميهم بغُـرَّةِ وجهــه ولَبَـانِهِ حتى تسـربَلَ بـالـدَّمِ
ولقد شفى نفسي وأبرأ سَقْمها قِيلُ الفوارسِ : ويكَ عنترَ أَقْدِمِ

ولئن كان العربي يستظل بحماية القبيلة ، ويلجأ لائذاً بقوتها ، ويفتخر بتلك القُوة ، ويغلوا أحياناً فيجعل منها أشد القبائل بأساً وهيمنة ، لقد كان أيضاً يفخر ببطولته وشجاعته وذوده عن حياض القبيلة وحماها . ولا نغلو إذا قلنا إنه في بعض الأحيان كان يزعم أن قومه يستظلون بحمايته ، ويأوون لائذين بقوته ، ليدفع عنهم بأس الأعداء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد زعم ذلك الزعم قُطبة بن الزِّبَعْرَى ، فهو لم يقتصر على حماية القبيلة فقط ، وإنما ذاد أيضاً عن مواليها ومن لاذ بجوارِها[٢٣] :

حَمّيتُ القوَم قد علمتُ مَعَدٌّ ومَنَ للقوم من مولى وجارِ
حَبَوْتُ بها قُضاعَةَ إنّ مثلي حَقيقٌ أنْ يَذُبَ عن الذِّمارِ
ولستُ كمن يُغمّزُ جانباه كغمز التينِ تجنيه الجواري

وعلى نحو مماثل نجد في الشعر صوت عامر بن الطفيل مدويا ، يفخر بإفراد جناحيه على قبيلته ورعايتها وصونها من اعتداء المعتدين وأذى الطامعين[٢٤] :

إنّي وإنْ كنتُ ابن سيّدِ عامرٍ وفارسَها المندوبَ في كلِّ موكبِ
فما سوَّدتّني عامرٌ عن وراثةٍ أبى اللهُ أنْ أسمُوْ بأمٍّ ولا أَبِ
ولكنّني أحمي حِماها ، وأتّقي أذاها ، وأرمي مَنْ رماها بمَنْكبِ

إذا فليست الوراثة هي التي سوّدته ، وليست مجاملة القبيلة لشرف للآباء والأجداد هي التي جعلته سيداً لها ، وإنما شخصيته المميزة ، وشجاعته الفائقة ، وشمائله الحميدة ، هي التي صيرته قائداً ، يذود عن حمى القبيلة ، ويرمي أعداءها بسهام بأسه وشدته .

ويرينا الشعر أن الفخر بالنفس قد يبلغ ، أحياناً ، أقصى الغايات ، فيجد الشاعر أن ذاته تمور بأماني وأحلام تكاد تتجاوز الواقع محلقة في أجواز الخيال ، بَيْدَ أنها تتمثل في ذهنه بالسمو والرقي وبلوغ الأمجاد ، كما يبدو التعبير عنها جلياً لدى العبَّاس بن مِرداس حين قال[٢٥] :

أنا الرجلُ الذي خُدِّثْتَ عنه إذا الخَفِراتِ لم تَسْتُر بُرَاها
أَشدُّ على الكتيبة لا أبالي أَفيها كان حتفي أم سواها؟
ولي نفس تتوق إلى المعالي سَتُتلفُ أو أُبَلِّغَها مُناها

ألا يحق لنا أن نقول إن الشاعر قرن وجوده بالمعالي والأمجاد ، ورأى أن عليه إدراكها ونيلها ، وإلا فالأحرى به أن يموت ويتلاشى في غياهب العدم .

وعلى ذلك نجد أن شعراء كثيرين أبرزوا ذواتهم متميزة ، ففخروا بسجاياها وخلالها ، واعتدّوا بقوتها وفروسيتها ، كما عبَّر بعضهم في شعره عن منازع شتى انفعلت بها نفسه ، وعن طموحات وأماني رغبت في تحقيقها . وذلك كله يبيّن لنا أن الروح الجماعية لم تكن تمنع النزعة الفردية من أن تظهر بين حين وآخر لدى الإنسان العربي .

٣ ـ الموقف من الأفراد :

إذا كانت نزعة الإنسان الفردية قد أظهرها لنا الشاعر جلية في تمرده على القبيلة ، وفي فخره النفسي ، فإنه يظهرها لنا أيضاً في مواقفه من الأفراد الآخرين وعلاقاته الشخصية بهم ، بعيداً عما تقتضيه العصبية القبلية ، وعما يتطلبه الانتماء إلى القوم . ولعل تلك المواقف والعلاقات وما تثيره من مشاعر شتى وأحاسيس متنوعة في نفس الشاعر قد برزت في الشعر أكثر ما برزت في حبه للمرأة ، وفي نظرته المثالية إلى الصديق ، وفي سخطه الشديد على الخصم .

ـ أولا ـ المرأة المحبوبة :

من يبحث في الشعر الجاهلي يجده زاخراً بالغزل الذي يعبّر عن ميل الشاعر إلى فتاة قد أسرته مفاتنها ، ورهنه جمالها ، وبهرته محاسنها ، فإذا هو حريص على عرض المفاتن والمحاسن والجمال في دقة وتفصيل ، وربما كان حرصه على رسم تلك الأوصاف الحسية يعود إلى رغبته في التدليل على أنها جديرة بأن يقف فنه الشعري عليها ، وأن تأخذ من غزله ونسيبه النصيب الأوفر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولا ريب في أن الشاعر الجاهلي لم يكن دائما يتغزل بمحبوبة معينة ، أو ينسب بفتاة معروفة ، يمحضها الودّ والصفاء ، وإنما كان يجري ، أحياناً ، على تقليد فني سار عليه الشعراء من قبله ، ولهذا وجدنا حرارة الحديث في الشعر ترتفع حينا حتى يسعر ضرامه ، وتنخفض في أحايين حتى تذَوى وتنطفى وتتلاشى في ألفاظ موشّاة ، عارية من أي إحساس ، وبريئة من أي شعور .

ونحن ، في هذا المجال ، نبحث عن تلك المواقف التي تعكس ذاتية الفرد بكل حرارتها وصدقها تجاه المحبوبة ، لنستطيع من خلالها أن نتبيّن شخصيته المتفردة ، وأن نستطلع نزوعه الذاتي المميز . وسنجد أن ذلك جلّي خاصة في حديث الشاعر عن عواطفه تجاه المرأة مباشرة ، وفي حديثه عن طيفها الذي يلازمه في حلّه وترحاله .

فمن الشعراء الذين بدت عواطفهم تجاه المحبوبة حارة مميزة المرقّش الأكبر حين باح للفن الشعري بما يكنّه قلبه ، وبما تخفيه جوارحه من هيام شديد ، وحبّ جارف ، ينزعان به نحو أسماء التي تيّمته بهواها ، وشغلت نفسه بغرامها[٢٦] :

أغالبُكَ القلبُ اللجوحُ صَبابةً ... وشوقاً إلى أسماءَ أم أنت غالبُهْ
يَهيمُ ولا يَعيا بأسماءَ قلبُهُ ... كذاك الهوى إمرارُهُ وعواقِبُهْ
أَيُلْحَى امرؤ في حب أَسماءَ قد نأى ... بغَمز من الواشين وازوَرَّ جانِبُهْ
وأسماءُ هَمُّ النفس، إن كنتَ عالماً، ... وبادي أحاديثِ الفؤادِ وغائبُهْ
إذا ذكرتْها النَّفْسُ ظِلْتُ كأنَّني ... يُزَعزِعُني قَفْقَافُ وْردٍ وصالِبَهْ

ويكاد الأعشى يقترب من المرقّش في بعض أحاديث الغزل الكثيرة ، وذلك حين يعرض عن الغوص والتدقيق في أوصاف الجسم ، ليعبّر عن منازعه الذاتية ومشاعره الوجدانية ، من ألم العشق ، وأسى الهيام وحرارة القلب وصبابته[٢٧] .

وقد يصور الشاعر ماينتابه من مشاعر عندما تعصف رياح الفرقة بينه وبين محبوبته ، كما هو الشأن لدى قيس بن الحُداديَّة الذي فجأه رحيل محبوبته «نعم» فانبرى يرسم لوحة شعرية ، مضمنا إياها ما شعر به من هموم وأحزان ، وما تعاور قلبه من لوعة وأسى ، وما انتابت عيونه من عبرات حرّى لوشك البين وألم الفراق[٢٨] :

وما خِلْتُ بَينَ الحيِّ حتى رأيتُهمْ ... بِبَيْنُونةِ السُّفلَى وهَبَّتْ سوافِعُ
كأنَّ فؤادي بين شَقَّين من عَصا ... حِذارَ وقوعِ البَيْن والبَيْنُ واقعُ
يَحُثُّ بها حادٍ سريع نَجَاؤه ... وَمُعْرًى عن الساقَيْن والثَّوبُ واسِعُ
قلتُ لها : يانُعْمُ حِلِّي مَحَلَّنا ... فإنَّ الهوى ، يانُعْمُ ، والشَّملُ جامِعُ
فقالتْ ، وعيناها تَفِيضانِ عَبْرَةً : ... بأهلي بَيِّنْ لي متى أنت راجِعُ؟
فقلتُ لها : تاللهِ يَدري مسافرٌ ... إذا أضمرتهُ الأرضُ : ما اللهُ صانعُ؟
فَشَدَّت على فيها اللثامَ وأعرضتْ ... وأمعنَ بالكُحّل السّحيقِ المَدامِعُ
وإنّي لعهدِ الوُدِّ راعٍ وإنَّني ... بوصلكِ ، مالم يَطْوِني الموتُ ، طامِعُ

ويبيّن لنا الشاعر في موطن آخر من شعره أن قلب الفرد يظل عالقا بأسباب الهوى ، إذا ماشطّ المزار بالمحبوب ، وشحطت به الديار ، وتظل النفس تنزع نحوه صبابة وتلهفا ، كلما عنَّ ذكره في الخيال[٢٩] .

ولعل ذات الشاعر تضحي أشد بروزاً ، في هذا المجال ، حين ترفض أن تخضع خضوعا تاما للمرأة المحبوبة ، وكذلك حين تطالبها بأن تقف موقفا يحقق رغبات الشاعر من العلاقة القائمة بينهما ، وذلك على غرار ما نجده لدى المُثَقِّب العبديّ في موقفه من صاحبته عندما همّت بالفراق[٣٠] :

أفاطِمُ قبلَ بَينِكِ متِّعيني ... ومنعُكِ ما سألتكِ أن تَبيني
فلا تَعِدي مواعدَ كاذباتٍ ... تمرُّ بها رياحُ الصيفَ دوني
إذاً لَقَطَعتُها ولَقلتُ : بِيني ... كذلك اجتوى مَنْ يَجْتوِيني

ويؤكد لنا عدد من الشعراء أن النزوع الفردي نحو المرأة المحبوبة يظل حاراً قويا ، على الرغم من فراق الشاعر لمحبوبته ، وامتناعه عن مشاهدتها ، ذلك أن علاقته الحميمة بها تجعل المخيلة تورد على الذهن ذكريات الأمس الحافلة باللقاءات ، فإذا طيف الحبيب يحوم مرفرفا في الحُلم ، وإذا الشاعر أحياناً ، لا يكاد يميّز بين الخيال والواقع .

ومصداق ذلك ماصوّره لنا المرّقش الأصغر في شعره من مجيء طيف محبوبته إليه في النوم ، حتى إنه التبس عليه الأمر ، وظنّ الحُلم حقيقةً ، ووصال الخيال واقعاً محسوساً[٣١] :

أَمِنْ بنتِ عَجْلانَ الخيالُ المُطَرَّحُ ... أَلَمَّ ، وَرَحْلي ساقطٌ مُتَزَحْزِحُ
فلمَّا انتبهتُ بالخيال وراعَني ... إذا هو رَحْلِي والبلادُ تَوَضَّحُ
ولكنَّه زَوْرٌ يُسيقِّظُ نائما ... ويُحدثُ أشجاناً بقلبك تَجْرَحُ
بكلِّ مِبيت يَعتَرينا ومنزلٍ ... فلو أنَّها إذْ تُدْلِجُ الليلَ تُصبحُ
فولَّت وقد بثَّتْ تباريحَ ماتَرى ... ووجدي بها إذْ تُحْدِرُ الدَّمعَ أَبْرَحُ

لقد نبَّه طيف الحبيب الشاعر فثار به وثار عليه، فقد رغب فيه لأنه خيال المحبوب وصورته ، ورغب عنه لأنه خيال باطل سريع الزوال ، وكم تمنى لو أنه استمر حتى الصباح جسداً يلمسه ويعانقه ، إنه قد أهاج شوقه الساكن ، وأضرم وجده الخامد ، وذكّره بساعة الفراق ، فانبثق الجرح بالدم ثانية .

وشبيه بذلك ما فعله الطيف بطرفة بن العبد حين قطع البيد والمفاوز اليه فهيّج حبه وأشجانه[٣٢] ، وكذلك ما أحدثه خيال سلمى بالمُرقِّش الأكبر بين أصحابه الهجود[٣٣] . أما سويد بن أبي كاهل اليشكري فكان إذا اعتاده خيال المحبوب امتنع عليه النوم ، وبقي ليله كله مسهداً أرقاً[٣٤] . وكان الشعراء تجاه طيف الحبيب ما بين راضٍ به سعيد بقدومه ، وبين ساخط عليه ، لأنه زور باطل يبعث الأشجان ، ويسعر نيران الحب الخامدة[٣٥] .

فموقف زهير بن جَناب الكلبي من الطيف كان موقف الراضي به ، فقد تلقاه متلهّفا مرحّبا ، لأنه حظي بلقاء من غير موعد ، على بعد الديار وشحط المزار . وعلى الرغم من أنه كان متعجبا من قطعه المفاوز والفلوات فإنه أسرع إلى اغتنام زمن اللقاء والعيش لحظة الاتصال ، فإذا الحلم يختلط بالواقع ، وإذا الخيال يصبح شخص المحبوب مجسداً ، فيبتسم له ويرد على تحيته ، ويكاد الشاعر يغيب في نشوة الوصال الحقيقي ، لولا أنّ المحبوب قد ابتعد سريعا ، وقطع الحلم ، وترك أمنية الوصال عالقة بنفس الشاعر[٣٦] :

أَمِنْ آلِ سَلْمَى ذا الخيالُ المُورِّقُ ... وقد يَمِقُ الطيفَ الغريبُ المشوَّقُ
وأَنّى اهتدتْ سَلْمَى لوجهِ محلِّنا ... وما دونها من مَهْمَهِ الأرضِ يَخْفِقُ
فلم ترَ إلّا هاجعا عند حَرَّةٍ ... على ظهرها كُورٌ عتيقٌ ونُمْرَقُ[٣٧]
فلما رأتني والطّليحَ تبسمَّتْ ... كما انهلّ أعلى عارضٍ يتألّقُ
فَحُيِّيتِ عنّا زودينا تحيَّة ... لعلَّ بها العاني من الكَبْلِ يُطْلَقُ
فردَّتْ سلاما ثم ولَّتْ بحاجةٍ ... ونحن لَعَمْري يابنةَ الخير أشوقُ
فياطِيبَ ماريًّا ويا حُسْنَ منطقٍ ... لهوتُ به لو أنَّ رؤياكِ تَصْدُقُ

وقد عبّر مالك بن حرِيم الهمدانّي في شعره أيضا عن الرضا بخيال المحبوب ، وعن أمنيته في أن يكون حقيقة ينعم بوصاله[٣٨] .

وبذلك نجد أن الشعراء عبروا لنا عن موقف الإنسان الذاتي من المرأة المحبوبة ، فصوروا لنا مايجيش في النفس من مشاعر الحب والهيام ، وما يعتريها من ألم البعد وحسرة الفراق ، مبينين أن طيف المحبوبة يبقى ملازما الذهن ، ومستحوذاً على الخيال ، بسبب تلك العاطفة القوية التي تشدهما إليها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ ثانيا ، الصديق :

إنّ أبرز مظاهر النزوع الفردي ، كما نتبيّنه من الشعر ، هو موقف الإنسان العربي من الصديق ، سواء أكان من القبيلة أم من غيرها . ويبدو ذلك النزوع واضحا لدى الشاعر حينما نراه يرسم صورة مثلى للإنسان الذي يتخذه صديقا ، فإذا هو الإخلاص عينه والوفاء ذاته ، يعادي من يعاديه ، ويسالم من يسالمه ، وإذا ألمَّ به سوء ، أو حاق به مكروه ، حنا عليه مواسيا ، وماسحا الدموع ، ومانحا الأمل الوضاء . ولعل لنا في قول ربيعة بن مقروم الضَّبّي أفضل تعبير عن تلك الصورة[٣٩] :

أخوك أخوك مَنْ يدنو فتدنو ... مودَّتُهُ وإنْ دُعي استجابا
إذا حاربتَ حاربَ مَنْ تُعادي ... وزادَ سلاحُهُ منك اقترابا
يُواسي في الكريهة كلَّ يومٍ ... اذا ما مضْلِعُ الحَدَثَانِ نابا

ويرى بعض الشعراء أن سعي الصديق لعون صاحبه لا يقتصر على الخطوب والملمات ، وإنما يكون سعيه أيضاً في السلم والرخاء ، وهذا ما كان من رؤية امرىء القيس الذي وجد في صديقه الخليل والرفيق ، والسامرَ والنديَم ، والساقيَ والمفاكهَ ، كما وجد فيه خلالا نبيلة ، وشمائل فاضلة ، تجعله كريم العطاء ، برّاً بالأصدقاء ، وفيّا لهم وفاء ما بعده وفاء[٤٠] :

لَعَمْرُكَ ماسَعْدُ بخُلَّةِ آثِم ... ولا نَأنَا يومَ الحِفاظِ ولا حَصِر
يفاكُهنا سَعدٌ ويغدو لجمعنا ... بمَثْنى الزِّقاقِ المُتْرعاتِ وبالجُزُرْ
لَعَمُري لَسَعْدُ حيث حَلَّتْ ديارُهُ ... أَحبُّ إلينا منك مافَرَسٍ حَمِرْ
وتعرفُ فيه من أبيه شمائلا ... ومن خالِهِ ومن يزيدَ ومن حُجُرْ
سماحة ذا وبرٌّ ذا ووفاءَ ذا ... ونائل ذا ، إذا صحا وإذا سَكِرْ

ويبدو أن النزعة الفردية نحو الصديق لدى الشاعر تغدو أكثر وضوحا وجلاء حينما تتخطّفه المنيّة ، وتنتشله من بين إخوانه ، وتترك صاحبه ملتاع

الفؤاد ، محزون النفس ، باكي العين على نحو مانجده لدى أبي خِراش الهُذَليّ الذي فقد خليله ، فهلع قلبه حزنا وألما ، وتفجرت العبرات من عينيه لوعة وأسى ، فلمَّا شحّت ونضبت ردفتها الدماء بكاء ونشيجا ، ونهشت الهموم والأحزان الجسم فصيرّته هزيلا ضئيلا ، وانحنت على العظم فرقّ ووهن ، وقد زاد في الحسرة عليه واللوعة له أنه مات في شرخ الصبا وعنفوان الشباب ، فانقطعت العلاقة به مبكرة ، وغابت صحبته في زهوها وغضارتها[٤١] :

أَرِقْتُ لهمٍّ ضافني بعد هَجْعَةٍ ... على خالدٍ فالعينُ دائمةُ السَّجْمِ
إذا ذَكَرَتْه العينُ أغرقَها البُكا ... وتَشْرَقُ من تَهْمَالها العينُ بالدَّمِ
فباتتْ تَراعي النَّجْمَ عينٌ مريضةٌ ... لِما غالَها واعتادَها الحُزْنُ بالسَّقْمِ
وما بعد أَنْ قد هدَّني الدَّهرُ هدةً ... تَضَالَ لها جسمي ورقَّ لها عَظْمي
أتتْهُ المنايا وَهْوَ غَضُّ شبابُه ... وما للمنايا عن حِمَى النفسِ من عَزمِ

وذهب بعض الشعراء إلى أن الأصدقاء لاتصفو من تهم دائما ، فقد تبدّلهم الأيام وتغيّر من سجايهم وخلالهم ، فيُظهرون خلاف مايبدون ، مما يجعل الإنسان يقف منهم موقف المتردد الشاك ، متسائلا : أهم أحباب خلان أم إنهم قد ارتدوا ثوب الرياء والنفاق ؟ وذلك كله يَظهر لدى الشاعر نزعةً ذاتية خالصة ، تنبعث من نفس حائرة تهفو إلى معرفة حقيقة الصديق معرفة تامة .

وآية ذلك ما نجده لدى سُوَيْد بن صامت الذي تكونت لديه رؤية خاصة من تجربته مع الأصدقاء ، عبّر عنها في قوله[٤٢] :

أَلا رُبَّ مَنْ تدعو صديقا ، ولو تَرى ... مقالتَه في الغيبِ ساءكَ ما يفري
مقالتُهُ كالشَّهدِ ما كان شاهداً ... وبالغيبِ مأثُورٌ على ثُغْرَةِ النَّحْرِ
يَسُرُّكَ باديهِ وتحت أديمهِ ... نَمِيمَةُ غِشٍ تبترِي عَقَبَ الظَّهْرِ
تُبينُ لك العينانِ ما هو كاتِمٌ ... من الغِلِّ والبغضاءِ بالنَّظَرِ الشَّزْرَ

وكان المُثَقِّب العبدي قد رفض الغوص في متاه الحيرة ، وأبى الترجّح بين الشك واليقين تجاه الصداقة ، ولم يقبل حداً وسطاً فيها ، فإمّا صداقة خالصة بريئة من الرياء والنفاق ، وإمّا عداوة جلية تدفعه إلى الحذر ، اتقاء للشر ودفعاً للأذى[٤٣] :

فإمَّا أنْ تكونَ أخي بحقٍ فأَعرفَ منك غَثِّي من سَمِيني
وإلا فاطَّرِحْني واتَّخِذْني عدوّاً اتَّقيكَ وتتَّقِيني

وقد يقف الشاعر موقفاً أقل حدة من الموقف السابق ، فيرى أن الخلق الكريم والسجايا الفاضلة تحتم على المرء أن يظل محافظاً على ود الصديق ، مهما تغيرت به الأحوال ، لأن المعوَّل عليه هو لا الصاحب في الإبقاء على الصداقة خالصة نقية ، على نحو ما عبر عنه حاتم الطائي حين قال[٤٤] :

اللهُ يعلَم أنِّي ذو محافظةٍ ما لم يَخُنِّي خليلي يبتغي بدلا
فإنْ تَبَدَّلَ ألفاني أخائِقَةٍ عَفَّ الخليقةِ لانِكْسا ولا وكِلا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولعل أغلب الشعراء في حديثهم عن الصداقة والصديق لم يكونوا يبتعدون عن المواقف السابقة ، فكان أبو دواد الإيادي يرى رأي حاتم الطائي في الصداقة ، فهو يحافظ عليها في أحواله كلها ، حتى إنه يؤثر صديقه بالماء في حالة الظمأ ، ويغدق عليه بالأموال ، ويرفعه إلى المكانة العليا في حالتي الأمن والسلم[٤٥] . بيد أن سلامة بن جندل كان يقترب من موقف المُثَقِّب تجاه الصديق ، فهو ، على الرغم من تحمله لصديقه ، ومايبدر عنه من حقد وعداوة ، لا يرضى لنفسه أن يخدع الصاحب أو أن يخادعه ، فيبادر إلى المجاهرة ومباداة الشر بمثله[٤٦] .

وفضلاً عما مر بنا فقد حفلت داووين الشعر الجاهلي بمديح الشعراء الذي يعبر عن موقف الشاعر من الممدوحين : إمّا إعجاباً ذاتياً بهم ، وإمّا

تسجيلاً لمآثر قاموا بها ، وإمّا رهبة وخوفاً من بطشهم ، وإمّا رغبة في نوالهم وعطاياهم . ولنا في دواوين النابغة وزهير والأعشى خير مثال على ذلك . بيد أننا اهتممنا ، في هذا المجال ، بالمواقف التي تبرز فيها ذات الفرد بروزاً مميزاً ، نلمح فيها شخصيته المتفردة بسماتها الواضحة وخصائصها البيّنة ، بعيداً عن أية مؤثرات أخرى ، كأن يمدح الشاعر عرفانا لجميل أسداه الممدوح للقبيلة ، أو رغبة في المكافأة والعطاء ، أو توقياً لشر متوقع منه ، وفي معظم تلك الأحوال يكون موقف الفرد غالباً موقفاً آنياً أو محدداً بوقت معين ، بخلاف الموقف من الصديق الذي يمتد إلى زمن طويل ، قد يشمل العمر كله .

- ثالثا ، الخصم :

إذا كان موقف الشعراء من الأصداء يُعَدُّ مجلىً للنفس ونزوعها الذاتي لديهم ، فإن موقفهم من الخصوم يعدُّ مظهراً آخر لذلك النزوع ، يمثّله ماياندفعون إليه من هجاء لأولئك الخصوم ، سواء أكانوا من القبيلة أم من غيرها ، وسواء أكان ثمة عداء وحروب بينهم وبين خصومهم أم لم يكن ، لأن الشاعر غالباً ما يعبر ، في هذا المضمار ، عن شعور شخصي وإحساس فردي تجاه الخصم .

ولاريب في أن الشعر هو السلاح النافذ الذي ما إن يطلق حتى تسعى به الركبان ، ويتجاوب صداه في أحياء العرب ومجالسهم وأسواقهم ، ولهذا كان وقع الهجاء في نفس الخصم شديداً ، ووخزه لها أليماً . فإذا ما وقعت الواقعة ، ولحقت بالشاعر إساءة شديدة من امرىء ما ، فإنه يتميز غيظاً ، ويفور حنقاً ، ويصرخ في نفسه الغضب ، فإذا هو قد أخذ للأمر عدته ، وتهيأ للتعبير عما يجيش في داخله بألفاظ وتعابير لا تقل شأناً عن اللعنات التي تحيق بالمرء ، فتصيبه بضروب من الأذى والشرور .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فمن ذلك ما كان من أمر الأعشى مع عُمَيْر بن عبد الله الذي ناصبه عداء ، وراش له سهاماً من الأكاذيب والافتراءات رماه بها ، فثار سخط الشاعر وانبرى يرد الكيد بكيد مثله ، مصوّرا ما كان منه من عداء لاسبب له إلّا الحقد والضغينة ، مما أثر في نفسه ، وجعله يقسم أغلظ الأيمان ليصِمَنَّه بهجاء ينال منه نيلاً ما بعده نيل ، ويجعله يندم ندما شديداً على ما فرّط في جنب الشاعر[٤٧] :

أراني بريئاً من عُمَيْر وَرْهطِهِ ... إذا أنت لم تَبْرَأْ من الشَّرِّ فاسْقَمِ
إذا مارآني مقبلاً شامَ نَبْلَهُ ... ويرمي ، إذا أدبرتُ ظهري ،بأسهُمِ
على غير ذنبٍ غيرَ أنَّ عداوةً ... طَمَتْ بكَ فاستأْخِرْ لها أو تقدَّمِ
وكنتُ إذا نفسُ الغَوِيِّ نوت به ... صَقَعْتُ على العرنينِ منه بِمِيسَمِ
حلفتُ بربِّ الرَّاقصاتِ إلى مِنًى ... إذا مَخْرَمٌ جاوَزْنَه بعد مَخْرَمِ
لئنْ كنتَ في جُبٍّ ثمانين قامةً ... ورُقِّيتَ أسبابَ السماءِ بسُلَّمِ
لَيَسْتَدْرِجَنْك القولُ حتى تَهِرَّهُ ... وتعلمَ أنِّي عنك لستُ بمُلجَمِ
وتَشْرَقَ بالقولِ الذي قد أذَعتَهُ ... كما شَرِقَتْ صَدْرُ القناةِ من الدّمِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وشبيه بهذا ما فعله ربيعة بن مَقْروم بخصمه ، الذي كان يغلي صدره بمراجل العداوة والبغضاء له ، فصده عنه ، ووسمه بسمة من الذل ، ظلت لاصقة بجبينه، تدل عليه أبدا[٤٨] :

وألَدَّ ذي حَنَقٍ عليَّ كأنما ... تَغْلي عَداوةُ صدرِه في مِرْجَلِ
أرْجَيْتُهُ عنِّي فأبصرَ قَصْدَهُ ... وكَوَيْتُهُ فوقَ النواظرِ من عَلِ

فلا غرابة بعد ذلك أن بعدَّ العربي الهجاء وصمة تلحق العار بمن تُلصق به ، بل هو دنس ورجس يلطّخان سمعة المهجو ، فلا يستطيع إزالتهما وتطهيرهما ، مهما حاول ذلك . ويبدو أن هذا ما اعتقده زهير بن أبي سلمى في هجائه للحارث بن وَرْقاء الأسدي الذي أغار عليه ، واستاق

غلاماً له وإبلاً ، مما أثر في نفس الشاعر تأثيراً كبيراً ، دفعه إلى إشهار سلاحه الشعري متهدداً متوعداً[٤٩] :

يا حارِ لا أُرْمَيَنْ مِنكم بداهيةٍ ... لم يَلْقَها سُوقَةٌ قبلي ولامَلِكُ
فاردُدْ يساراً ولا تَعنف عليه ولا ... تَمْعَكْ بعِرضكَ إنَّ الغادرَ المَعِكُ
تَعَلَّمَنْ ها ، لعمرُ اللهِ ، ذا قسماً ... فاقْصِدْ بذَرْعِكَ وانظرْ : أينَ تنسلِكُ
لئن حَلَلْتَ بجَوٍّ من بني أسدٍ ... في دينِ عمرو وحالت بيننا فَدَكُ
ليـأتينَّكَ منِّي مَنْـطِقٌ قَـذَعٌ ... باقٍ كما دنَّسَ القُبْطِيَّةَ الوَدَكُ

إذاً فإنه التهديد والوعيد والنذير بالشر النازل ، يُجلّى في موقف الشاعر الذاتي من الحارث ورهطه ، وذلك في حالة الاصرار على العداوة وإبقاء الغلام يَسار في الأسر ، فلن يسلم العرض من الأذى ، ولن يسلم الشرف من الغمز به ، يؤكد ذلك يمينٌ مغلظة بالله إنه لن يفلت من أن تصيبه قارعة من الشاعر ، وأن تناله سهام الهجاء ، فتلطخه دنساً ورجساً ، ولن ينجيه منها اختفاؤه بَفدَك ، ولا احتماؤه بالملك عمرو بن هند .

فالشاعر غالباً لا يسكت على خصم ، وإنما يقف منه موقف الندّ للندّ ، فيساجله الخصومة بخصومة مماثلة ، والعداوة بعداوة شبيهة ، ووسيلته المجدية إلى ذلك فنّ القول الذي يتخذه سلاحاً فتاكاً ، لِما للشعر من أهمية في حياة الجاهليين ، ولما له من أثر في نفوسهم ، جعلت بعضهم يبكي ألماً من وقع الهجاء عليه[٥٠] . وذلك كله يدل على إحساس مفرط لدى الإنسان العربي جعله يتأثر بكل ما ينال سمعته وشرفه وعرضه من إهانة ، وليس أسوأ من كلمات فيها من المثالب ما فيها ، تتناقلها الألسن على شفاه لا همَّ لها إلاَّ شدو الأشعار .

ولا شك في أن دواوين الشعر الجاهلي تنطوي على كثير من النصوص الشعرية التي تشابه النصوص السابقة ، وكلها تعكس مواقف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشعراء الذاتية من خصومهم ، وانفعالهم بما يرميهم به أولئك الخصوم من نبل الحقد والعداوة ، ومن ثَمَّ تعبيرهم عن ذلك الانفعال بفنهم الشعري الذي يتخذ أداة فعالة لدرء مبغضيهم والحاقدين عليهم . وقد رأينا آنفاً أنهم عبّروا به أيضاً عن ميولهم الشخصية وعواطفهم الذاتية تجاه محبوباتهم حينا ، وتجاه أصدقائهم حينا آخر .

وهكذا أظهر لنا الشعر الإنسان العربي ذا شخصية مميزة في علاقاته الاجتماعية ؛ فصوَّره خارجاً على القبيلة ومتمرداً عليها حيناً ، ومفتخراً بذاته ومُعلياً من شأنها حيناً آخر ، كما أبرز نزوعه الذاتي حين بيّن مدى حبه وهيامه بالمرأة ، ومدى تعلقه بالصديق الوفي ، ونفوره الشديد من الخصم المبغض .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحواشي والمصادر والمراجع

(١) ضرورة الفن : ص ٥٧ ، لانست فيشر ، ط بيروت .

(٢) ديوان عمر بن قميئة : ص ١٩ ـ ٢٠ ، تح د. حسن كامل الصيرفي ، ط القاهرة ١٩٦٥ .

(٣) الأغاني : ٢٢/٢٧٠ ، لأبي الفرج الاصبهاني ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ .

(٤) الحماسة : ١/٣٥٩ ـ ٣٦٢ ، لأبي تمام ، شرح المرزوقي ، تح أمين وهارون ، ط القاهرة ١٩٥١ .

(٥) ديوان لبيد بن ربيعة : ص ٩٤ ، تح إحسان عباس ، ط الكويت ١٩٦٢ .

(٦) الحماسة : ١/٥ ـ ١١ ، شرح التبريزي ، ط بولاق ١٢٩٦هـ .

(٧) ديوان عامر بن الطفيل : ص ٩٩ ، رواية ابن الأنباري ، ط بيروت ١٩٦٣ .

(٨) المفضّليّات : ص ٢٣ ، للمفضل الضّبيّ ، شرح الأنباري ، ط بيروت ١٩٢٠ .

(٩) الأصمعيات : ص ١٦٢ ، للأصمعي ، تح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، ط دار المعارف بمصر ١٩٦٧ .

(١٠) حماسة البحتري : ص ٩ ، تح كمال مصطفى ، مصر ١٩٢٩ .

(١١) لسان العرب وتاج العروس : مادة (خلع) .

(١٢) القاموس المحيط : مادة (غرب) .

(١٣) الشعر والشعراء : ١/٣٨٨ ، لابن قتيبة ، تح أحمد محمد شاكر ، ط القاهرة ١٩٦٦ .

ى١٤) الأغاني : ١٤/١٥٣ ، ط المؤسسة المصرية العامة .

(١٥) النقائض : ٢/٧١٤ ، لأبي عبيدة ، مصور عن طبيعة ليدن ، ط بيروت .

(١٦) المحبّر : ص ١٩٥ ، لابن حبيب ، تح إيلزة ليختن شتيتر ، ط الهند ١٩٤٢ .

(١٧) الكامل : ٢/٤٦٠ ، للمبرد تح زكي مبارك ، ط القاهرة ١٩٣٦ .

(١٨) المفضليات : ص ١٣ ـ ١٥ .

(١٩) الأغاني : ١٤/١٤٥ .

(٢٠) خزانة الأدب : ٣/٣٤٦ ، للبغدادي ، تح عبد السلام هارون ، ط القاهرة ١٩٦٧ .

(٢١) شرح القصائد العشر : ص ١٤٨ ـ ١٥٦ ، للتبريزي ، تح د. فخري الدين قباوة ، ط حلب ١٩٧٣ .

(٢٢) المصدر نفسه : ص ٣٠٩ ـ ٣١٣ .

(٢٣) من نُسب إلى أمه من الشعراء (نوادر المخطوطات) : ١/٨٦ ، لابن حبيب ، تح عبد السلام هارون ، ط القاهرة ١٩٧٢ .

(٢٤) ديوان عامر بن الطفيل : ص ١٣ .

(٢٥) الحماسة الشجريّة : تح الملوحي والحمصي ، ط دمشق ١٩٧٠ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٢٦) الاغاني ، ١٣٤/٦ ، ط دار الكتب المصرية ، ١٩٣٠ .
(٢٧) ديوان الأعشى الكبر : ص ١٢٩ ، تح محمد محمد حسين ، ط القاهرة ١٩٦٠ .
(٢٨) الأغاني : ١٥٨/١٤ .
(٢٩) الاختياران : ص ٢٢٢ ، للأخفش الأصغر ، تح د. فخر الدين قباوة ، ط مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٤ .
(٣٠) ديوان المثقّب العبدي : ص ١٣٦ ـ ١٤١ ، تح د. حسن كامل الصيرفي ط القاهرة ١٩٧١ .
(٣١) المفضليات : ص ٤٩٤ .
(٣٢) ديوان طرفة بن العبد : ص ٦٨ ـ ٦٩ ، تح علي الجندي ، ط القاهرة ١٩٥٨ .
(٣٣) المفضليات : ص ٤٦٠ .
(٣٤) المصدر نفسه : ص ٣٨٤ .
(٣٥) طيف الخيال : ص ٥ ـ ٦ ، للشريف المرتضى ، تح د. حسن كامل الصيرفي ، ط القاهرة ١٩٦٢ .
(٣٦) الأغاني : ٢٥/١٩ ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ .
(٣٧) الحرّة : أراد بها هنا الناقة .
(٣٨) الأصمعيات : ص ٦٣ .
(٣٩) الحماسة : ٥٤٣/٢ ، شرح المرزوقي .
(٤٠) ديوان امرىء القيس : ص ١١٢ ـ ١١٣ ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط دار المعارف بمصر ١٩٦٤ .
(٤١) شرح أشعار الهذليين : ١٢٢٣/٣ ، تح عبد الستار أحمد فراج ، ط القاهرة .
(٤٢) السيرة النبوية : ٤٢٦/١ ، لابن هشام ، تح السقا والأبياري وشلبي ، ط مصر ١٩٥٥ .
(٤٣) ديوان المثقّب العبدي : ص ٢١١ .
(٤٤) ديوان حاتم الطائي : ص ٧٤ ، ط بيروت ١٩٦٣ .
(٤٥) الحماسة البصرية : ٤٣/٢ ، لصدر الدين البصري ، تح مختار الدين أحمد ، ط الهند ١٩٦٤ .
(٤٦) ديوان سلامة بن جندل : ص ١٩٧ ـ ١٩٩ ، تح د. فخر الدين قباوة ، ط حلب ١٩٦٨ .
(٤٧) ديوان الأعشى الكبير : ص ١٢٣ .
(٤٨) الحماسة : ٦٤/١ ـ ٦٥ ، شرح المرزوقي .
(٤٩) ديوان زهير بن أبي سلمى : ص ١٨٠ ـ ١٨٣ ، شرح ثعلب ، ط القاهرة ١٩٦٤ .
(٥٠) الحيوان : ٣٦٤/١ ، للجاحظ ، تح عبد السلام هارون ، ط مصر ١٩٦٥ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إذا
بين الظرفية والشرطية
محاولة لقراءة جديدة

للدكتور فيصل إبراهيم صفا
جامعة اليرموك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تقديم :

يثير القول بظرفية (إذا)* وشرطيتها حيرة في تعيين المراد منها إنْ في التركيبات التي تتصدر فيها هذه الأداء ، أو في التركيبات التي تبرز فيها متوسطة . ومع ذلك فان النحاة لا يرون ضيرا في تضمن (إذا) هذه للمعنيين (أي : الظرفية والشرطية) في وقت واحد .

لقد درج النحاة على النظر في (إذا) من حيث هي ظرف يتضمن معنى الشرط ، حتى في التركيبات التي تتصدر (إذا) فيها . وهذا يعني أصالة الظرفية فيها عندهم . ولقد دأبوا على ذكر (إذْ) ، ظرفاً لما مضى ، وذكر (إذا) ظرفاً لما استقبل . ويبدو أن ما حمل النحاة ، على هذه المقابلة

---

* يشير مالك يوسف المطلبي في كتابه : السياب ونازك والبياتي ـ دراسة لغوية ، ص٨٧ ـ ٩٢، إلى اضطراب النحاة في تعيين الزمن وإلصاقه بـ (إذا) ، ويخلص إلى أن (إذا) غير ذات دلالة على الزمن .

بين (إذا) و (إذْ) ، أن (إذا) تجعل ما كان في حيّزها مستقبلاً . فإذا كانت (إذْ) لما مضى ، فـ (إذا) لما استقبل . وعليه ، فإن هذا البحث يقدم محاولة لقراءة جديدة في ظرفية (إذا) وشرطيتها ، ويُزجي بين يدي القول بشرطيتها فقط تحليلات تؤيد ذلك ، وعلى الأخصّ في التركيبات التي تتضمن ما يصلح أن يكون شرطاً متلوّا بجواب ، أو جوابا متلوّا بشرط . هذه التحليلات تناقش كذلك مدى صحة عدّ (إذا) ظرفاً فقط ، أو ظرفاً وشرطاً في السياق الواحد . ويخلص هذا البحث إلى أن (إذا) ليست ظرفاً ملازماً للإضافة ، ولكنها أداة للشرط ، وأنها باعتبارها أداة شرط فانه يجوز لجوابها أن يتقدم عليها وعلى شرطها . هذه النتيجة الأخيرة تصدق بالطبع على سائر أدوات الشرط .

بين (إذا) و (حين)

ربما تكون مقابلة (إذا) ، التي قيل انها ظرف للزمان ، بـ (حين) ، عندما تكون كل منهما مضافة ، معينةً في تقرير ظرفية (إذا) ، أو عدم صلاحيتها لذلك .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان استخدام (حين) ظرف زمان مضافاً لا يضيره أن يكون تالياً لما هو ظرف له أو سابقاً عليه . فللظرف في العربية نصيب كبير من حرية الحركة في التركيب ، فهو في تأخره ظرف لما قبله ، وهو في تقدمه ظرف كذلك لما هو متقدم عليه . ولو رحنا نتأمل الآيات التالية :

(١) أ ـ «وإنْ تسألوا عنها حينَ يُنزّل القرآن تُبْدَ لكم عفا الله عنها»[١] .

أي : في زمان الوحي ، وهو ما دام الرسول بين أظهركم يوحى إليه[٢] .

---

(١) المائدة ١٠١/٥

(٢) الزمخشري ، الكشاف ٦٨٤/١

ب ـ «شهادةُ بينِكِمْ إذا حضر أحدَكم الموتُ حين الوصية اثنان . .»[٣] .
جـ ـ وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضلّ سبيلا . .»[٤] .

لوجدنا أنّ ما قبل (حين) وما بعدها يتفق وقوع أحدهما مع الآخر في الزمان سواء أكان الحدثان متماثلين أم مختلفين ، فالسؤال في (١/أ) موافق في زمان وقوعه لتنزيل القرآن ، وحضورُ الموت أحدَهم متفق الزمن مع وقوع الوصية من المحضور في (١/ب) ، والعلم المستقبل مواقع لرؤية العذاب في (١/جـ) .

ان تقديم (حين) ظرفاً مضافاً ، لا يعني على الاطلاق إخلالاً بضرورة اتفاق زمان حدوث ما أضيفت إليه ، من جهة ، وزمان الحدث في الجملة الأصلية ، من جهة أخرى ، كما يتضح فيما يلي :

(٢) «ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون»[٥] .
فزمان وقوع استغشاء الثياب مطابق (من حيث واقع التركيب) لزمان العلم بالسر والعلن ، على الرغم من أن العقيدة تقول بقيام العلم منذ الأزل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وحين يقال إن (إذا) ظرف للزمان ملازم للاضافة ، فإنه يتبادر إلى الأذهان على الفور أن (إذا) هذه بمنزلة (حين) التي تستخدم مضافة ، لكن لا على اللزوم . ذلك ان (إذا) قد يكون التركيب مبدوءاً بها ، كما قد تكون مضمنة فيه تماما كما تستخدم (حين) ، من الناحية الشكلية على الأقلّ ، هكذا :

(٣) آتيك إذا احمرّ البسر[٦] .

---

(٣) المادة ١٠٦/٥
(٤) الفرقان ٤٢/٢٥
(٥) هود ٥٥/١١
(٦) سيبويه ، الكتاب ٦٠/٣

(٤) « إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرّوا سجّدا وبكيّا»[٧] .

فإذا كنا نقول بوقوعها ظرفية فيما سبق ، فانه لا بدّ أن يكون زمان وقوع الحدثين ، قبلها وبعدها ، واحداً ، أي أن الاتيان يوافق الاحمرار في زمن الوقوع ، وان تلاوة الآيات توافق الخرور في زمان الوقوع كذلك . وعليه يكون تركيب (إذا تتلى عليهم آيات الرحمن) ظرفاً مقدماً لتركيب (خروا سجدا وبكيا) ، من حيث كان موقع الظرف في العادة تالياً للمظروف ، ولجواز تقدم الظروف على ما يظرف فيها . فإذا كنا ، إضافة إلى ما سبق ، نقول بأن (إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان ، فإن وقوعها ظرفاً يعني أن اتفاق الحدثين في زمان الوقوع يجب أن يكون في جزء من أجزاء المستقبل .

هكذا ، إذاً ، يكون النظر إلى (إذا) في افادتها الظرفية الزمانية ، حَسْبُ ، كـ (حين) . أمّا أنّ (إذا) تستخدم للاشتراط ، فهذا قد يعني اختلافاً ، من جهة من الجهات ، بينها وبين (حين) . ولتبيّن ذلك يحسن تأمّل ما يلي :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٥) أ ـ «إذا جاءك المؤمنات يبعايعنك . . فبايعهن»[٨] .

ب ـ «وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا . . »[٩] .

لا بدّ أنه يلاحظ هنا أنه على الرغم من أن ما بعد (إذا) محصور في المستقبل ، بعيدا كان أم قريبا ، فإن زمان مجيء المؤمنات للبيعة في (٥/أ) لا بدّ أن يكون سابقا على زمان وقوع بيعة النبي لهن . ومثل هذا يقال في (٥/ب) ، أي أن زمان وقوع القول من الكافرين مختلف عن زمان وقوع التلاوة . وبعبارة أخرى ، فان وقوع الشرط سابق زمانيا على

---

(٧) مريم ٥٨/١٩

(٨) الممتحنة ١٢/٦٠

(٩) مريم ٧٣/١٩

وقوع الجواب . والنتيجة هي أن (إذا) ، فيما سبق ، تربط بين أمرين على سبيل ترتيب أحدهما على الآخر ، الأمر الذي يعني جزأين مختلفين من أجزاء المستقبل ، وهذا بحدّ ذاته مخالف للكيفية التي تستخدم بها (حين) الظرفية و(إذا) الظرفية كذلك ، إذا افترضنا معنى الظرفية في (إذا) هذه .

زعم تمحّض (إذا) للظرفية :

لكن هل تمحضت (إذا) حقا للظرفية في الشواهد القرآنية التي وقعت فيها (إذا) بعد (كيف) ، كما يرى الاستاذ عضيمة[١٠] في مثل :

(٦) «فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه»[١١]؟

فـ (كيف) أثر لجملة قيل ان (إذا) وما أضيفت إليه ظرف لها ، وان (إذا) فيها خِلْو من معنى الاشتراط .

وهل تمحضت (إذا) كذلك للظرفية فيما يلي من شواهد[١٢] :

(٧) أ ـ «فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم»[١٣]

على أن (إذا) ظرف لـ (صيام) .

ب ـ «فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف»[١٤]

على أن (إذا) ظرف لـ (ينكحن) .

جـ ـ «شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان»[١٥]

على أن (إذا) ظرف لـ (شهادة) .

---

(١٠) دراسات ، قسم١ج ١/٨٩

(١١) آل عمران ٣/٢٥

(١٢) هي ممثلة لعدد غير قليل من الآيات على النسق نفسه .

ينظر : عضيمة ، دراسات قسم ج١/٨٩ ـ ٩١

(١٣) البقرة ٢/١٩٦ (١٤) البقرة ٢/٢٣٢ (١٥) المائدة ٥/١٠٦

د ـ «وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة»[١٦]

على أن (إذا) ظرف لـ (أخذ ربك) .

هـ ـ «اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم»[١٧]

على أن (إذا) ظرف لـ(يعرفونها) ؟

على أنه قد يخفف من حدة الاندفاع إلى القول بوقوع (إذا) ظرفاً لما قبلها ، فيما سبق وفي غيره مما شاكل ، أن يلفت الانتباه إلى أن النحاة[١٨] قد تحدثوا عن وقوع الاشتراط بـ (إنْ) مع حذف جوابها المدلول عليه . ولذلك فقد قال بعض النحاة المفسّرين[١٩] بأن جواب (إنْ) محذوف لأنه مدلول عليه بما سُبِق به الشرط ، كما في الآيات التالية :

(٨) أ ـ «ولا يحلّ لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إنْ كنّ يؤمنّ بالله واليوم الآخر»[٢٠] .

ب ـ «ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إنْ كنتم مؤمنين»[٢١] .

جـ ـ «فذكّر إنْ نفعت الذكرى»[٢٢] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لو قابلنا بين الشواهد في (٨) ، وما شاكلها ، والشواهد في(٧) ، وما شاكلها أيضاً ، لكان حكمنا بتطابق السَّنَن في هذه التركيبات . فلم الاصرار ، اذاً ، على القول بظرفية (إذا) فيها ؟ أذلك لأن (إذا) تصلح لأن تقع ظرفاً أصلاً ؟ إذا كانت الإجابة على هذا السؤال بالإيجاب ، فإن هذا

---

(١٦) هود ١٠٢/١١

(١٧) يوسف ٦٢/١٢

(١٨) ينظر مثلا : ابن عقيل ، شرحه ٣٧٩/٢ ـ ٣٨٠

(١٩) ينظر : عضيمة ، دراسات قسم١ج ٥٥٧/١

(٢٠) البقرة ٢٢٨/٢ ، وينظر أبو حيان ، البحر ١٨٧/٢

(٢١) آل عمران ١٣٩/٣ ، وينظر . أبو حيان ، البحر ٦٢/٣

(٢٢) الأعلى ٩/٨٧ ، وينظر : أبو حيان ، البحر ٤٥٩/٨

يقتضي أن يكون زمان وقوع ما يقال ان (إذا) أضيفت إليه متفقا مع زمان وقوع الحدث المظروف ، والأمر يكون على العكس تماما عند ارادة التعليق الشرطي . فاذا ما عددنا (إذا) ظرفا في (٨/ب) ، على سبيل المثال ، يكون المعنى أن (العضل) منهي عنه ساعة وقوع التراضي ، وهذا يفهم جواز (العضل) في غير ساعة وقوعه ولو استمرّ التراضي بحدّ ذاته ؟ ذلك أن النهي مقيد بوقت الوقوع لا بقيام التراضي من حيث هو . وعند إرادة التعليق الشرطي بـ (إذا) يكون النهي عن (العضل) معلقا على قيام التراضي لا على ساعة قيامه .

على أن هذا التحليل لا يعني حقا ضرورة القطع بأن (إذا) في شواهد (٧) ليست للظرفية . غير أن قيام التطابق بين شواهد (٨) ، التي قيل فيها بحذف الجواب ، وشواهد (٧) التي قيل فيها بوقوع (إذا) ظرفاً ، يُضعف افتراض الظرفية فيها ويقوّى كونها للاشتراط . بل قد يدعو هذا التطابقُ أحدَنا إلى التساؤل كالآتي : لم لا نعدّ (إنْ) في شواهد (٨) ظرفا لما قبلها ، كما فُعِل بـ (إذا) ؟ وان مما يضعف كذلك افتراض الظرفية في (إذا) ان النحاة اختلفوا[٢٣] في العامل فيها حين تقع شرطاً وقد سبقت جملتا الشرط والجواب بها ، كما في مثل :

(٩) «إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم . . .»[٢٤].

فمنهم من قال ان العامل هو الشرط ، ومنهم من عدّه الجواب . هذا الاختلاف انما يعني اختلافاً في تعيين الكلام الذي وقعت (إذا) ظرفاً له . هذا الاختلاف بحدّ ذاته يعني أن عدّ (إذا) ظرفا ليس أمرا مسلما من حيث ان المجال ما زال يسمح برأي آخر كالقول ، مثلا ، بعدم تضمن (إذا) أصلاً لمعنى الظرفية عند إرادة الاشتراط بها ، على الأقلّ .

---

(٢٣) ينظر مثلا : ابن هشام ، المغني ص١٣٠ - ١٣٣

(٢٤) المائدة ٦/٥

هذا ، ولمّا كان النحاة يقولون بأن (إذا) هذه ظرف لما يستقبل ، كان بالإمكان إحلال (حين) محلّ (إذا) مع تغيير صيغة الفعل التالي (قمتم) في (٩) إلى (تقومون) لافادة الاستقبال *. وهذا يعني قطعاً (وإذا ما صرفنا النظر عن مسألة إضافة (حين) إلى ما بعدها) أن (حين) ليست ظرفاً للقيام . وعليه ، لا تكون (إذا) ظرفاً للقيام أيضاً . أما أنها ظرف للجواب ، فأمر وارد من حيث كان الظرف كثير التقدم على مظروفه . لكن يدفع كون (إذا) الشرطية ظرفاً محتملاً للجواب ، على سبيل التقدم ، أن هذا يعني افتراض موقع أصلي ، للشرط وأداته ، تالٍ للجواب ، وهذا يخالف تماماً ما اتفق جمهور النحاة عليه ، وهو أن الجواب لا يسبق الشرط ، فيسمح للشرط بعد ذلك بالتقدم على الجواب لما في (إذا) الشرطية من معنى الظرفية .

إن قولهم بظرفية (إذا) وشرطيتها في السياق الواحد ، وخاصة حين تتصدر (إذا) هذه الشرطَ والجوابَ ، متناف ، من حيث إن الظرفية فيها وفي مثلها تقتضي ، كما سبقت الاشارة ، التطابقَ في زمان الحدث بعدها وزمان الحدث المظروف فيها* ، في حين تقتضي الشرطية اختلاف زماني الشرط والجواب في أجزاء المستقبل . وبناء على هذا ، فإما أن تكون (إذا) ظرفاً فقط للغسل في(٩) ، وإمّا أن تعدّ شرطية فقط يعلّق الغسل بها على القيام . أمّا قيام الظرفية والشرطية فيها معاً في السياق الواحد فأمر غير مقبول لما سبق من بيان .

---

* لا بد من لفت الانتباه هنا إلى أن أسماء الشرط الدالة على الزمان ، تختلف عن (إذا) المعدودة ظرفاً ملازماً للاضافة . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان أسماء الشرط تلك ظروف لجملة فعل الشرط ، ثم قدمت لفرض التعليق الشرطي ، وليست ظروفاً للجواب .

فضل بيان في توكيد عدم ظرفية (إذا) :

على الرغم مما مضى من مناقشة وبيان ، تبقى احتمالات كون (إذا) للاشتراط فقط ، أو للظرفية حَسْبُ قائمة . ومع أن التحليلات السابقة نقضت امكان مجيء (إذا) للأمرين (أي : الظرفية والشرطية) في سياق واحد ، لما في ذلك من تناف ، فإنّ هذا لا يضع نهاية للقضية ، وهذا يعني أننا ما زلنا في حاجة إلى فضل بيان يؤكد عدم جواز استخدام (إذا) ظرفاً .

قد يكون التوجه للنظر في بعض الشواهد ، التي قال بعض النحاة ان (إذا) فيها خرجت عن الشرطية ، مفيداً في جعل مثل هذا التوجيه ممكناً . فلقد رأى ابن هشام[٢٥] أن (إذا) فيما يلي (وبالطبع فيما شاكل من شواهد تضمنت طرفين يصلح أن يقال إنهما طرفاً الأسلوب الشرطي) :

(١٠) أ ـ «وإذا ماغضبوا هم يغفرون»[٢٦]

ب ـ «والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون»[٢٧]

خارجة عن الشرطية من حيث كان التركيب ، المتوقعُ أن يكون جوابا (وهو هنا : (هم يغفرون) و(هم ينتصرون) ، على التوالي) جملةً اسميةً غيرَ مقترنة بـ (الفاء) . فعدم وجود (الفاء) سلب عن (إذا) معنى الاشتراط ، وعليه فقد عدّت (إذا) في الآيتين ، عند ابن هشام ، ظرفاً لخبر المبتدأ (هم) في كلٍّ ، أي ظرفاً لـ (يغفرون) و (ينتصرون) . ومع أن بعض الشواهد قد خلت من (الفاء) متصلة بجواب إحدى أخوات (إن) الشرطية ، فإن النحاة لم ينفوا قيام الاشتراط بها ، وكل ما فعلوه أنهم قالوا

---

(٢٥) المغني ص١٣ ـ ١٣٦

(٢٦) الشورى ٣٧/٤٢

(٢٧) الشورى ٣٩/٤٢

بحذف (الفاء) للضرورة من الجواب[٢٨] . بل ان بعض النحاة مضي يؤوّل سبب عدم وجود (الفاء) ، في جواب (إنْ) ، على أساس أن ما يبدو جوابا للشرط ليس الاّ جوابا لقسم محذوف[٢٩] في الآية :

(١١) «وإنْ أطعتموهم انكم لمشركون»[٣٠]

ليس يقصد بالاشارة إلى هذا ، إلى الاعتراض على قانون وجوب اتصال (الفاء) بالجواب الذي يكون جملة اسمية ، مثلا ، ولكن إلى أن يلفت النظر إلى أن عدم (الفاء) لا يعني تجرد (إنْ) أو غيرِها من معنى التعليق الشرطي . ان تجرد التركيب ، الذي يصلح لأن يكون جوابا للشرط . من (الفاء) لم يمنع الزمخشري[٣١] ، مثلاً ، من عدّه (أي : التركيب) جواب الشرط في الآية :

(١٢) «قل أرأيتكم إنْ أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغيَر الله تدعون؟»[٣٢] .

وحتى لو قلنا بما قال به أبو حيان[٣٣] في الآية السابقة ، وما شاكلها ، من تنازعٍ بين (أرأيت) وفعل الشرط (أتاكم) في (عذاب الله) في(١٢) ، واعمالٍ لفعل الشرط في (العذاب) ، فان هذا لا يسوّغ القول بأنّ تركيب (أغير الله تدعون) هو المفعول الثاني لـ (أرأيت) ، وأنّ جواب الشرط محذوف . ان مفعول (أرأيت) يمكن تصوّره بيسر إذا أدركنا انّ الاستخبار بـ (أرأيت) هذه منصبّ على أسلوب الشرط بأكمله . وبهذا نجد أن خلوّ ما يصلح جوابا للشرط من (الفاء) ، كما في هذه الآية وفي ما شاكلها (وهو

---

(٢٨) ينظر مثلاً : الاشموني ، شرحه ٤/٢٠ ـ ٢١

(٢٩) ينظر : الصبان ، حاشيته ٤/٢٠

(٣٠) الانعام ٦/١٢١

(٣١) الكشاف ٢/٢٢

(٣٢) الانعام ٦/٤٠

(٣٣) البحر ٤/١٢٥ ـ ١٢٨

كثير)[٣٤] ، لم يعن عندهم تجريد (إنْ) من شرطيتها ، فلا يسوغ بالتالي القول بحذف جوابها . ولمّا لم يحكموا بتجرد (ان) ، أو غيرها من أخواتها ، من معنى التعليق ، لعدم اتصال (الفاء) بجوابها ، فَلِمَ يُحكم على (إذا) بالتجرد من هذا المعنى للسبب نفسه ؟ الحق أنه ليس في ظني لذلك من مسوّغ ، وعليه يبقى لـ (إذا) معنى الشرطية ولو خلا جوابها من (الفاء) . وبهذا يقوى القول باستخدام (إذا) ، في هذا النوع من التركيبات ، للاشتراط ، حَسْبُ . وليس يخفى أن قوة القول بظرفية (إذا) وشرطيتها في السياق الواحد كان أثرا لمداومة النحاة ، على مرّ العصور ، على ترديد ذلك والحكم به .

وإذا كان لنا أن نختم مسألة اتصال أو عدم اتصال جواب (إذا) بـ (الفاء) ، فبما أشار إليه الأستاذ عضيمة[٣٥] من أن بعض النحاة اغتفروا مع (إذا) خاصةً عدمَ اقتران جوابها بـ (الفاء) ، وكذلك نختم بما زاده هو (أي : عضيمة) على هذا من اغتفار عدم اتصال (الفاء) بها في كل المواضع استنادا إلى المسموع ، والى أن لأدوات الشرط غير الجازمة شأنا يخالف الأدوات الجازمة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

معنى الاستقبال في (إذا) :

إذا كنّا نأخذ بمقولة أنّ (إذا) ظرفٌ لما يستقبل متضمنٌ معنى الشرطية[٣٦] ، فهذا يُلزمنا بالنظر إلى موقعية الظرف من حيث هو قيد فضلة في الجملة . الظرف ، كما هو معلوم ، يتخذ موقعه بعد الفعل ، أو شبيهه ، وفاعلِه ، على الأقلّ . فاذا كان ثمة من يقول بأنّ (إذا) ظرف غير

---

(٣٤) ينظر : عضيمة ، درسات قسم١ ج١/٥٤٩ـ ٥٥٠

(٣٥) السابق نفسه ص٧١

(٣٦) ينظر مثلاً : ابن هشام ، المغني ص١٢٧

ملازم للاضافة ، كما أسند ذلك ابن هشام[٣٧] إلى بعضهم عند الحديث عن العامل في (إذا) ، فكيف يكون بالتالي تصوّرنا لـ (إذا) ضمن التركيب الشرطي الذي تقع فيه عادة ؟ فإذا ماتأمّلنا الآية التالية :

(١٣) «إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله . .»[٣٨] ، فسوف يكون تصوّرنا لها ، ضمن التركيب وحسب المعهود من موقعها ، كالتالي :

(١٤)* جاءك المنافقون إذا ، قالوا . . .

لأنّ الذين يقولون بعدم ملازمتها للاضافة يرون أن العامل فيها (أو على نحو أدقّ : ما جاءت لظرفه وقيده) هو (جاء)[٣٩] في هذه الآية . وهذا يعني أنّ التركيب في (١٤) تركيب أصولي ، وليس الأمر كذلك بدليل أن (إذا) ، غيَر منونة ، ملزمة بالتحرك دائما مع ما بعدها (المسمى أحيانا بالشرط) . وتبعا لهذا لا تكون (إذا) ظرفاً لما بعدها المسمى شرطا أحيانا .

قد يقال ان (إذا) ظرف لما يسمى أحيانا بالجواب ، أي قد يقال ، حسب تعبير النحاة ، بأن العامل فيها هو الجواب[٤٠] ، فاذا ما قدّرت (إذا) غير ملازمة للاضافة ، كان تصوّر التركيب الأصلي الذي هي فيه كالتالي :

(١٥) جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله إذا ، وحكم بأصوليته ، وليس كذلك . أمّا إذا قدّرنا (إذا) ملازمة للاضافة وأنها ظرف لذلك المسمى جوابا أحيانا ، كان تصوّر أصل التركيب في (١٣) على النحو التالي :

---

(٣٧) السابق نفسه ص ١٣٠ - ١٣١

(٣٨) المنافقون ١/٦٣

(٣٩) ابن هشام ، المغني ص١٣٠ - ١٣١

(٤٠) السابق نفسه ص١٣١

(١٦) قال المنافقون نشهد انك لرسول الله إذا جاءوك أصولياً .

لكن ، على الرغم من أن التركيب في (١٦) يبدو أصوليا، إلاّ أنه في الحقيقة ما زال يفتقر إلى بعض تعديل حتى تكتمل أصوليته . هذا التعديل مستلزَم على النحو التالي :

(١٧) يقول المنافقون . . إذا جاءوك .

هذا التصوّر للتركيب يناقض ، في نظر هذه الدراسة ، كون (إذا) ظرفاً . قد يقال ان هذا التعديل اقتضاه أن (إذا) ظرف لما يستقبل ، غير أن هذا ، فيما يُرى ، غيرُ دقيق ، ذلك أن الاستقبال المفهوم في (إذا) إنّما هو من كونها محمَّلةً كليّاً بمعنى التعليق الشرطي ، بدليل كثرة تلوّ صيغة الماضي لها . مع ذلك يبقى الاستقبال زمناً نحوياً وثيقاً فيها وفيما وقع في حيّزها . وعليه فإنّه حين خرج الفعل (قال) من هذا الحيّز ، الذي يجعل الأفعال التي تقع ضمنه تفيد الاستقبال ، كان لا بدّ من اتخاذ إجراء يمكّن الفعل من أداء معنى الاستقبال ، فكانت الصيغة الصرفية (يفعل) مُعِينةً ، وكان أن استُخدمت هذه الصيغة ، كما هو واضح في (١٧) . هذا بالإضافة إلى تعديلات أخرى قد يتم اجراؤها ، كنقل الاسماء الظاهرة إلى الجواب المقدّم ، والاضمار لهذه الأسماء من جديد في الشرط ، أي فعلِ عكسِ ما كان عليه التركيب الشرطي في الأصل .

ولتأييد ما نزعمه ، من تعديل في الجواب المقدّم ليفيد الاستقبال ، يحسن تأمّل الشواهد التالية[٤١] :

(١٨) «فكيف إذا جئنا من كلّ أمة بشهيد»[٤٢]

إذا يقدّرون (كيف) اختصار لجملة استخبارية ، هكذا : (كيف

---

(٤١) ينظر ، لمزيد من الشواهد : عضيمة ، دراسات قسم١ ج١/٨٩ ـ ٩٤ ، حيث يذكر أن (إذا) فيها متمحضة للظرفية أو محتملة للشرطية الظرفية ، أو للظرفية فقط ، ويخص بالذكر تلك الشواهد التي بدئت بما يمكن عده جوابا للشرط مقدما .

(٤٢) النساء ٤/٤١

يصنعون) . و(يصنعون) بصيغة المضارع التي تفيد الحال والاستقبال ، كما يقولون

(١٩) «لا يضرّكم من ضلّ إذا اهتديتم»[٤٣]

بالمضارع المنفي بـ(لا)،

(٢٠) «انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه»[٤٤] .

أمّا إذا كانت الجمل المتقدّمة على (إذا) جملاً اسمية (كما يسميها النحاة) ، فهي صالحة للجواب حين تكون تالية لـ(إذا) ، وقد كثر اقتران (الفاء) بمثل هذه الجمل متأخرة . فإذا ما ظهر أن الجواب (الجملة الاسمية) متقدّم ، سقطت (الفاء) وجوبا وكأنّ البدء بالجواب ثمّ إيلاءَهُ الشرطَ وسيلةٌ أقوى من (الفاء) ، أو بديلةٌ عنها ، لربط الجواب (الجملة الاسمية) بشرطه ، كما يلي :

(٢١) «وكذلك أَخْذُ ربك إذا أَخذ القرى وهي ظالمة»[٤٥]

فالتقدير ، حسب التركيب المتصوّر أصلاً واستناداً إلى أن موقع الشرط في مقدمة التركيب الشرطي ، كالتالي :

(٢٢) وإذا أَخذ ربك القرى وهي ظالمة ، فكذلك أَخْذه .

حتى الشواهد القرآنية ، التي يرى الاستاذ عضيمة نفسه[٤٦] أنها متمحضة للظرفية ، يصدق فيها ما سبق ذكره من فهم . فمما ذكره على أنه متمحض للظرفية ، ويبدو مشكلاً لهذه الدراسة ، ما يلي :

(٢٣) «قل أعوذ برب الفلق . . ومن شرّ غاسق إذا وقب»[٤٧]،

على أساس أن الجار والمجرور (من شر غاسق) متعلقان بـ(أعوذ)

---

(٤٣) المائدة ١٠٥/٥

(٤٤) الانعام ٩٩/٦

(٤٥) المائدة ١٠٦/٥

(٤٦) دراسات ، قسم١ ج٩١/١ـ ٩٣

(٤٧) الفلق ١١٣ /١ـ٣

المذكورة أو بـ (أعوذ) المقدرة بعد حرف العطف (الواو) . وعليه لا تكون (إذا وقب) الاّ بمعنى (حين يقب) ، وبذلك يكون (إذا وقب) نعتا لـ (غاسق) . لكن يبدو لي أن كل ما في الأمر أن هٰذا الشاهد يمثّل نمطا معقّدا من التركيب الشرطي : أُخِّر فيه الشرط ، الذي أُضْمِر فيه للاسم الظاهر في الجواب المقدّم ، لأجل أن يكون بالامكان حذف (قل أعوذ برب الفلق) قبل قوله (من شر غاسق) ، اذ العادة أن يحذف من المعطوف العناصرُ المطابقة لما هو موجود في المعطوف عليه ، بشرط التطابق في ترتيب المكّونات في كلٍّ من المعطوف والمعطوف عليه . فلو أن التركيب جاء على ما هو الأصل في التركيب الشرطي (ألا وهو البدء بالشرط) لكان تصّور هذا التركيب كما يلي :

(٢٤) . . . وإذا وقب غاسق فقل أعوذ برب الفلق من شره.

وهذا يعني اختلافاً في ترتيب مكونات تركيب المعطوف ، إذا ما قوبل بالمعطوف عليه الذي ترتيبُ مكوناته كالتالي :

(٢٥) قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق . . .

فيمتنع بالتالي حذف (قل أعوذ برب الفلق) من المعطوف المتضمن لـ (إذا) . ولو افترضنا حذفا مع هذا الاختلاف ، لانخرم النسق (وهو أن يحذف من المعطوف ما تطابق مع شيء في المعطوف عليه) . لنتأمّل في (٢٦) و(٢٧) :

(٢٦) قل أعوذ برب الفلق من شرّ ما خلق ، وإذا وقب غاسق فقل أعوذ برب الفلق من شرّه ، ومن شرّ النفاثات في العقد . .

وعند الحذف المفروض جدلا مع اختلاف ترتيب مكونات المعطوف عليه في (٢٦) ، يكون التركيب الناتج كالتالي :

(٢٧) قل أعوذ برب الفلق من شرّ ما خلق ، وإذا وقب غاسق فـ (. . . .) من شره ، ومن شّرّ النفاثات في العقد . .

إذاً ، لابّد من تقديم الجواب مضمّنا الأسماء الظاهرة التي كان يُفترض تضمن الشرط لها ، والاضمار لها من ثَمَّ في الجواب ، كما ورد في الآية في (٢٣).

ومما ذكره الاستاذ عضيمة ، وقد يبدو مشكلا كذلك ، الآية التالية :

(٢٨) «وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى* من نطفة إذا تمنى»[٤٨] .

والحق أنه يقال في هذه الآية ما قيل في سابقتها في(٢٣)

وحتى يتمّ اضعاف آخر حجة للقول بامكان ايقاع (إذا) ظرفاً ، نعرض لمسألة وقوعها بعد القسم ، فقد رأى بعض النحاة[٤٩] أنها لا تكون في مثل هذا السياق الاّ ظرفاً ، وأنها خارجة عن الاستقبال ، كما في الآية :

(٢٩) «والليل إذا يغشى . . . ان سعيكم لشتّى»[٥٠]

وفيما شاكلها . وقد كانت حجة النحاة على عدم شرطيتها أن ما بعدها ، في مثل هذه الآية ، لا يصلح للجواب ، لأنه لا يصلح تعليقه على (إذا) ، فمعنى الكلام ليس متوقفاً على الشرط بعد (إذا) . هذا ، وقد أفرد الأستاذ عضيمة[٥١] حديثاً خاصاً عرض فيه لآراء النحاة وللآيات التي فيها أقسام متلوّة بـ (إذا) . وعلى الرغم من أن النحاة عللوا لخلوّ (إذا) من الشرطية بعد القسم بالقول بأن القسم انشاء ايقاعي من حيث أنه يقع بمجرد نطقه ، فلا يصلح بالتالي لأن يعلق على الشرط بعده ، على الرغم من ذلك ، فإنهم وقعوا في أشكال البحث عن عامل في (إذا) من حيث هي ظرف عندهم . ويرى الأستاذ عضيمة[٥٢] أن الرضى الاسترا باذى قد

---

(٤٨) النجم ٤٦/٥٣

(٤٩) ينظر مثلا : ابن هشام ، المغني ص١٣٠

(٥٠) الليل ١/٩٢

(٥١) دراسات ، قسم١ ج١/ ٩٤ـ ٩٧

(٥٢) السابق نفسه ص٩٥

حسم خلاف النحاة في هذا الأمر بالقول بأن (إذا) ظرف لما دلّ عليه القسم من معنى العظمة والجلال . على أن الحجة التي دفعوا بها كون (إذا) شرطاً (وهي : كون القسم انشاء ايقاعيا) تصدق على القول بايقاع (إذا) ظرفا ، إذ كيف يعلق القسم ، وهو إنشاء ايقاعي ـ كما يقولون ، على ظرف مستقبل ، كما يعدّونه . ان القسم (باستخدام (الواو) متلوة بالمقسم به) اختزال ، كما هو معلوم ، لجملة أريد بها تعظيم مَنْ أو ما أُقسم به . ولعلّ هذا هو تفسير ما أشار إليه الرضي[٥٣] ، وهو نفسه يصلح للقول بشرطية (إذا) ، فلا تعود هذه الآية في(٢٩) ، وغيرها كثير ، دليلا نصيا على انعدام الشرطية في (إذا) بعد القسم .

ان ما مضى من تحليل ومناقشة يقود في الحقيقة إلى النتيجتين التاليتين :

١ ـ (إذا) هذه ليست ظرفاً لا في التركيب(١٧) ولا في ما يشبهه ، ولا في التركيب(١٣) ولا في ما ماثله ، من باب أولى .

٢ ـ جواب الشرط في مثل(١٧) ـ إذا عددناه مفيداً للاشتراط ـ ليس محذوفاً ، كما قال النحاة[٥٤] في جواب (ان) الشرطية ، ولكنه مقدّم .

أمّا النتيجة الأولى ، فان ما سبق من تحليل ومناقشة كاف لتقريرها ، وأما الثانية ، فإنها الأخرى نتيجة تحليلية تؤيدها كل الشواهد التي يقول النحاة ان الجواب فيها حُذِف مدلولا عليه بما قبل الشرط من الكلام . والحق أنه ليس لدى النحاة من دليل على ما يقولون به من عدم جواز تقدم الجزاء على الأداة التي هو في حيّزها[٥٥] ، فحجتهم ، التي يوردونها عند الحديث عن أدوات الشرط الجازمة ، هي أن الجزاء بعد هذه الأدوات

---

(٥٣) شرح الكافية ١٠٥/٢

(٥٤) ابن عقيل ، شرحه ٣٧٩/٢ ـ ٣٨١

(٥٥) ينظر مثلا : ابن يعيش ، شرح المفصل ٧/٩.

يكون مجزوماً إذا كان فعلا مضارعاً ، وأنه تتصل به (الفاء) إذا كان جملة اسمية ، مثلاً . ولمّا كان ما يظّن أنه جزاءٌ مقدّمٌ غيَر مجزوم ، إذا كان مضارعاً ، وغيَر متصل بـ (الفاء) ، إذا كان جملة اسمية ، دلّ ذلك عندهم على أن هذا المظنون جزاءً ، ليس كذلك ، ودلّ على أنه كلام مستلّ . والحق أن تقدم الجواب هو الذي يغني عن الجزم ، مثلاً ، من حيث هو علامة على الارتباط بالشرط ، أو عن (الفاء) كعلامة أخرى . فهذا التقدّم يجعل الجواب معلقاً بالشرط كما يتعلق الكلام بالظرف التالي . فالجواب (متلوّا بالشرط) هو وسيلة الربط التي تضاف إلى وسيلتي الجزم وتطابق الصيغ في الأفعال أحياناً ، وتضاف كذلك إلى وسيلة استخدام (الفاء) ، ذلك أنه لا محيص ، بالتقدم ، من ربط ما يراه النحاة دالاً على الجواب بالشرط التالي . وهذا بحدّ ذاته أقوى وسائل الربط بين الجواب وشرطه ، وعليه لم تكن بنا حاجة إلى استخدام وسائل أخرى ، للربط ، غير التقديم . ومن هنا لم يقع الجزم في المضارع المقدّم جوابا ، وسقطت (الفاء) رابطاً . هذا علاوة على أنه يفترض بالفعل ، إذا كان جوابا للشرط (أو دالاً ـ كما يرى النحاة ، على الجواب) ، أن يُصاغ على نحو يهيئه للدلالة على الاستقبال ما دام قبل الشرط . وما يسميه النحاة دالاً على جواب الشرط ليس في حقيقته إلاّ الجواب نفسه .

هذه النتيجة ، استناداً إلى هذا التحليل ، تسلمنا إلى نتيجة أخرى ، تؤكد النتيجة الأولى ، مفادها أن (إذا) ، إذا ما تأخرت عما يمكن عدّه جوابا ، لا تكون ظرفاً لما وقع مقدّما عليها ، ولكنها تبقى مفيدة للاشتراط ، وما قبلها ، إنْ كان يصلح أن يعلّق عليها وعلى ما بعدها ، جواب لها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خاتمة :

كل ما مضى يقضي بأن (إذا) أداة شرط ، وأن افادتها الاستقبال ليس من أنها ظرف له ، ولكن من كونها للاشتراط ، (إذا) هذه ليست ، كما قرر النحاة ، ظرفاً للمستقبل تضمن معنى الشرط ، ولكنها أداة للشرط لا تتضمن معنى الظرفية كـ (إنْ) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مصادر ومراجع

- ابن الحاجب ، جمال الدين أبو عمر عثمان بن عمر : كتاب الكافية في النحو (جزآن) ، بشرح رضي الدين الاستراباذي ، ط٣ دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٢ .
- ابن عقيل ، بهاء الدين عبد الله : شرح ابن عقيل (جزآن) ، (بتحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد) الجزء الثاني .
- ابن هشام ، جمال الدين : مغني اللبيب عن كتب الاعاريب (بتحقيق : مازن المبارك وزميله) ، ط٥ دار الفكر ، بيروت ١٩٧٩ .
- ابن يعيش ، موفق الدين : شرح المفصل (عشرة أجزاء) ، الجزء السابع : نسخة مصورة عن طبعة محمد منير ، مصر ١٩٢٨ ، عالم الكتب ، بيروت (غير مؤرخ) .
- أبو حيان الاندلسي ، محمد بن يوسف : تفسير البحر المحيط ، دار الفكر ، بيروت ١٩٨٣ .
- الأشموني ، علي بن محمد : شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (مجلدان) : ضمن حاشية الصبان ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة (غير مؤرخ) .
- الجرجاني ، عبد القاهر : كتاب المقتصد في شرح الايضاح (مجلدان) (بتحقيق : كاظم بحر المرجان) ، المجلد الثاني ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ١٩٨٢ .
- حسن ، عباس : النحو الوافي (أربعة أجزاء) ، الجزآن الثاني والرابع : دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٣ .
- الزمخشري ، جار الله محمود بن عمر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (بعناية : مصطفى حسين أحمد) ، (أربعة أجزاء) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٨٦ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

- سيبويه ، ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر : الكتاب كتاب سيبويه (خمسة أجزاء) : (بتحقيق : عبد السلام محمد هارون) ، الجزء الثالث : مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ودار الرفاعي بالرياض (غير مؤرخ) .
- السيوطي ، جلال الدين : همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (سبعة أجزاء) ، الجزء الثالث : دار البحوث العلمية ، الكويت ١٩٧٧ .
- الصبان ، محمد بن علي : حاشية الصبان على شرح الأشموني (مجلدان) دار احياء الكتب العربية ، القاهرة (غير مؤرخ).
- عضيمة ، محمد عبد الخالق : دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، الجزء الأول من القسم الأول (الحروف والادوات) ، ط١ مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٧٢ .
- المخزومي مهدي : في النحو العربي (قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث) ، ط٣ ١٩٨٥ .
- المطلبي ، مالك يوسف : السياب ونازك والبياتي ـ دراسة لغوية ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ط٢ ١٩٨٦ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مناهج المصطلح الكيميائي العربي ومقاييسه

للدكتور مجيد محمد علي القيسي

قبل بضع سنوات ، وفي احدى ندوات التعريب ، التقيت نخبة من الكيميائيين العرب الذين كانوا يناقشون إشكالية التعريب في ميادين العلوم الطبيعية ، مؤكدين المصطلح الكيميائي الذي استعصى المحاولات جميعها على نقله إلى اللغة العربية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكم كانت دهشتنا عظيمة حينما رسم بعضهم علامة الشك حول مقدرة العربية على التعامل وذلك المصطلح ، وبخاصة تسمية المركبات الكيميائية المعقدة . وغلب الحماس أحد الحاضرين فأكد عجز اللغة العربية عن النهوض بتلك المهمة الشاقة مهما بذلت من جهود !، زاعماً أن السبب يكمن في طبيعتها وفي قواعدها التي لم تألف التعبير الدقيق والسليم عن ذلك المصطلح ، سواء أكان بسيطاً أم كان معقداً ، كما ألفته اللغات الاوروبية قديمها وحديثها . وقدم هو ومناصروه من الحجج التي تؤكد عجز اللغة العربية في هذا المضمار ما يحمل أمهر القضاة وأكثرهم عدلاً على الحكم لصالح إدعاءاتهم ، أو هكذا خُيِّل اليهم !

---

* عميد كلية العلوم ـ جامعة بغداد ـ سابقاً .

وفي اليوم الثاني للندوة جاءني ذلك الزميل الكيميائي المتوثب بورقة كتب فيها عدداً من المصطلحات والتسميات الكيميائية وطلب إليّ ، بنبرة تزخر بمشاعر التحدي ، أن أدله على المعجمات والقواميس والمراجع اللغوية والمؤسسات العلمية والأفراد ومجامع اللغة التي ترشده إلى ترجمة تلك الأسماء الأجنبية إلى لغة عربية سليمة .

ولعلم القارىء الكيميائي الكريم ، قرأت في الورقة :

(1) Dichloro (2- N , N-dimethylaminoethyl 2- amino- ethyl sulphide - Ǹ, S) platinum (II) .

(2) 5- (3-pentenyl)- 3,6,8-decatrien -1- ynyl .

(3) - diylidene.

(4) Quark, synchrocyclotron, muon, plasma.

. . . ثم أضاف شفاهاً عشرات المصطلحات المماثلة لما في تلك الوريقة الامتحانية !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولقد شعرت بالهوان ، لا بسبب عجز اللغة العربية عن منازلة تلك الألفاظ والتسميات الكيميائية ، وإنما للحال التي آلت اليها لغة فذة ؛ كانت وما تزال تزخر بالحيوية والعافية ، وهي تُدفع قسراً نحو محنة الاختبار المفتعل .

وسرح بي الخيال حينذاك في أطراف الدنيا لأشاهد لغات شرقية ، ما زالت تكتب برموز وعلامات تجاوزت عشرات الألوف ، وهي أقرب ما تكون إلى الصور المسمارية ، وقد استطاعت أن تقف نداً للانكليزية والفرنسية والألمانية في التعامل والمصطلح العلمي واللفظ الحضاري ، أمثال اللغات اليابانية والصينية والكورية .

ولا أدري لماذا نذهب بعيداً نحو الشرق أو الغرب للاستشهاد وطلب المثال ، وهذه اللغة العبرية الميتة التي لم تكن قبل نصف قرن أكثر من

لغة أدعية وتمائم ، فصارت لغة العلوم الطبيعية والهندسة والتَقنيات ، فضلاً عن العلوم الانسانية والأدب . فأخذت تدرَّس بها المعارف المختلفة في جميع مراحل التعليم ، وأُلفت منها الأسفار والمراجع والمعجمات العلمية والموسوعات وغيرها . ومما لا جدال فيه ان مسؤولية تردي المصطلح العلمي تقع على عاتق القوامين على شؤون التعريب في الأقطار العربية من علماء ومفكرين ولغويين ، وفي مقدمتهم أرباب القرار السياسي . فالمشكلة إذن ليست في بؤس العربية كما يزعم البعض ممن يجهل مبادئها الأولية وقدراتها الذاتية على العطاء . فاللغة ، أياً كانت ، لا تأتي من عدم ، فهي من أسمى نتاجات العقل البشري المبدع ، والمعيار الذي تقاس به عظمة الأمم ، فالإنسان إذن هو خالق لغته وهو وحده القادر على أن يجعل منها سلاحاً للتعبير عما يحيط به من أسرار الحياة ، وليس العكس ، كما يزعم ذلك الزميل المحتج على عجز العربية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويؤكد علماء اللغة في الدول المتقدمة أن اللغات جميعها ، وبلا استثناء ، بمقدورها الاستجابة للتعبير عن أكثر الظواهر الطبيعية تعقيداً وعمقاً ، إذا ما تناول تلك المهمة أناس يدركون كنه تلك الظواهر ويفقهون قوانينها وآلياتها وحساباتها الشائكة . وتستوي في ذلك اللغات الأبجدية ، وفي طليعتها العربية ، واللغات الرمزية كاليابانية والصينية والكورية .

فتخلف اللغة إذن لا ينفصل عن تخلف الناطقين بها في مجالات الحياة المختلفة . ونحن لا نشك لحظة واحدة في أن براعة اللغة الألمانية مثلاً في تناول المصطلح العلمي جزء لا يتجزأ من براعة العالم الالماني في علمه وفي قدرته على فهم مدلولات ذلك المصطلح . وهذا القول يسري أيضاً على الفرنسية والانكليزية واليابانية والروسية وغيرها من لغات الشعوب المتقدمة .

ومع إيماننا بصدق ذلك القول وبداهته كانت اللغة العربية قد تجاوزته بأشواط ، بما تميزت به من قدرات تعبيرية مرموقة سواء أكان ذلك في فقهها أم في قواعدها أم في تراكيبها أم في أبنيتها أم في سعة مفرداتها ورصيدها من الكلم .

وبمقدورنا الجزم أن اللغة العربية تكاد تكون الوحيدة من بين لغات العالم التي تخطت قدراتها الذاتية في التعبير قدرات أوليائها أو الناطقين بها من علماء ودارسي هذا الزمان . فقد اجتازت المحن والاختبارات كافة منذ أكثر من أربعة عشر قرناً .

فهذا كتاب الله العزيز صور لنا خلق الانسان ببضع عبارات وبأسلوب غاية في الإعجاز والإيجاز اللغوي . فقد قال سبحانه وتعالى في سورة «المؤمنون» الآيات ١٢ ـ ١٤ (ولَقَد خلقنا الانسان من سُلالة من طين * ثم جَعَلْناه نُطْفَةً في قرار مَّكِينٍ * ثم خلقنا النُطفَة عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَة فَخَلَقْنَا المُضغَةَ عِظاماً فكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أنْشَأناه خَلْقاً آخَرَ ، فَتَبَارَكَ الله أَحْسَنُ الخَالِقِينَ) صدق الله العظيم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فأية لغة من لغات البشر بمقدورها ان تصف لنا بهذا الايجاز الثّر مراحل تكوين الجنين أفضل مما رسمته تلك الآيات البينات ببضعة مصطلحات بسيطة هي النطفة والعلقة والمضغة والخلق الآخر ؟

وهل تعجز لغة كتلك اللغة عن وصف تفاعل كيميائي ، أو حركة ذرة أو انتقال طاقة أو تسمية مركب ؟!

والواقع أن بعضاً مما ذكره أولئك المحتجون يحمل بين ثناياه جانباً مهماً من الحقيقة المرة التي تتمثل في هزال المصطلح الكيميائي العربي ، لأنه لم يسبق أن دُرِس في ضوء المناهج العلمية والمبادىء القياسية ، بل ترك شأنه للارتجال وللبناء العشوائي المتعجل .

ولو وضعنا جميع المصطلحات الكيميائية المتداولة بين الكيميائيين العرب ، وهي لا تزيد على بضعة آلاف مصطلح ، معظمها ألفاظ بسيطة ومكررة ، في مواجهة الملايين من الأسماء الكيميائية المركبة التي يصل بعض تراكيبها أحياناً إلى أكثر من عشرين مقطعاً متصلاً ، لأدركنا عمق الجرح الذي يقض مضاجع الكيميائيين العرب . ولعل ما قاله الزميل الذي أشرنا إليه وما ذكره في وريقة الاختبار أبسط مثال على غربة الكيمياء العربية ، وعلى عجز علماء اللغة العرب وعلماء الكيمياء معاً في تناول شؤون المصطلح الكيميائي والتسميات الكيميائية .

والمصطلح الكيميائي الحديث لم يعد لفظاً يرتجل هنا وهناك على غير هدى ، بل أصبح جزءاً من منظومة اصطلاحية محكمة البناء ودقيقة المعاني حيث أمست تخضع إلى المئات بل الألوف من القواعد والمبادىء العلمية الدُّوَلية .

وكلما أجال الكيميائي العربي النظر في مصطلحاته تلك وفي الملايين من المصطلحات المتقنة التي أقرها الاتحاد الدولي (الايوياك) ، إنتابه اليأس والقنوط ، فتوجه باللوم إلى اللغة العربية ، فهرب منها إلى اللغة الانكليزية أو الفرنسية للتعبير عن تلك المصطلحات .

ولقد كنا نكرر دوماً ، على سبيل المزاح ، ان الكيميائي العربي يكاد يكون العالِم الوحيد بين أقرانه من الأطباء والمهندسين والتقنيين ، الذي ابتلى بنوع من انفصام الشخصية ! فهو يفكر عربياً حينما يعيش حياته الطبيعية اليومية ، بينما يفكر أوربياً عندما يتعامل ولغة الكيمياء والمصطلح الكيميائي !

ولقد حاولنا في مطلع الستينات دراسة المصطلح الكيميائي العربي دراسة منهجية في إطار القواعد الدُّوَلية . وكان هدفنا يومذاك ينحصر في

نقل التسميات الكيميائية بقواعدها وأنظمتها إلى اللغة العربية بحيث يصبح لدينا بعد حين نظام عربي أصيل يسير على طريق مواز للنظام الدولي ويتصل به في أكثر من محطة علمية .

ولم تكن تلك التجربة ، على أهميتها وضرورتها ، سهلة . فقد وضعت في سبيلها العراقيل والحواجز المصطنعة . فقد كانت لغة التعليم آنذاك هي اللغة الانكليزية في معظم أقسام الكيمياء عندنا . فوقف كثير من علماء الكيمياء موقف اللا مبالاة لأسباب مختلفة لم نكن نجهلها ، وظهرت أمامنا صعوبات حادة تتعلق أصلاً بالقيود التي وضعها عدد من علماء اللغة العربية من حيث التشدد بعدم التوسع في الاشتقاق والمجاز والقياس والاطراد ، أو التصرف المحدود والواعي ببعض الأبنية الصرفية أو إدخال اللغة الرمزية على التسميات الكيميائية مما نعتبره جوهر محاولاتنا ومنهاجنا الجديد .

ولكل تلك الاسباب أصبح المشروع المذكور بين فكي كماشة ، فك يرى أن لا بديل عن المصطلح الأوروبي برسمه ونطقه ومعناه ، وفك آخر ما زال يرفض الاستجابة لحاجات العصر اللغوية . فهو يزعم أن اللغة العربية قد اكتملت وختم عليها بالشمع قبيل عصر التدوين . فلا يصح ، إذن ، أن تلوث باشتقاق لغوي مبتكر ، لم تألفه العرب قبل ذلك العصر . أو أن تبعث الحياة في ألفاظ مهجورة أو ميتة استخدمت على سبيل المجاز الواسع . أما ارتجال المصطلحات الجديدة التي لم تذكرها معجمات السلف ، أو اعتماد الرموز والإشارات بدل العبارة العربية التامة ، فهي من المحرمات !

وفي خضم القيود اللغوية القاسية ، وفي غمرة المشاعر المناهضة لتعريب المصطلح الكيميائي شق المشروع المقترح طريقه بصعوبة ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فتبنته لجنة الكيمياء في المجمع العلمي العراقي في أوائل الثمانينات بعدما قدمناه سلسلة متتابعة من أوراق العمل .

وكان سر قوة المشروع أنه استمد من الحرف العربي ، ومن قواعد العربية مادته وأدواته في صياغة المصطلح الكيميائي مهما بلغ تعقيده وتراكبه . فهو يكاد يخلو من المُعَرَّبات أو الدخيل باستثناء الرموز الدولية التي ليست لها معان لغوية دارجة قبل ذلك الاستعمال ، كما تجنب المشروع النحت من الأسماء أو الأفعال الدخيلة مثل الكَلْوَرَة (chlorination) والألكلة (alkylation) وغير ذلك .

والجدير بالتنويه ان النحوت من الجامد الأعجمي محدودة وعقيمة ، فضلاً عن خطورتها على مستقبل العربية . والمشروع المقترح لا يرفض التعامل وأسماء الأعيان الأعجمية طالما بقيت خارج تصاريف العربية وأبنيتها وقواعدها .

ولما كان معظم أسماء العناصر الكيميائية أعجمي المنشأ وهي تزيد على المئة عنصر ، لم يكن مستغرباً أن تكون الألوف من التسميات الكيميائية ـ العربية أعجمية الأصول غريبة اللفظ والجرس .

وليس بمستحيل على العربية أن تضع لكل عنصر من تلك العناصر اسماً عربياً اعتماداً على صفة أو خليقة ظاهرة فيه . فقد سبق لها أن فعلت ذلك بكل اقتدار . غير أن رفض الكيميائيين لها أمر مؤكد في ظروف المصطلح الراهنة . وليست التجربة الفريدة الفذة التي أقامها منذ عشرات السنين المرحوم الشيخ أحمد الاسكندري ببعيدة عن أذهاننا . فقد اقترح أسماء عربية خالصة لمعظم العناصر الكيميائية ومركباتها تقريباً ، حيث قام بترجمة أسمائها ترجمة دقيقة إلى اللغة العربية . ومن تلك الأسماء : (المصدِّي) للأكسجين و (المُميه) للهدروجين و (المُخَصِّب) للنتروجين

و (المُحَوِّر) للكلور و (المُلْصِفُ) للفلور و (المُوْمِض) للفسفور و (المُفَحِّم) للكربون و (والقلاء) للبوتاسيوم و (الشَّذام) للصوديوم . . . إلخ . واشتق من أسماء العناصر أسماء المركبات فقال : (محوري القلاء) في مقابل (كلوريد البوتاسيوم) و (مُلْصفي الشذام) في مقابل (فلوريد الصوديوم) . وعندما قرأ تلك التسميات زملاؤنا الكيميائيون استقبلوها بالغمز واللمز فصارت من نوادرهم !

من ذلك يتأكد لنا يوماً بعد يوم ، أن مشكلة المصطلح الكيميائي العربي ، باعتباره اللبنة الأولى في هيكل عملية التعريب ، لا بد أن ينظر إليها كأمراض أو متلازمات (syndromes) فكرية ونفسانية وسياسية ، لا كمشكلة لغوية وحسب . ولقد سبق للعالم الجليل ابن خلدون أن شخص ملامح تلك الأمراض الاجتماعية في مقدمته المعروفة . لذلك ينبغي أن تناقش مسائل المصطلح العربي ومشكلات التعريب بعيداً عن مؤثرات تلك الأمراض وبمعزل عن نفوذ ومداخلات الذين أصيبوا بها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مراحل تطور المصطلح الكيميائي

يصعب التكهن بالبدايات الأولى لنشوء المصطلح العلمي في التاريخ ، لأن التمييز بين ما ندعوه اليوم مصطلحاً علمياً وبين الألفاظ العادية التي يستعملها الانسان في حياته اليومية ليس بالأمر اليسير بسبب تداخل النوعين في حياة الانسان .

ولكن المتعارف عليه بين مؤرخي العلوم ، ان المصطلح العلمي بدأ مع بداية نشوء الحضارة اليونانية . فقد نقل الاوربيون والعرب وغيرهم كثيراً من مصطلحات العلوم والفلسفة والمنطق إلى لغاتهم . وما يزال تأثيرها ماثلاً للعيان حتى يومنا هذا . والغريب ان مؤرخي العلوم ، لأسباب

مجهولة ، تجاهلوا الاشارة إلى مصطلحات وتراكيب رمزية قدمتها لنا حضارات اخرى كحضارة وادي الرافدين ووادي النيل .

فلقد أمد السومريون ، ومن بعدهم البابليون والآشوريون ، سكان العالم آنذاك وفي مقدمتهم اليونانيون بكثير من المنجزات الحضارية في الرياضيات والفلك والري ، والطب والتشريع . ويقال إن كثيراً من علمائهم زاروا العاصمة بابل ومنهم فيثاغوراس العالم المعروف بنظريته التي ربما كان قد اقتبسها من علماء بابل .

وما يهمنا في هذا الصدد ، هو تطور الحضارة السومرية والبابلية بعدها في مجال المصطلح العلمي . والمدهش حقاً ان السومريين ، قبل اكثر من خمسة آلاف سنة ، كانوا أول من أبدع النظام المنهجي القياسي في بناء الالفاظ والمصطلحات والجمل . وهو النظام الذي نراه الآن يحكم المصطلح العلمي الأوربي الحديث!

فكلمة (زعفران) مثلاً ، وهو النبات العشبي المعروف ، وصلت إلينا من اللغات العراقية القديمة . فهي تكتب بالعلامات المسمارية (U- Khar- Sag- Sar) ومعناها الحرفي (عشب الجبل البستاني) . وتشير العلامة القياسية (U-) إلى مصطلح (العشب) . ويسمي العراقيون القدماء (شهر آب) (itu-IZi) ومعناها (شهر النار). وتمثل العلامة (itu) رمزاً (للشهر) . فحيثما وجدنا هذا الرمز كان هناك مصطلح يتعلق بأحد أشهر السنة . وهنالك الألوف من أمثال تلك المصطلحات المنهجية الدقيقة المحكمة . وتتميز التسميات السومرية أيضاً بالعبارات الوصفية الجميلة. التي يتصدرها الرمز الذي يشير إلى صنفها وعائديتها . فالسومري يذكر العبارة (Nu-Mu-Su) ويريد بها (الأرملة) ومعناها الحرفي (المرأة التي لا زوج لها!)[1] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والظاهر ان في مقدور الانسان العراقي القديم التمييز بين المصطلحات المختلفة وتشخيص الأصناف والأبواب التي تنتمي إليها من النظرة الأولى وبدلالة الرمز الذي يتصدر المصطلح . وهذا النظام الاصطلاحي المثالي ما زال يحكم المصطلحات الطبية والكيميائية الحديثة .

ومما يؤسف له ان هذا المنهج القياسي البارع ، على بدائيته ، لم يؤثر في مناهج ونظريات المصطلح العلمي العربي لا في السابق ولا في الوقت الحاضر .

وكانت النهضة العلمية العربية الاسلامية قد ركزت جل اهتمامها في بداية الأمر على التعرف على علوم اليونان وفلسفتها ، ثم نقل ما يتفق مع قيمها الحضارية الجديدة وتقاليدها الموروثة . ثم كانت قد اتجهت نحو الحضارات الشرقية للغرض ذاته .

وبرزت أهمية المصطلح العلمي في أثناء قيام المترجمين بنقل أمهات الكتب إلى العربية . وكان هم العلماء العرب الأول هو الحصول على أكبر قدر ممكن من العلوم والمعارف . فجاءت تراجمهم الأولية غنية في مضامينها ركيكة في لغتها ومصطلحاتها . فلم يبذلوا الجهود المطلوبة لترجمة المصطلحات إلى لغة عربية سليمة ، وإنما اكتفوا بنقلها كما هي . فقالوا : ايساغوجي وقاطيغورياس وباري ارمينياس وانولوطيقا وافودقطيقي وسوفسطيقي وريطوريقي إلى غير ذلك من المصطلحات اليونانية ، ثم التفتوا صوب الشرق فنقلوا الخارصين والنوشادر والتيزاب والبورق والتنكار والزنجار والقلندون والمرقشيتا والفيروزج والجمشت وغيرها .

ومن يدقق في تلك المصطلحات يجدها رموزاً واصطلاحات فلسفية أو منطقية أو أسماء لعناصر أو خامات كيميائية لم يضع لها العرب أسماء عربية خاصة بها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما التدابير والأفعال والاجراءات الكيميائية وما يتصل بها من صفات فقد عبروا عنها بلغة عربية سليمة مثل التصعيد والتقطير والترجيم والتشميع والتعقيد والتشوية . . . الخ[٢] .

والغريب ان معظم تلك المصطلحات الأعجمية بقيت على حالها زمناً طويلاً بغير ترجمة .

ولا نريد ان نشتبك مع تلك الظاهرة الشاذة لمعرفة جميع ملابساتها ، لكي لا نبتعد عن جوهر الموضوع الذي نحن بصدد دراسته ؛ غير أن أحد الأسباب الرئيسة المرجحة هو نظرة المجتمع العربي الاسلامي المتحفظة نحو كل من الفلسفة اليونانية وعلم الصنعة ؛ ونعني به الكيمياء (أو السيمياء) وما يتعلق به من خفايا وأسرار .

والكيمياء ، على وجه الخصوص ، لم تكن علماً شعبياً يلبي حاجات الناس بشكل مباشر ؛ لذلك بقيت فنونها وطقوسها حكراً على فئة قليلة جداً من العلماء . ولم يخل المجتمع الكيميائي آنذاك من بعض الدجالين الذين مازجوا ما بين التدابير الكيميائية والسحر والشعبذة والطلاسم . فكانت النتيجة المنتظرة من كل ذلك ان بقي المصطلح الكيميائي على عجمته وغموضه ورمزيته . فلم يحاول حتى فقهاء اللغة المشتغلون بالكيمياء في تلك الأيام التصدي لنقل الألوف من تلك المصطلحات إلى العربية . بل لمسنا عكس ذلك تماماً ؛ إذ شُدد النكير على الدخيل من المصطلحات العلمية ، فأُبعدت عن أمهات المعجمات العربية باستثناء القليل والمتأخر منها .

وفي مقابل تلك الصورة القاتمة ، برز الطب والفنون المتصلة به علماً عربياً اسلامياً شريفاً ، وذلك لصلته الانسانية المباشرة بالناس ، فاحترموا رجاله من الأطباء والصيادلة والممرضين ، وأنسوا إلى نظرياته وتدابيره وتجاربه المنفتحة على المجتمع بعكس ما وجدناه في الكيمياء .

فلم تكن فيه أسرار إلا ما كان يتعلق بشرف المهنة أو يمس حياة المواطنين الخاصة بأمراضهم ، والظروف النفسية المتصلة بأحوال علاجهم . فليس غريباً أن نجد ذلك الاهتمام الجاد المخلص بالمصطلح الطبي العربي وبوسائل بنائه وترجمته ونشره على نطاق واسع في الأمصار الاسلامية الواسعة .

والواقع ان اهتمام العرب لم يقتصر على المصطلح الطبي وحده ، بل شمل مصطلحات الفلك والزراعة وعلم الحيوان والحساب والجبر وشؤون الري وغيرها .

ولقد برع العرب في هذه العلوم والفنون أيما براعة ، فكتبوا فيها الرسائل العلمية والأسفار ، وصنفوا المعجمات المتخصصة التي ما زالت نبراساً يضيء دروب العلماء العرب حتى أيامنا هذه .

وبحلول عصر الثورة الصناعية في أوروبا قبل ما يزيد على القرنين ، دخل المصطلح العلمي والمصطلح الكيميائي على وجه الخصوص ، عهداً جديداً لازدهار العلوم والفنون والصناعات ، فانتعشت حركة التأليف والنشر العلمي ، ووضعت الألوف من المصطلحات الكيميائية بأصولها اللغوية اليونانية واللاتينية والمحلية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولقد تمت صياغة المصطلح الكيميائي في تلك الفترة على أسس من أوصاف المواد الكيميائية أو خصائصها الفيزيائية والكيميائية أو فوائدها أو مواقع وجودها أو أسماء مكتشفيها كما يبدو ذلك بجلاء من الجدول التالي . أمّا التسميات التركيبية والبنائية الدقيقة بوحداتها الالكترونية أو الذرية أو الجزئية ، فلم تكن معروفة في ذلك الحين كما يعرفها علماء هذه الأيام .

جدول يوضح أسماء عدد من العناصر وأسباب التسميات

اسم العنصر بالعربية	اسم العنصر باللغة الأجنبية	معنى الاسم
زئبق	Hydragyrum	الفضة السائلة
فضة	Argantum	الفلز اللاصق
نحاس	Aes Cyprum	الفلز القبرصي
باريوم	Barium (Barus)	الفلز الثقيل
فسفور	Phos Pherus	حامل الضوء
زرنيخ	Arsenikon	العنصر الفعال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويعتمد بناء المصطلح الكيميائي الأوربي ، ومنذ نشأته ، على مصدرين : هما اللغة المحلية واللغتان اليونانية واللاتينية اللتان ما زالتا ترفدانه بالتصديرات واللواحق والجذور وحروف الوصل وأدوات النسبة والرموز والاشارات الدولية .

وفي غياب الأساليب المنهجية والقياسية ، تكدست مئات الألوف من المصطلحات الكيميائية الأوربيّة في معاهد العلم والشركات الصناعية . وتعددت مترادفات المصطلح الواحد حتى في البلد الواحد . فشق على المعنيين بها ملاحقتها واستيعابها . ومن يطلع على محاضر ومقررات (الاتحاد الدولي IUPAC) يلمس بنفسه مدى المصاعب التي واجهته وما تزال تواجهه ، في إبدال العدد الكبير من المصطلحات الكيميائية الدارجة (Trivial) والراسخة في ثنايا الفكر الكيميائي الأوربي ، بمصطلحات منهجية (Systematic) . لذلك أجاز الاتحاد المذكور

الاستمرار باستعمال الدارج منها في الحياة اليومية ريثما يتم تقنين مصطلحات الكيمياء كافة في المستقبل . ولكي نقدم للقارىء الكريم صورة جلية عن فوضى المصطلح الأوربي قبيل تطبيق القواعد الدولية المنوه بها ، نقول : ان الكيميائي الألماني عانى من تلك الفوضى أكثر من غيره ، لِما عرف عن الكيمياء الألمانية من ازدهار وتقدم في ذلك الحين .

فكان ، على سبيل المثال ، يشير إلى (التكافؤ الأدنى Low Valence) باللاحقة (-ur) تارة ، وباللاحقة (-ul) تارة أخرى ، نحو (Eisenoxyd*ul*) و (Kupferchlor*ur*) ، بينما يسميها الكيميائي الانكليزي (-ous) حيث يقول في المركب الأخير (Cupr*ous*) . ثم جاء الكيميائي العراقي أو المصري ليقول (نحاســوز) في حين قال الكيميائي السوري (نحاســور) نقلاً عن الفرنسية .

أمّا الحامِض (H_2SO_4) فيسميه الألماني (Schwefel Säure) أي حامضُ الكبريتِ ، بصيغة الإضافة . ونقلها عنه العالم السوري بالصيغة ذاتها . بينما يسميه الانكليزي (Sulphur*ic* Acid) بمعنى (الحامض الكبريتي ذي التكافؤ الأعلى) وبدلالة اللاحقة النسبية (-ic) التي نقلها كل من الكيميائي العراقي والكيميائي المصري نقلاً حرفياً ، فقالا (حامض الكبريتيك) . وشمل الخلاف نفسه تسمية الحامض (H_2SO_3) وغيره من التسميات المماثلة .

والمؤسف ، ان قيام الكيميائيين العرب بتقليد أساليب المصطلحات الكيميائية الانكليزية أو الفرنسية وأبنيتها العشوائية ، وقبل ادخال المناهج العلمية في تسميتها ، يعدّ أحد عوامل التخلف والوهن في الفكر الكيميائي العربي الذي ما فتىء ينحت في الصخر في سبيل تعريب أصوله وتقنين مصطلحاته دون جدوى ، في الوقت الذي سعى (الاتحاد الدُّوَلي) فيه إلى توحيد أصول المصطلحات والتسميات الكيميائية الأوربيّة ووضع المئات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من القواعد لهذا الغرض ونشرها على اوسع نطاق منذ ما يزيد على النصف قرن .

واللافت للنظر أن الكيميائيين العرب كانوا ولا يزالون يأخذون مصطلحاتهم من المراجع الكيميائية التي لم تلتزم بالنظام الدولي في التسميات !

وفي الوقت الذي كنا نسمع أو نقرأ فيه قصص التناحر والجدل بين أنصار المصطلح الانكليزي وأنصار المصطلح الفرنسي في أثناء انعقاد ندوات التعريب أو في لجان تأليف المعجمات قام عدد ضئيل من مدرسي الكيمياء في بعض كليات العراق بتجربة نظام التسميات العربي الدُّوَلي المقترح كما أشرنا إليه سابقاً ، فاستخدموا نظام (ستوك) على نطاق ضيّق للتعبير عن سُلَّم التكافؤ الكيميائي للعناصر الذي يلغي إشكالية استعمال (ous و ic و ur و ul) وغيرها من لواحق وما تجره من خلافات بين الكيميائيين العرب [٣، ٤] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نقد المصطلح الكيميائي العربي

من خلال دراسة الأسس التي أقيمت عليها آلية اختيار المصطلح العلمي العربي وبخاصة المصطلح الكيميائي ونقدها وتقويمها لاحظنا أن من أهم أسباب ضعف تلك المصطلحات :

(١) خلوها من المنهج العلمي الواضح وافتقارها إلى التنظيم والتقييس .

(٢) ضعف الروابط بين المصطلح العربي ـ مترجماً كان أم معرباً ـ وبين المصطلح الدولي المقابل له من حيث البناء اللفظي ودقة المعنى ومرونة الاشتقاق والتركيب والتواصل . فمن المتعذر غالباً على الكيميائي العربي أن يرد المصطلح العربي المترجم إلى منابعه اللغوية الأوربيّة التي نقل عنها .

(٣) ضعف البناء اللغوي للمصطلحات العربية المركبة والمعقدة ـ على قلّتها ـ بحيث صار من العسير على الكيميائي العربي إعراب ألفاظها وعباراتها ، وهو شرط لا غنى عنه لفهم المعنى العلمي لأي مصطلح .

(٤) تكريس القدرات اللغوية والعلمية في المؤسسات العربية لتعريب وترجمة الألفاظ والمصلحات الكيميائية البسيطة التي لا يتطلب نقلها جهداً كبيراً ، في حين أُهملت المصطلحات والتسميات المعقدة للمركبات غير العضوية والعضوية والكيميائية الحيوية والكيميائية الصيدلانية وما يماثلها سواء أكان لحاجة الدراسة الأولية أم الدراسات العليا .

(٥) افتقار المصطلح العربي إلى وحدة اللفظ والمعنى سواء أكان ذلك على مستوى الأقطار العربية أم كان بين أعضاء القسم الكيميائي الواحد . بل ولاحظنا أن الكيميائي نفسه يرسمه على أوجه مختلفة !!

تلك هي بعض ملامح الضعف والخلل في بناء المصطلح الكيميائي العربي . وقبل أن نقدم الأفكار العامة للمشروع المقترح الخاصة بتقنين وتقييس ذلك المصطلح ، نرى ضرورة عرض بعض الأمثلة الشائعة في الأوساط الكيميائية والسعي لتقويمها وفق المنهاج المقترح .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العينة الأولى

منذ مدة طويلة اقترح مجمع القاهرة العتيد عدداً من الألفاظ المتعلقة بالأطياف (spectra) ، فقال : (مِطْياف) في مقابل (spectr-o-scope) و(مِطْيَفَة) في مقابل (spectr-o-graph) و(مِطْيَف) في مقابل (spectr-o-meter) . وقال بعضهم في أسباب قبولها (ان كلاً منها صيغت من لفظة عربية واحدة مع ما في ذلك من يسر وإيجاز)[٥] .

والواقع ، إننا اخترنا الأمثلة الثلاثة المذكورة لكونها تمثل صورة واضحة للارتجال العشوائي الذي أصبح السمة التي يحملها المصطلح الكيميائي العربي .

فالمصطلحات الثلاثة لا تربطها وشيجة اصطلاحية دلالية بما يقابلها من المصطلحات الأجنبية . فضلاً عن أن إيجاز المصطلح العربي بلفظة واحدة في مقابل لفظتين في المصطلح الانكليزي جاء بعكس النتيجة المطلوبة ، حيث فقد صفته الاستدلالية التي نراها في المصطلح الانكليزي ، فضلاً عن الخلل البنائي في اشتقاقه أصلاً .

وكل مصطلح من تلك المصطلحات الانكليزية الثلاثة مكون من مقطعين ، الأول منهما مشترك بين الثلاثة هو (-spectr) الموصول بالمقطع الثاني بالحرف (-o-) في مقام الوصف له . ويمكن أن نعبر عن أي منها إما بإضافة الأول إلى الثاني أو بإضافة ياء النسبة إليه لنقول (ـ طَيفي) . أما المقاطع الثلاثة الأخرى فهي (- scope) و (- graph) و (- meter) ومعانيها العربية على نسقها : (مِنظار أو ناظور) و (راسِمَة أو مِرْسَمة) و (مِقْيَاس) . فيكون الاسم التام عندئذ (مِنظارُ الطيفِ أو المِنظارُ الطيفي) و (راسِمَةُ الطيفِ أو الراسِمةُ الطيفية) و (مِقْياس الطيف أو المقياسُ الطيفي) .

وعند تدقيق النظر في المثالين من المصطلحات ، يتضح أن مصطلحات المجمع لا تفي بالمعنى لأن اشتقاقها قد حصل من لفظة (طيف) لا من الألفاظ المتصلة بالأفعال (نظر ورسم وقاس) . وعلى هذا النسق قيل أيضاً : (مصغار micrometer) و (مِسْطاح planimeter)[١٠] .

ومن المعروف علمياً أن الأجهزة الثلاثة المذكورة لا (تصنع الطيف) كما جاء في تسميات مجمع القاهرة ، وإنما (ترسمه وتقيسه وتُريه) فحسب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما ما يدعيه أنصار تلك التسميات من ان الترجمة قد تمت لفظاً بلفظ ، ويريدون بذلك أن المصطلح الانكليزي مؤلف من لفظة واحدة ، فذلك مخالف للواقع كما ظهر لنا من التحليل البنائي للمصطلحات الثلاثة .

ونود أن نضيف إلى ما تقدم نقطة جوهرية هي أن لكل مقطع من مقاطع المصطلح الانكليزي معنى وظيفياً واستدلالياً مستقلاً خلافاً لمصطلحات المجمع التي جاءت خالية من أية دلالة اصطلاحية تشير إلى طبيعة وظيفتها المتخصصة .

العينة الثانية

في عام ١٩٧٨ أصدر المجمع العلمي العراقي الموقر مجموعة من المصطلحات الكيميائية[٦] . وعلى الرغم من الجهود القيمة التي بذلت في سبيل اعدادها وإخراجها كان الارتجال العشوائي قد طبع كثيراً منها . فهي تكاد تخلو من أية قاعدة قياسية يمكن أن يعول عليها في بناء الكثير من المصلحات الكيميائية المماثلة . ومن أمثلة ذلك نذكر :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(أ) جاء في المجموعة (كَيْثَر الأسِتلين) في مقابل (acetylene polymer) ، حيث نابت لفظة (كَيْثَر) مناب لفظتين هما (poly+mer) ومعناهما (متعدد + الجزيئات) .

والمعروف ، أن لفظة (كَيْثَر) تعني (الكَثير) ، فهي لذلك تقترب في المعنى من (polymer) . غير أن هذا النوع من الارتجال محدود الفائدة وعقيم : لأن الاشتقاق من اللفظ المذكور مقيد بمعناه الضيق كما سنرى .

ومما يعرفه الكيميائيون ، أن اصطلاح (polymer) يطلق على مجموعة كبيرة من المركبات الكيميائية المؤلفة من جزيئتين فأكثر . ونعني هنا بالجزيئات ، الذرات والشوارد والمجموعات . . . الخ . من هنا تأتي

استحالة اشتقاق العشرات بل المئات من المصطلحات (الأُسَرية) من لفظة (كَيْثَر) ، فضلاً عن الأفعال والمصادر وأسماء المفعولين والفاعلين التابعة لها .

من ذلك المنطلق تأتي أهمية المنهج القياسي الاطرادي الذي يمكن تطبيقه على ما يشتق من (الكيثر) فنقول :

أُحاديُّ الجُزَيء	Mono- mer
ثنائيُّ الجزيئاتِ	Di- mer
عُشاريُّ الجزيئاتِ	Deca- mer
مُتَعَدِّدُ الجزيئاتِ	Poly- mer
يُعَدِّدُ الجزيئاتِ	To poly- mer-ize
تَعَدُّدُ (أو تعديد) الجزيئاتِ	Poly - mer- ization
يُثَني الجزيئاتِ	To di- mer- ize
تَثْنِيَةُ الجزيئاتِ	Di- mer- ization
مُرَبَّعُ الجزيئاتِ	Tetra- mer- ized
قابِلُ تخميسِ الجزيئاتِ	Penta- mer- izable

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(ب) في الصفحة (٢٢٩) من المرجع السابق قيل حامض (أسيتـو أستـيك) في مقابل (acet- o- acet- ic) . فقد نقل المصطلح المذكور إلى العربية بجذوره ولواحقه وحرف وصله وأبنيته اللغوية الأجنبية . وعلى الرغم من كون الجذور الرئيسة في المصطلح المذكور دولية التسمية ، غير أن ذلك لا يبرر نقل المصطلح برمته وبعجمته الى العربية ، لمخالفته مقررات مجامع اللغة العربية كافة في نقل الألفاظ والمصطلحات الأجنبية وفق قواعد العربية وأبنيتها !

ولقد أصبح هذا الاسلوب الغريب هو السائد في المصطلح العلمي العربي مع الأسف الشديد .

ونحن لو تفحصنا المصطلح قيد البحث لوجدناه مؤلفاً من جذر (acet-) المكرر ؛ إذ يصف أحدهما الآخر بواسطة (-o-) . كما يصف الاثنان الحامض . فتكون الصيغة العربية المقبولة (حامِضُ الخلِ الخَلِّيُّ) أو (الحامِضُ الخلِّيُّ الخَلِّيُّ) . أما الصيغة القياسية العربية والدُّوَلية فهي (حامضُ الأسيتِ الأسيتيُّ) أو (الحامضُ الأسيتيُّ الأسيتيُّ) ، قياساً على عبارة (قائِدُ العَرَب العربيُّ) أو (القائدُ العربيُّ العربيُّ) . وسوف نلاحظ أن هذا التشبيه البسيط سيساعدنا على صياغة المصطلح الكيميائي العربي في المستقبل .

وبمقارنة المصطلحين العربي والأجنبي يتضح لنا أن لكل منهما ثلاثة مقاطع متناظرة وبتسلسل واحد ، فضلاً عن دقة المصطلح العربي ومتانة بنيته ووضوح معناه على الرغم من عجمة جذوره الدُّوَلية . فهو ، بالتأكيد ، أقرب إلى وجدان الدارس العربي من الصورة الأجنبية .

ومن فوائد المنهج القياسي المقترح ، أنه يستجيب إلى محاولات الاشتقاق والتواصل والاطراد والإعراب وبالتالي مطاوعته لتقنيات الحاسوب (أو الحاسب الآلي) .

ومن مشتقات الحامض قيد البحث ملحه المعروف (sodium acet-o-acet- ate) وما يقابله ترجمة (خَلِّيُّ خلات الصوديوم) أو تعريباً (أسيتيُّ أستات الصوديوم) .

ولقد أبقينا على اللاحقة (ate -) بلفظها الأجنبي لأنها تمثل أحد الرموز الدُّوَلية المتفق عليها .

ولتلك اللاحقة معان كثيرة ومتنوعة جديرة بالتنويه بها . ففي المثالين : (condens-ate) و (Hydr-o-lys-ate) نجدها تشير إلى ما ينتج عن الفعل الذي يسبقها وهو (condense) بمعنى (يكثف) و (Hydr-o-lyse)

بمعنى (يَحِلُ بالماءِ) . فيكون ، عندئذ ، معنى المصطلحين المذكورين على صيغة (فُعَالة) فنقول (كُثَافة) و(حُلَالة مائية) .

ويمكن أيضاً أن تكون (ate -) لاحقة (فعلية) المعنى فتحول الجذر الذي يسبقها إلى صيغة الفعل نحو : (chlorin- ate) و(alkyl-ate) ؛ فيصبح المقابل العربي لهما (يُفاعِلُ بالكلورِ) و(يضيفُ الالكيلَ) . وعلى وفق هذا الاسلوب المنهجي القياسي يمكننا أن نذكر الأمثلة الآتية :

مُرَكَّبٌ مُفَاعَلٌ بالكلور	Chlorin- ated compound
خُطوة المُفَاعَلة بالكلور	Chlorin- ation step
جزيئة مضاف إليها الالكيل	Alkyl- ated molecule
عمليةُ إضافة الالكيل	Alkyl- ation process
عملية نزع الالكيل	De- alkyl- ation process

ولقد تخبطت المراجع الكيميائية في التعبير عن تلك المصطلحات حيث قالت فيها : (مركبٌ مُكَلَّورٌ) و(خطوة الكَلْوَرة) و(جزيئة مُؤلكلة) . . . إلخ ، تقليداً لبعض العبارات الثقيلة المعربة مثل (فَرْنَسَة وأنكْلَزَة وأَلْمَنَ وأسْبَن) .

(جـ) ورد في الصفحة (٢٤٢) من المصدر السابق اصطلاح (لَحام الهدروجين الذري) في مقابل (atomic hydrogen welding) . ثم تكرر في معجم مصطلحات الهندسة المدنية في الصفحة (٢٢٧) من المصدر نفسه ، وبصيغة أكثر غموضاً وطرافة ، حيث قيل فيه : (لَحامُ ذراتِ الهدروجين) . وقد يفهم الكيميائي أو الفيزيائي العادي من كلمة (لَحام) (شعلة اللحم) أو (فلز اللحم) مما قد يسبب الخلط والالتباس ، هذا فضلاً عن غموض العبارة برمتها من حيث الصياغة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن المعروف أن إضافة (ذرات الهدروجين) أو (الهدروجين الذري) إلى الاسم وهو (لحَام) أو (لَحْم) كما يتصوره البعض إضافة معنوية مخصصة تحتمل في دلالتها معنيين مختلفين كما نفهمها نحن الكيميائيين . إذ يفيد المعنى الأول القيام بعملية (لحَام أو لحم) ، أي دمج الهدروجين الذري ، كما يحصل في حقل الفيزياء النووية ذات الطاقة العالية . وهذا المعنى بعيد عن المقصود بالتأكيد . بينما يفيد المعنى الثاني إجراء (لحم) المعادن أو الفلزات بشعلة الهدروجين الذري وهو المقصود من العبارة المذكورة . ولنتساءل الآن : كيف يفهم القارىء المعاني المقصودة من مصطلحات شبيهة بذلك المصطلح ومقيسة عليه مثل (لحام أو لحم حديد الصب) و (لحم أو لحام النحاس الأصفر) . . . الخ ؟ فعلى من يقع اللحم أو اللحام ، وبأي معدن يتم ؟

ومن المفارقات التي تذكرنا بها تلك الأمثلة ، جملة عريقة كنا ونحن طلاب صغار نحار في معناها هي (جاء ضارِبُ القاضي) . فلم نكن ندري أكان المقصود بها (الذي ضَربَ القاضي) أم (الذي يضَرْبُ من أجلِ القاضي) ؟! وهو المعنى المراد من تلك الاضافة اللامية . وكنا وقتئذ أكثر ميلاً نحو هذا المعنى نظراً لفداحة ضرب رجل في مقام القاضي ! هذا ما قاله لنا المعلم آنذاك . ولكن الحال يختلف في الأمثلة العلمية السابقة ، لأن (اللحم) قد يقع على حديد الصب أو أن يتم بواسطته !

ونحن الكيميائيين ، لا نجرؤ على هز أسس اللغة العربية أو المساس ببلاغتها أو جمال عباراتها ، كعبارة (ضارِبُ القاضي) البليغة . ولكن ، ألا يحسن بنا أن نختار بين ما يكتب للأدب بفنون البيان والبديع ، وهو المطلب الأول ، وبين ما يكتب للعلوم المضبوطة ، حيث تحتل دقة المعنى المقام الأول ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومما تجدر الإشارة إليه ، أن المصطلح الانكليزي نفسه يعاني من فوضى اصطلاحية مماثلة . غير أن الكيميائي الانكليزي بمقدوره التمييز بين الصيغ المبهمة من موقعها في المقالة أو من نوع الاختصاص الذي يقرأ فيه تلك المصطلحات . فهو إذن يفهم المعنى فهماً آلياً واصطلاحياً ، لا فهماً لغوياً كما نفعل نحن المبتدئين في مجالات البحث العلمي وما يفرزه لنا من ألوف وملايين المصطلحات العلمية .

وما تقدم ، يتضح لنا أن استعمال صيغ قياسية ثابتة وواضحة هو دائماً في مصلحة المصطلح الكيميائي العربي . لذلك نؤكد ضرورة استبدال تلك الصيغ المبهمة الخافية كصيغة (لحام ذرات الهدروجين) وما شاكلها ، بعبارات دقيقة وحاسمة لا تقبل تأويلاً . ومن بين الوسائل المطروحة اختيار صيغة الجار والمجرور ، وذلك بإدخال (باء) الاستعانة ، حيث نقول في الأمثلة السابقة (لحم بالهدروجين الذري) و (لحم بحديد الصب) . أما إذا وقع اللحم على (حديد الصب) نفسه ، عندها نقول : (لحم حديد الصب) . وهنا يشترط أن تبقى تلك العبارات صيغاً قياسية وثابتة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكثيراً ما يقع الكيميائي العربي في ملابسات اصطلاحية ناجمة عن الخلط بين صيغتي الاضافة والنسبة . فبعض الكيميائيين مثلاً لا يفرق بين عبارتي (تَفَاعُل قاعدي) و (تفاعلُ القاعدةِ) أو بين (قياسٌ إشعاعي) و (قياسُ الأشعةِ) أو بين (سبيكة نحاسية) و (سبيكة النحاس) ، لأنهم لا يفرقون بين عبارتي (شاعِرٌ عربيٌّ) و (شاعِرُ العرب) !

ونود أن نؤكد ثانية ان هذا النوع من الاضافة المعنوية يفيد في تأكيد الاختصاص . فعندما نقول (تفاعلُ القاعدةِ) ، نفهم من ذلك أن التفاعل اختص بالقاعدة دون سواها . أمّا صيغ النسبة فهي تفيد الوصف العام . فسبيكة النحاس معظمها من فلز النحاس إن لم يكن كلها ، بينما تقل نسبة النحاس عن ذلك كثيراً في السبيكة النحاسية لوجود فلزات أخرى معه .

هذا ما تواضع عليه الكيميائيون اصطلاحاً ، وينبغي الالتزام به اتقاء اللبس .

ويميز الكيميائي الانكليزي بين مختلف صيغ النسبة في لغته وهي كثيرة جداً ، منها ما يلحقها من حروف مثل (O و I) أو لواحق مثل (-ic و -ieal) وغيرها . فحين يقول (Therm-o-grav-i-metr-ic Balance) يقصد به (ميزانُ قياسٍ) يتصف بكونه (وزنياً) أولاً و (حرارياً) ثانياً . لأن الجهاز المذكور هو في الأصل (grav-i-metr-ic Balance) ثم أضيفت إليه صفة أو وظيفة علمية وفنية ثانية هي قياس الوزن في درجات الحرارة المتباينة ؛ لذلك وصف بـ (Therm-o-) . فمثل تلك الصيغ إذن أصبحت هي الخيار القياسي الثابت في استمرارية المصطلح الكيميائي الأوربي واحترام الكيميائيين له . فلا يجوز العبث بتركيبه كتقديم (gravi-) على (Thermo-) أو استبدال (ic-) بـ (ical-) ، أو إحلال (o-) محل (i-) . فلو حصل ذلك قصداً أو سهواً ، لتبدلت مواصفات الجهاز العلمية أو الفنية أو حتى التجارية . . . ولرفضه أو تجاهله الحاسب الآلي للشركة الصانعة إذا ما سُئل عنه تحت أسمائه البديلة!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لذلك كله ينظر الكيميائي الاوربي إلى (الاسم العلمي) نظرته إلى (بصمات الأصابع) التي تحمل هوية صاحبها ما دام على قيد الحياة .

وعلى منوال تلك التسمية القياسية الأجنبية يحق لنا ترجمتها إلى العربية بالتسميات الآتية :

(١) ميزانُ قياسِ الوزنِ والحرارةِ ؛ (٢) ميزانُ قياسِ الوزنِ الحراري ؛ (٣) ميزانُ القياسِ الوزني الحراري ؛ (٤) الميزانُ القياسيُّ الوزنيُّ الحراريُّ .

وبالتأكيد فإن الصيغة الأولى أكثر تخصيصاً ودقة ، وتليها الثانية ؛ في حين تتسم الأخيرة بشمولية المعنى ، كما سنرى في تسمية المركبات .

ومع كل الفروق المذكورة ، لا بد من اختيار واحدة ، واتفاق الكيميائيين على صيغة قياسية واحدة لتسمية الأجهزة الكيميائية المماثلة والتي يزداد عددها باطراد .

(د) أشرنا سابقاً إلى ضرورة العناية بصياغة المصطلحات المركبة عند نقلها من اللغات الأوربية إلى العربية ، بحيث يفهمها الدارس العربي لأول وهلة من غير عناء .

ففي الصفحة (٢١٨) من المرجع السابق (٦) قيل (هيدروليك) في مقابل (Hydr- aul- ic- s) ، وصار هذا الأسلوب المرتجل في التعريب السمة البارزة للكثير من المصطلحات العلمية ، وبديلاً غير موفق عن الترجمة إلى العربية .

إن ما يثير الاستغراب حقاً إصرار بعض مجامع اللغة العربية أو المؤسسات العلمية المعنية بالمصطلح العربي على تجاهل القواعد التي تضعها هي لنفسها أو للآخرين ، فتطلب منهم تفضيل المصطلح المترجم على الدخليل المُعَرَّب ، ذلك لأن الدخيل مهما عملنا فيه من جرائح وترقيعات يبقى عصياً على الاشتقاق والاعراب ، وغريباً عن عقل الدارس العربي ووجدانه ، هذا إلى جانب احتمال تعرض اللغة العربية في المستقبل إلى سيل جارف من الألفاظ الدخيلة التي سوف تقدر بالملايين مثل المركبات الكيميائية والرموز والاشارات وغيرها إذا ما فتحنا أبواب اللغة العربية حتى للألفاظ العادية المتصرفة والبسيطة مثل (ديناميك وميكانيك وهيدروليك) وغيرها من الكلم العادي . لذلك ينبغي أن تقيد الاستعانة بالدخيل المُعَرَّب وحصره بالرموز الدُّوَلية وأسماء الأعلام وبعض أسماء الأعيان والمصطلحات المجردة التي لا تحمل بين تضاعيفها معاني لغوية دارجة باستثناء المعاني الاصطلاحية العلمية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعلى المرء أن يتخيل حال اللغة العربية بعد قرون وهي تجد نفسها دخيلة على الملايين من ألفاظ المستقبل!

وكلمة (هيدروليك) من أصلٍ لاتيني أو يوناني (Hydraulicus, Hydraulikos) ، وأحد معانيها العلمية الاصطلاحية يتصل بجهاز يعمل أو يتحرك أو يتأثر بحركة أو بضغط الماء أو السوائل الأخرى .

ويتألف المصطلح المذكور من ثلاثة مقاطع رئيسة هي (Hydr- وهو الماء أو السائل) و (-aul- وهو الحركة أو الضغط) و (-ics وهو العلم) . فيكون المصطلح العربي المقابل له (عِلمُ حَرَكَةِ السَوائلِ) أو (عِلمُ ضَغْطِ السوائل) ؛ أو بصيغة جمع المؤنث السالم نحو (حَرَكِيَّاتُ السَوائِل) أو (ضغطياتُ السوائِل) . والمؤكد أن أية صيغة من تلك الصيغ العربية البسيطة أقرب إلى فهم الدارس العربي من المصطلح الانكليزي .

ويمكن الاطّراد في اشتقاق كثير من المصطلحات الفرعية لذلك المصطلح مثل :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مِاكنَةٌ بضغطِ السوائلِ	Hydraulic Machine
قوانينُ ضغطِ (أو ضغوط) السوائلِ	Hydraulic Laws
تُرابةٌ مائيةُ التصلبِ*	Hydraulic Cement
مائِعٌ لحركيّاتِ السوائل	Hydraulic Fluid
تَغليفٌ مُقاوِمٌ للسوائل*	Hydraulic Packing
التَّصَلُّبيةُ بالماءِ* أو (التصلبيةُ المائيةُ)	Hydraulicity

وجدير بالتنويه أن المصطلحات التي تحمل العلامة (*) خرجت عن النسق أو القياس المعهود ، وهو أمر متوقع لكثير من المصطلحات التي تحمل أكثر من معنى . لذا يترك أسلوب نقلها إلى العربية إلى براعة الناقل وعمق إدراكه للمنهاج القياسي العام .

ويتضح أيضاً من مجموعة المصطلحات السابقة أن التعبير عن اللاحقة (-ity) قد تم بصيغة المصدر ، وهو اسم تلحقه ياء النسبة مردفة بالتاء للدلالة على صفة فيه[١١] . وهي صيغة كثيرة الاستعمال في العلوم الطبيعية ؛ إذ نقول (الذَّرِّيَّة atomicity) و (العِطْرِّية aromacity) و (الجُزَيْئِيَّة molecularity) . ويعبر عن اللاحقة (-sm) بالصيغة ذاتها نحو (الآليَّة mechanism) .

أمّا المصطلح الآخر وهو (الميكانيك أو الميكانيكا) فإنه موغل في العجمة على الرغم من مقدرة العربية على تناوله بألفاظ مناسبة . فقد أسماه العرب قديماً (عِلمُ الحِيَل أو الحِيَل) فضلاً عن الأفعال العربية (أمْكَنَ ومَكَّنَ وتَمكَّنَ واسْتَمْكَنَ) وهي قريبة منه لفظاً ومعنى . واتحفنا مجمع اللغة العربية في القاهرة بباقة من مشتقاته حيث قال (مَكَني mechanic) لمن يصلح المَكِنات أو يعمل بشكل آلي و (مَكَّان mechanist) لمن يدير المَكِنَة و (مَيْكَنَة mechanisation) لإدخال المكنات في العمل[١٩] . هذا بالإضافة إلى ألفاظ أخرى مثل (المُكْنَة والمَكِنة) وهما القوة والقدرة والاسْتِطاعة و (الحَوْلُ والمحال والحِوَل والحِيلَة) وهي الحركة والتحول والحِذْق وجودة النظر . وكذلك (الآلة) . . . إلخ .

ومن تلك الكوكبة من الألفاظ البسيطة والدقيقة يمكن اشتقاق المصطلحات الآتية :

في الهندسة :

عِلمُ الحِيَلِ . علمُ المَكَنِيَّاتِ	Mechanics
مَكَني	Mechanical
يُمَيْكِنُ . يُمَكِّنُ	Mechanize
مَكِنَة . ماكِنَة . مَكينَة	Mechine
الإلكترونياتُ المَكَنِيَّة	Mechatronics

في العلوم الطبيعية

مَكَنِيَّاتُ الكَمِّ	Quantum Mechanics
الآليَّة	Mechanism
المَكَنِيَّاتُ الموجبةُ	Wave Mechanics
مَكَنِيَّاتُ المَصْفوفاتِ	Matrix Mechanics
المَكَنِيَّاتُ الفلكيّةُ	Celestial Mechanics

وعلى هذا المنوال القياسي المطرد ينقل مصطلح (ديناميك dynamics) إلى العربية فنقول :

عِلمُ القُدْراتِ . عِلمُ الحَوْلياتِ	Dynamics
حَوْلي . مُقْتَدِر . قادِر	Dynamic
عِلمُ القُدراتِ الحرارية . الحولياتُ الحرارية	Thermodynamics
عِلمُ القُدراتِ الهوائية . الحولياتُ الهوائية	Aerodynamics
شَكْلٌ انْسيابي . شكل حولي هوائي	Aerodynamic shape
عِلمُ القُدرات القلبية . الحوليات القلبية	Cardiodynamics
عِلمُ قُدرات السوائل . حَوْليات السوائل	Hydrodynamics
مقياس القُدْرة . مقياس الحَوْل	Dynamometer
دايْن (وحدة قياسية دولية)	Dyne
صِمامٌ حَوْلي . صِمامٌ مُقْتَدِر (صِمامُ تضخيم)	Dynatron
قُطْبٌ حَوْلي . قُطْبٌ مُقْتَدر (قطب مُكَبِّر)	Dynode

ولقد اصطفى المجمع العلمي العراقي مصطلحاً موفقاً ودقيقاً في مقابل (Dynamics) هو (تحريكيّات) ليؤكد لنا سخاء اللغة العربية وقدرتها على البذل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أساليب تقييس المصطلح الكيميائي العربي

أشرنا في مقدمة البحث إلى التطور التاريخي للمصطلح الكيميائي بوجه عام ، وسلطنا الضوء على المصطلح السومري البسيط الذي يمكن أن يُعد بداية للمصطلح المنهجي . ثم تبعه المصطلح العربي الاسلامي فالمصطلح الأوروبي القديم الذي نشأ على تراث اللغتين اليونانية واللاتينية وصفياً مرتجلاً .

وفي النصف الأول من هذا القرن ، قام الاتحاد الدُّوَلي للكيمياء الصرفة والتطبيقية (IUPAC)[٢] بتأليف الهيئات المتخصصة في مختلف فروع الكيمياء . وكان الهدف منها وضع قواعد منهجية لتسمية المركبات الكيميائية العضوية وغير العضوية ، ووضع المصطلحات العامة والرموز والقوانين والتعريفات . . . إلخ . ثم أخذ (الاتحاد) ينشرها تباعاً منذ ذلك التاريخ إلى الوقت الحاضر .

وبعد أن صدرت قواعد (الاتحاد) باللغة الانكليزية ، وتمّت صياغة التسميات الكيميائية ، التزم الكيميائيون الأوربيون بتنفيذ الجانب العلمي فيها ، لكنهم اتخذوا موقفاً متحفظاً وحذراً من قبول اللغة الانكليزية بديلاً عن لغاتهم القومية ، ولغة عالمية للكيمياء ، وهم المجبولون بحبهم واعتزازهم بلغاتهم وبتراثهم الكيميائي الزاخر .

وفي الوقت نفسه شعر الكيميائيون الأوربيون أن الانغلاق على أنفسهم والإنصراف عن مواكبة المناهج والتيارات الدُّوَلية ، سوف يَعْزِلهُم عن باقي العالم ويحرمهم من فرص التعاون في ميادين علمية كثيرة في مقدمتها علوم الكيمياء .

وأشرنا في هذه المقالة أننا استوحينا بعض تجارب الأقطار الأوربية ؛ فوضعنا عدداً من المفاهيم والقواعد للمصطلح الكيميائي واقترحنا تسمية المركبات العضوية وغير العضوية[٣] .

ولقد تم عرض الخطوط العريضة لمشروع التسميات على مؤتمر تعريب التعليم الجامعي في الوطن العربي الذي عقد في بغداد سنة ١٩٧٨[١٣] . ثم قُدِّم بعضه على هيئة مشاريع إلى لجنة الكيمياء في المجمع العلمي العراقي منذ بداية الثمانينات إلى الوقت الحاضر .

والواقع أنّ الإحاطةَ بجميع تلك القواعد العربية الخاصة بالمصطلح الكيميائي العربي وتطبيقاتها الواسعة بمقالة واحدة وشاملة أمر متعذر لسعتها وتشعبها .

وتقوم فكرة التقييس على مبدأ محاكاة المِثْلِ من التسميات الأجنبية الدولية لاستنباط التسمية القياسية العربية وصياغتها بلغة سليمة ، ووفق مبادىء واضحة ومنهج ثابت . وبذا تصبح للمركبات الكيميائية المنحدرة من فصيلة أو مجموعة واحدة تسميات موحدة . وينسحب هذا التعريف إلى جميع المصطلحات الكيميائية الأخرى من غير تفريق .

ولغرض تنفيذ فكرة القياس عند وضع أو نقل المصطلحات الكيميائية الأجنبية إلى العربية ، ينبغي لمن يقوم بهذا العمل أن يلم بعدد من المعايير والشروط والخطوات الأساسية التي يتطلبها ذلك العمل الفني وهي :

(١) دراسة التركيب اللغوي للمصطلح الأجنبي قيد النقل ، دراسة تحليلية مفصلة ، وتحديد مقاطعه أو جذوره الرئيسية والثانوية ، وتعيين التصديرات واللواحق وحروف الوصل ومعرفة معانيها بالضبط .

(٢) ضبط أصول المقاطع اللغوية للمصطلح (يونانية ولاتينية وعربية وأوربية حديثة . . .إلخ) وتحديد المعنى الدقيق لكل مقطع من مقاطع المصطلح المنقول .

(٣) مقارنة المعنى اللغوي الشائع (إن وجد) بالمعنى العلمي الاصطلاحي

المشتهر به بين الكيميائيين لمعرفة مدى التطابق أو التقارب بينهما .

(٤) اختيار لفظة عربية مناسبة في مقابل كل مقطع من مقاطع المصطلح الأجنبي ، كخطوة أولية ، بناء على المعنى الشائع أو المعنى الاصطلاحي ، أيهما أقرب إلى فهم الدارس العربي ، بحيث يتطابق أو يتقارب المعنيان العربي والأجنبي ، حتى نحصل على مثال عربي تجريبيّ وأولي لذلك المصطلح . ولا يشترط دائماً تماثل المصطلحين من حيث عدد المقاطع إذا كان الأمر متعذراً .

(٥) تهذيب المصطلح العربي الأولي وضبط تركيبه اللغوي بانقاص أو زيادة مقاطعه (ألفاظه) عند الضرورة ، واختبار صلاحه لفظاً وجرساً ومعنى ، وإعادته إلى لغته الأجنبية المنقول عنها بقدر المستطاع ، لمعرفة مدى ثباته ودقه معناه .

(٦) العمل على إدخال الرموز والإشارات العربية أو المُعَرَّبة وإحلالها محل الأجنبية ورسمها بالحرف العربي مثل (ate و ite ـ و ide ـ و ose ـ و lyte ـ و on ـ و tron ـ و de ـ و mer ـ و sis ـ . . . إلخ) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٧) ضرورة المحافظة على تسلسل المقاطع المتتابعة في كلا المصطلحين العربي والأجنبي قدر المستطاع ، على أن لا يكون ذلك على حساب سلامة المصطلح العربي من حيث لغته أو معناه .

(٨) الالتزام بترجمة المصطلح الأجنبي إلى العربية وعدم اللجوء إلى التعريب إلا لضرورة ماسة ، كتعريب أسماء الأعلام وما يقاس عليها كأسماء العناصر والمركبات والرموز الدولية ، على أن يرسم المصطلح بالحروف العربية .

(٩) ضرورة المحافظة على ثبات البناء اللغوي للمصطلح القياسي العربي بعد أن تقره المراجع المختصة على أن لا يسمح باعادة النظر فيه إلا

لتلك المراجع . ومن ثم إلزام المؤسسات العلمية العربية كافة باستعماله دون سواه .

(١٠) الإفادة التامة من رصيد اللغة العربية الغزير وذلك بإحياء المهجور من الألفاظ والتوسع في الاشتقاق والمجاز واستعمال غير الشائع من الأبنية الصرفية واستيحاء التجارب العربية باستعمال الأبنية القياسية كتجارب الأطباء العرب مثلا [٧، ٨] .

ولكي ندرك أهمية المبادىء والخطوات السابقة ، ينبغي لنا أن نتناول عدداً من الأمثلة المثالية وترجمتها أو تعريبها وفق الأسلوب المقترح . ولا يشترط هنا انطباق المعايير والمبادىء المذكورة بكافة على كل مصطلح ينقل إلى اللغة العربية ، بل يترك ما يناسب كل مصطلح من المصطلحات المعنية إلى حصافة صاحب المصطلح وحاجته . وله أيضاً أن يتصرف بمرونة ، فيضيف إلى رصيده معايير أخرى إذا ما دعته ضرورة لذلك . فالمبادىء المذكورة سابقاً ليست قوانين طبيعية لا يجوز تغييرها ، وإنما هي لوازم وضعية وقواعد عامة وضعت لتلبية حاجات معينة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتتناول الأمثلة المقترحة مصطلحات عامة وتسميات كيميائية بسيطة ومعقدة :

المثال الأول : أسماء تبدأ بالسابقة (Glyc-)

تنحدر لفظة (Glyc- أو Glyco-) من أصل يوناني (Glyk-) وتعني في الأصل (حلو المذاق) . ثم اتسعت معانيها الاصطلاحية في الكيمياء لتتناول كل ما يتصل بمصطلح (السُّكَّر الأُحادي) البسيط . ومن مشتقات تلك اللفظة نذكر :

(أ) Glycemia (Glyc + emia) و Hem = emia ومعناها (الدم) . فيكون معنى المصطلح (سُكَّر + دَم) . ويحتمل عدداً من المعاني

الاصطلاحية في الكيمياء منها (سكَّرٌ في الدم) أي (سُكَّر الدم) . وسماها المعجم الطبي الموحد (سُكَّرِيَّة الدم) على صيغة المصدر الصناعيّ[٨] . ويشتق من المصطلح المذكور عدد من المصطلحات الثانوية مثل (Hypo- glyc-emia : **نقصُ سكريةِ الدمِ**) و (Hyper- glyc- emia : **فَرْطُ سكريةِ الدم**) . ويلاحظ هنا تطابق تسلسلِ المقاطع في المصطلحيْن العربي والأجنبي .

(ب) Glycose (Glyc +ose) . واللاحقة القياسية الكيميائية (-ose) تعنى (صنف السكر أو السكريات) . فيكون المعنى العام الشائع للمصطلح (حُلْوٌ من صنف السكر) . ثم تحول إلى معنى اصطلاحي هو (صِنْفُ السُّكرياتِ الأُحادية) أو باختصار (سُكَّرٌ أُحاديٌّ) . فيكون في الآخير معنى (-ose) (سُكَّرٌ) ، نحو (Fruct- ose سكر الفواكه) ، و (Lact- ose سكر اللبن) ، و (Galact- ose سكر الحليب) ، و (mann- ose سكر المنِّ) .

وتوضح لنا تلك الأمثلة كيفية تحول المصطلح من المعنى العام إلى المعنى الخاص (الاصطلاحي) . وقد يبتعد بعضها عن بعض ليؤكد لنا ضرورة الانتباه في أثناء اختيار المقابلات العربية ، كما حصل في السابقة (-Glyc) التي تحولت من (حلْو) إلى (صنف أُحادي) .

(جـ) Glycoside (Glyc+ ose + ide) . وللاحقة (-ide) معان كثيرة ؛ لكنها في هذا المصطلح تمثل رمزاً كيميائياً دولياً يصف مجموعة من مشتقّات (الأستال) في السكريات الأُحادية بلغة الكيميائيين ، وهي في أصلها اللغوي إحدى علامات النسبة . فتصبح التسمية المستنبطة للمصطلح أما (سُكريٌّ أُحاديٌّ) بالترجمة ، أو (سُكَّر أُحاديٌّ) بالتعريب ، قياساً على (كلوريد وكبريتيد ومائيد) .

وتستخدم التسميتان المذكورتان كمصطلحين اعتياديين في العبارات الكيميائية . أما في التسميات الكيميائية القياسية ، عندما يكون المركب المذكور جزءاً من مركب معقد ومتواصل ، حينئذ تقلب التسمية لتصبح (ـ أُحاديُّ السكريُّ) أو (ـ أُحاديُّ السُكَّرِيد) ، وذلك للمحافظة على تسلسل المقاطع .

(د) Glycosidase $\left(\frac{\text{Glyc}}{1}+\frac{\text{ose}}{2}+\frac{\text{ide}}{3}+\frac{\text{ase}}{4}\right)$.

وتشير الكاسعة (-ase) إلى صنف الخمائر . وقياساً على ما تقدم من مصطلحات مماثلة ، تصبح الصيغة المستنبطة للمصطلح المذكور

$\left(\frac{\text{خميرُ}}{4}\ \frac{\text{أُحادي}}{1}\ \frac{\text{السكري}}{2\ 3}\right)$ أو $\left(\frac{\text{خميرُ}}{4}\ \frac{\text{أُحادي}}{1}\ \frac{\text{السُكريد}}{2\ 3}\right)$.

ويلاحظ هنا توافق التسلسل في النموذجين الدولي والعربي ، بعد أن أُخذ بالاعتبار تقديم المضاف (خمير) على المضاف إليه (أحادي) بحسب مقتضيات العربية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(هـ) Glycolipid (Glyco + lipid) . ومعنى (lipid) (صنف الشحوم) . فيكون اسم المصطلح (شَحْمُ سُكريٌّ) أو (شَحْمُ السُكر) . أما في المركبات المعقدة المتواصلة فنقول فيه مركب (ـ شحميٌّ سكريٌّ ـ) بصيغة النسب المتتابعة .

(و) Glycolysis (Glyco + lysis) . ومعنى (-lysis) (تَحَلُّلٌ أو حَلٌّ) ، وهي مؤلفة من شقين (-ly يتحلّل) و (-sis) علامة مصدرية ؛ فيكون المعنى المنهجي لمصطلح (تَحَلّلُ السكرِ الأُحاديِّ) أو (تَحَلّلُ الأُحاديِّ السكرِ) ، وأصلُهُ(تحلُّل المركَّبِ الأُحاديّ السكّرِ) ، حيث حذفت لفظة (مركب) للعلم بها . وسوف نشرح هذا الأمر لاحقاً .

(ز) Glycogen (Glyco + gen) . ومعنى (gen أو gene) (مُوَلِّدٌ) ؛ فتكون التسمية (مُوَلِّدُ السُّكَّرِ الأُحاديِّ) أو (مولد الأُحاديّ السُّكَّر) وذلك في المركبات المتواصلة . ولهذا المركب اسم دَارج هو (النِشاء الحيواني) .

(ح) glycogenesis (glyco + gene + sis) . ولهذا المصطلح معنيان ، الأول (تكوينُ مُوَلِّدِ أحاديِّ السكرِ) ، وهو الأكثر استعمالاً ، والثاني (توليدُ الأُحاديِّ السكرِ) أي توليدُ المركب الأحاديِّ السكرِ .

(ط) glycogenolysis $\left(\frac{\text{Glyco}}{1} + \frac{\text{geno}}{2} + \frac{\text{Lysis}}{3}\right)$.ومقابله في العربية (تَحَلّلُ مولدِ السُكرِ الأُحاديِّ) أو

$$\left(\frac{\text{تَحَلل}}{3}\ \frac{\text{مُولِد}}{2}\ \frac{\text{الأحاديِّ السُكرِ}}{1}\right)$$.

ويلاحظ في هذا المثال أن صيغة (النسبة) لغرض الوصف في التسمية الدولية تقابلها صيغة (الاضافة) في الاسم العربي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(ي) Glycosyl (Glyc + ose + yl) . وتمثل اللاحقة (-yl) رمزاً دولياً ينقل اسم العنصر أو المركب الكيميائي إلى صيغة جذره (Radical) مثل (Eth-yl Alcohol) أي كحولُ الأثيلِ . فيكون اسم المصطلح (سُكريلٌ أُحاديٌّ) .

(ك) Glycosyltransferase (glyc + ose + yl +transfer + ase) . ومعنى المقاطع وفق تسلسلها الدولي (سُكَّرٌ أحادي + ايْل + تَحَولٌ + خَميرة) يقابله المعنى العربي (خميرةُ تحولِ الأُحاديّ السُكريلِ) في المركبات الكيميائية الشبه المتواصلة .

أما إذا ما وردت تلك المركبات وجذورها في مركبات كيميائية معقدة ومتواصلة مثل (glycopyranosyl- B- glucoside) ، فأمر تسميتها يخضع لعدة اعتبارات سوف نعرض لها فيما بعد .

المثال الثاني : تسمية الأجهزة والآلات المنتهية بالكواسع : (scope- و meter- و graph-) .

ندرج في الجدول الآتي عدداً من الأجهزة العلمية والكيميائية البسيطة والمركبة وتسمياتها المنهجية المقترحة :

التسمية بالعربية	التسمية بالإنكليزية
أ ـ منظارُ أو ناظورُ الطيفِ	(1) Spectr-o-scope
ب ـ المنظارُ الطيفيُّ	
أ ـ مقياسُ الطيفِ	(2) Spectr-o-meter
ب ـ المقياسُ الطيفيّ	
أ ـ راسمةُ الطيفِ	(3) Spectr-o-graph
ب ـ الراسمةُ الطيفيّةُ	
أ ـ مقياسُ الحرارةِ	(4) Therm-o-meter
ب ـ المقياسُ الحراريُّ	
أ ـ المقياسُ الجوِّيُّ	(5) Bar-o-meter
ب ـ مقياس الضغط الجوّيّ	
أ ـ مقياسُ الصِّغارِ (أي الأشياء الصغار)	(6) Micr-o-meter
ب ـ مقياسُ المُصَغَّراتِ	
أ ـ مقياسُ المِغناطِ أو المِغْنَطيسِ	(8) Magnet-o-meter
ب ـ المقياسُ المغناطيّ أو المغنطيسيّ	
مقياسُ الكَثافةِ	(9) Dens-i-meter
مقياسُ الكَثافةِ البصريّة	(10) Densit-o-meter *
أ ـ مقياسُ الكثافةِ الطافي	(11) Hydr-o-meter *
ب ـ المقياسُ المائيّ (ترجمة حرفية)	
مقياسُ الكثافةِ الدورقي (أو الحوصلي)	(12) Pykn-o-meter *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(13) Spectr-o- (1) phot-o- (2) meter (3) — المقياسُ (٣) الضوئيّ (٢) الطيفيّ (١)

(14) Absorpti-o- meter — المقياسُ الامتصاصيُّ

(15) Absorption (1) spectr-o- (2) phot-o- (3) meter (4)

أ ـ المقياسُ (٤) الضوئيّ (٣) الطيفيّ (٢) الامتصاصي (١) (تسمية قياسية)

ب ـ مقياسُ (٤) الامتصاص (١) الضوئي (٣) الطيفي (٢)

(16) Infra (1) red (2) absorption (3) spectro- (4) photo- (5) meter (6)

أ ـ المقياسُ (٦) الضوئي (٥) الطيفي (٤) الامتصاصي (٣) تحت (١) الأحمر (٢) (صيغة مفضّلة)

ب ـ المقياسُ (٦) الضوئي (٥) الطيفي (٤) الامتصاصي (٣) الأحمر (٢) التحتي (١)

(17) Energy (1) dispersion (2) X- (3) ray (4) fluoro- (5) photo- (6) meter (7)

أ ـ المقياسُ (٧) الضوئي (٦) التألقي (٥) الشعاعي (٤) السيني (٣) التفرقي (٢) للطاقة (١)

(أو الطاقي) وهي تسمية قياسيّة .

ب ـ المقياسُ (٧) الضوئي (٦) التألقي (٥) لطاقة (١) الأشعة (٤) السينية (٣) المتفرقة (٢)

وهي صيغة شبه قياسية لاختلاف تسلسل لفظة (طاقة) في الاسميْن العربي والأجنبي .

(18) Wave (1) length (2) dispersion (3) X- (4) ray (5) fluoro- (6) photo- (7) meter (8)

أ ـ المقياسُ (٨) الضوئي (٧) التألقي (٦) الشعاعي (٥) السيني (٤) المتفرق (٣) (التفرقي)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

للطول الموجي (تسمية قياسيّة) . ويجوز القول :

المقياس الضوئي التألقي الشعاعي السيني التفرقي الطولي الموجي .
٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١

ب ـ المقياس الضوئي التألقي للطول الموجي المتفرق للأشعّة السينيّة .
٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١

والآن لنقف عند الجهازين الأخيرين وقفة متأنية لنتعرف على وظيفتيهما ، ومن ثم على تسميتيهما المقترحتين . فكل من الجهازين يقيس الضوء المتألق المنبعث من تفاعل الأشعة السينية مع العناصر الكيميائية ؛ غير أن الجهاز الأول يتابع مقدار الطاقة المتفرقة بينما يتابع الثاني الطول الموجي للاشعة المذكورة . ولقد اقترحنا لكل جهاز عدداً من التسميات العربية يتصف بعضها بالقياس لانطباقه على الاسم الدولي في المعنى وتسلسل المقاطع والبعض الآخر اعتيادي أو شبه قياسي .

والمتتبع لتينك التسميتين يلاحظ أن التسمية القياسية تميل إلى الصورة الرمزية غير المألوفة في العبارة الاعتيادية ، لأنها لغة اصطلاحية حيث تتابعت فيها الصفات للحفاظ على المنهج القياسي المقترح .

وأيًّا كان الاختيار ، فإن الصيغتين كلتيهما تخدمان الغرض المطلوب منهما وهو دقة المعنى وسلامة اللغة وسهولة الرد إلى الأصل الدولي ، وهي الأسس التي يعتمد عليها مبدأ القياس . لذا لا ينبغي حمل المصطلح العربي كرهاً لكي تنطبق مقاطعه على مقاطع المصطلح الأجنبي خلافاً لقواعد اللغة العربية أو على حساب المعنى العلمي .

ومما يؤيد سلامة الصيغ المقترحة للجهازين السابقين كونها سهلة الأبنية واضحة المعاني ، ويمكن بقليل من الجهد إعادتها إلى الأصل الأجنبي .

المثال الثالث : تسمية المصطلحات المشتقة من الجذر (-sol-)

اخترنا هذا المثال الكيميائي المركب والمعقد لاختبار قدرة اللغة العربية على مجاراة اللغات الأوروبية القديمة والحديثة في تناول التراكيب الاصطلاحية المعقدة .

يعرف الكيميائيون ان للجذر (-sol-) عدداً من المعاني أو التعاريف يتعلق أحدها بارتباط طور (phase) بطور آخر ارتباطاً فيزيائياً ـ كيميائياً . فعند إضافة ملح ما (وهو طور صلب) إلى الماء (وهو طور سائل) ، يقال حينذاك إنّ الملح (ذابَ) في الماء ، فكوَّنَ الطوْران (محلولاً) . ويسمى الملح (مُذاباً) والماء (مُذيباً) .

وللجذر المذكور عدد من المشتقات المهمة هي :

(١) (sol : **الحُلُّ**) : وقد أسمته بعض المعجمات (الصُل) ، وهو تعريب لا مسوغ له البتة . ومن أنواعه (الحُلُّ المائي hydrosol) و (الحُلُّ الكحولي alcosol) و (الحُلُّ الهوائي aerosol) . . . إلخ .

(٢) (Sol- uble : قابِلُ الذَّوَبانِ) . وبعضهم ينقله على فَعُول (ذَؤوب) أو على فَعَّال (ذَوَّاب) أو على فاعِل (ذائِب) أو على مِفْعال (مِذواب) .

(٣) (Sol- ubil- ity) : (قابليةُ الذَّوَبانِ) أو (الذَّوَبانية) ، على صيغة المصدر الصناعي . ولهذه الصيغة أوجه أخرى لا مجال لذكرها هنا .

(٤) ($\frac{\text{Sol-}}{1}$ $\frac{\text{ubil-}}{2}$ $\frac{\text{ize}}{3}$) : وهو فعل يقابله بالعربية مقطعٌ بمقطع : ($\frac{\text{يَجْعَلُه}}{3}$ $\frac{\text{قابلَ}}{2}$ $\frac{\text{الذَّوَبان}}{1}$) أو (يزيدُ قابليةَ الذوبانِ).

ويُفَضَّل القول (قُبِلَ الذوبانَ) ، أي قَبِلَ الملحُ الذوبانَ .

(٥) ($\frac{\text{Sol-}}{1}$ $\frac{\text{ubil-}}{2}$ $\frac{\text{iz-ation}}{3}$) : وهو مصدر الفعل السابق ، ومقابله العربي (جَعْلُهُ قابِلَ الذوبانِ) أو (قَبولُ الذوبانِ) ؛ كأننا نقول (The solubilization of salt ، بمعنى قَبولُ المِلحِ للذوبانِ) أو (قبولُ الملحِ الذوبانَ) .

(٦) (Sol- ubil- iz- er) : وهو اسم الفاعِل للفعل السابق . ومقابله (مُزَيِّدُ قابليةِ الذَّوَبانِ) أو (مُزَيِّدُ الذوبانيةِ) . وهو عامل كيميائي يضاف إلى المُذاب والمذيب معاً لزيادة الذَّوَبانية وحفْزِها .

(٧) (Sol- uble- ness) : وهو مصدر آخر قليل الاستعمال ، وترجمته القريبة (القابليةُ الذوبانيةُ) .

(٨) (Dis- solve) : فِعلٌ مرادف تقريباً لـ (solve) ، أي (يُذيبُ) .

(٩) (Dis- sol- ution) : مصدر الفعل السابق وترجمته (إذابةٌ أو ذَوَبانٌ) .

(١٠) (Sol- ute) : (المُذَابُ) .

(١١) (Sol- vent) : (المُذِيبُ أو المِذْوَبُ) .

(١٢) (Sol- ution) : مصدر معناه (مَحْلولٌ) ، وقد رسخ هذا الاسم في المراجع رغم افتقاره إلى الدقة ، وأفضل منه (الحَلُّ أو الانحِلالُ) .

(١٣) (Sol- vable) : مرادف (soluble) تقريباً ، ومقابله العربي (قابِلُ الحَلِّ) . والحَلُّ مرادف (الذَّوَبان أو الذَّوْبُ) .

(١٤) (Sol- vate) : وأصلها (solvent + ate) (نِتاجُ التذاوب) ؛ وهو اتحاد كيميائي أو فيزيائي بين المذُاب والمذُيب . ومثاله (hydr-ate) ومُعربه (هِيدرات) وترجمته (ماءات) .

(١٥) (Sol- vated) : من صيغ المبني للمجهول ، ومقابله (مُذَوَّبٌ) أو (متذاوب) ؛ إذ يقال (solvatedion : شقٌّ مُذَوَّبٌ) .

(١٦) (Sol- vation) : (التَذاوُبُ) .

(١٧) (Sol- ve) : مرادف (Dissolve) وهو الفعل (يُذيبُ) .

(١٨) (Sol- vency) : أحد المصادر النادرة الذي يصف حالة (المُذِيبِ) وكينونته . ويشتق على صيغة المصدر الصناعي حيث يقال (المُذِيبِيَّة) أو (المِذْوَبِيَّةُ) .

(١٩) (Sol- vo- lysis) : مصدر أصله (solvent + o + lysis) ، وهو تفاعل كيميائي بين المُذيب والمُذاب . وهو مماثل (للتذاوب) . وترجمته

القياسية (تَحَلّلٌ بالمُذيبِ) أو (تَحَلّلٌ مُذِيبيٌّ) . ويقال أيضاً (حَلٌّ بالمذيبِ) . ومن أمثلته (Hydrolysis : تَحَلّلٌ بالماءِ) و (Ammonolysis : تحلّل بالأمونيا أو تحلل أمونيي أو حَلٌّ أمونيي) .

(٢٠) (Sol- vo- lyze) : فعل المصدر السابق ويقابله بالعربية (يتحلّل بالمذيبِ) أو (يُحلِّلُ بالمذيبِ) .

وفي رصيد العربية أبنية أخرى كثيرة ومشتقات للفعل (ذَابَ) ليس لها نظائر في اللغات الأخرى ، نذكر منها (اسْتَذابَ) : بمعنى طلب الإذابَة ؛ و (الذَّوْبَة) : المَرّة من الذَّوْبِ ؛ و (انْذابَ) : لمطاوعة الذَّوب نحو : أذَبْتُه فانْذَاب ؛ و (تَذَاوبَ) : لمشاركة الذَّوَبان نحو : (تَذَاوبَ الكحولُ والماءُ) ، أو لوقوع الذَّوَبان تدريجياً نحو (تَذَاوبَ السكرُ في الماءِ) ، وكذلك (مِذْوَاب) و (ذُوَبة) أي كثير الذوبان . وذَوَّبَ للمبالغة في بذل الجهد أو الطاقة على الذوبان . و (المَذابُ) : المسار الذي تسلكه عملية الذوبان ، أو المصدر الميمي الذي يصف صورة الذوبان وحالته نحو (كان مَذَابُ المِلْح سريعاً) . وأخيراً هناك (أذْوَبُ) وهي من صيغ التفضيل نحو (السَمادُ الكيميائي أذْوَبُ من السماد الحيواني) .

ونكتفي بهذا القدر اليسير من النماذج لايضاح مقدرة العربية على التعامل مع المصطلح الكيميائي بنوعيه البسيط والمعقد . ولولا ضيق المساحة لذكرنا الكثير من هذه النماذج ، وبخاصة الأمثلة التي احتج بها المحتجون من الكيميائيين الذين أشرنا إلى تمردهم على العربية في صدر المقال .

التسميات الكيميائية Chemical Nomenclature

مما لا شك فيه أنّ استعمال الأسلوب المنهجي القياسي في نقل المصطلح الكيميائي الاعتيادي إلى العربية يسري أيضاً على أنظمة تسمية المركبات الكيميائية بالقدر نفسه من اليسر والتوفيق .

وتبنى التسميات الكيميائية للمركبات على الأسس العلمية واللغوية المار ذكرها في الصفحة (١٦٨ ـ ١٧٠) ، فضلاً عن بعض الشروط الخاصة التي هي :

(١) متابعة القواعد الدولية التي اقترحها الـ (IUPAC) في التسميات العربية .

(٢) الاحتفاظ بالتصديرات واللواحق والرموز الدولية لفظاً ومعنى ونقلها إلى العربية بالحروف العربية مثل (ol و yl و ide و ate و ane) . . . إلخ .

(٣) الاحتفاظ بالأسماء الدارجة (Trivial) والأسماء العربية التراثية ، إلى جانب الأسماء القياسية وحصر استعمالها في مجال الصناعة والتجارة والنشر الثقافي والتعليم العام .

(٤) نقل الأسماء الأجنبية المركبة بموجب الأبنية العربية والاستعانة بالصور اللغوية الرمزية عند الحاجة لاستكمال شروط القياس ، واجتناب التراكيب المزجية أو النحت من الألفاظ الأجنبية وفك ترابط الأسماء الأجنبية المتواصلة قبل نقلها إلى العربية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولما كانت التسميات الكيميائية المنقولة إلى العربية تعدُّ بالآلاف اكتفينا بأمثلة قليلة منها :

التسميات غير العضوية Inorganic Nomenclature

المثال الأول : تسمية الحوامض Acids

(أ) **الحوامض العضوية** : تسمى الحوامض العضوية (قياسياً) بإضافة ياء النسبة إلى اسم الجذر الدولي للحامض ، كما تسمى بالتسميات الدارجة ، باضافة اسم الحامض المحلي أو الدولي ، بعد ترجمته إلى العربية قدر المستطاع ، إلى لفظة حامض نحو :

الحامِضُ الاسيتي (حامِضُ الخَلِّ) Acet-ic acid

الحامِضُ السِتْريُّ (حامِض الليمون) Citr-ic acid

الحامض الأُوكساليُ (حامِض الحُماض) Oxal-ic acid

(ب) الحوامض غير العضوية الثنائية الذرات Binary Acids

تسمى الحوامض الثنائية والشبه الثنائية (pseudo- binary) التي تكوِّن جذوراً سالبة منتهية باللاحقة (ـ يد ide ـ) باعتبارها مركبات ثنائية أو شبه ثنائية للهيدروجين نحو :

كلوريد الهيدروجين Hydrogen Chloride

أو (الحامضُ الهيدريُّ الكلورِ) (Hydrochloric Acid)

كبريتيدُ الهيدروجين (شبه ثنائي) Hydrogen Sulphide

(جـ) الحوامض غير العضوية المتعددة الذرات Polyatomic والمنتهية جذورها باللاحقتيْن (ـ آت ate ـ و ـ يت ite ـ) :

يسمّى هذا الصنف من الحوامض على أشكال كثيرة منها :

المنهج الأوّل : ويسمّى بالأُسلوب الألماني . وقد استعارته بعض الأقطار العربية ، وأساسه أن يضاف اسم العنصر المكوِّن للحامض إلى لفظة (حامض) في مقابل الكاسعة (-ic) ، وان تستعمل صيغة النسبة إلى العنصر في مقابل الكاسعة (-ous) . ولقد أوصى الاتحاد الدولي بالابقاء على الكاسعتين السابقتين في الحوامض الشائعة بصورة مؤقتة في الأرجح ، ريثما تترسخ التسميات المنهجية للحوامض الأقل انتشاراً في الفكر الكيميائي ثم تعميمها على بقية الحوامض . ولكننا في المنهج المقترح نرجح الأُسلوب القياسي في جميع الحوامض غير العضوية وأملاحها بالنظر إلى حداثة الكيمياء العربية وتواضع رصيدها من المركّبات والمصطلحات . وسوف نذكر ذلك في المنهج الثاني . ومن أمثلة المنهج الأوّل نذكر :

حامضُ الكبريتِ Sulphur - ic acid

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحامض الكبريتي	Sulphur- ous acid
حامضُ النتروجينِ	Nitr- ic acid
الحامض النتروجيني	Nitr- ousacid
الحامض تحت النتروجيني	Hypo- nitr- ousacid
الحامضُ فوق أُكسي النتروجيني ٥ ١ ٢ ٣ ٤	Per- oxo- nitr- ous » 1 2 3 4 5
حامضُ فوق أُكسيٍ النتروجينِ ٥ ١ ٢ ٣ و ٤	Per- oxo- nitr- ic » 1 2 3 4 5

المنهج الثاني :

وهو المنهج القياسي الذي قدره الاتحاد الدُّوَلي في تسمية الحوامض الأُكسيجينية الأقل انتشاراً . ونحن نفضل تعميمه ليشمل جميع الحوامض غير العضوية وأملاحها لأنه الأكثر مطاوعة للقياس والاطراد . فهو لا يعتمد على الكاسعتيْن (-ic و -ous) فقط للاشارة إلى التكافؤ (أو عدد التأكسد) ، وإنّما يستند إلى قاعدة ستوك (Stock) التي تشير إلى أعداد التأكسد بالأرقام .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويمكن تلخيص المنهج الثاني بأن يضاف اسم العنصر المكوِّن للحامض إلى لفظة (حامض) وإلحاقه بعدد تأكسده بين قوسين . ومن أمثلته نذكر :

حامضُ الكبريتِ(٦)	Sulphur- ic acid
حامض الكبريتِ(٤)	Sulphur- ous acid
حامضُ النتروجين (٥)	Nit- ic acid
حامض النتروجين (٣)	Nitr- ous acid
حامضُ تحتَ النتروجين (٣)	Hypo- nitr- ous acid
حامضُ فوقَ أُكسي النتروجينِ (٥)	Per- oxo- nitr- ic acid

حامضُ حراريٍّ الفسفور (٥)	Pyro- phosphor- ic acid
أو (حامض الفسفور (٥) الحراري)	
حامضُ المنغنيز (٦)	Mangan- ic (VI) acid
حامضُ المنغنيز(٥)	Mangan- ic (V) acid
حامضُ رباعيِّ أكسيِّ الرينيوم (٧)	Tetra- oxo- rhen- ic (VII) acid
حامضُ خماسيِّ أكسيِّ الرينيوم (٧)	Penta- oxo- rhen- ic (VII) acid
حامِضُ رباعيِّ كلوريِّ الذهبِ(٣)	Tetra- chlor- o- aur- ic (III) acid

وهناك صيغ أُخرى لتسمية الحوامض وهي تسميات غير قياسية لا نرى فائدة من الإشارة إليها الآن .

المثال الثاني : تسمية المجموعات المتعدِّدة الذرات

تشتق تسمية هذه المجموعات التي تعامل معاملة المعقدات (Complexes) من اسم الذرة المركزية ، واعتبارها مجموعات تناسقية (Coordination Compounds) ، وذلك بإضافة الكاسعة (ـ آت ate ـ) والإشارة إلى جميع ذرات المجموعة وإلى عدد التأكسد للذرة المركزية بين قوسين نحو :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

Sodium tetra - oxo - Sulphate (VI)

رُباعيُّ أُكسي كبريتاتِ (٦) الصوديوم

(الاسم الدارج : كبريتات الصوديوم (Sodium Sulphate

Sodium tri- oxo- Sulphate (IV)

ثُلاثي أُكسي كبريتات (٤) الصوديوم

(الاسم الدارج : كبريتيت الصوديوم (Sodium Sulphite

Potassium oxo- di- chloro- imido- phosphate (V)
1 2 3 4 5 6 7

أكسيُّ ثنائيُّ كلوريٌّ إميديٌّ فُسفات (٥) البوتاسيوم
٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ١

وتوفيراً في الجهد يجوز القول في المجموعات والأملاح البسيطة :

كبريتاتُ (٦) الصوديوم Sodium Sulphate (VI)

كبريتات (٤) الصوديوم Sodium Sulphate (IV)

(بدلاً من كبريتيت الصوديوم) .

المثال الثالث : تسمية الأملاح المزدوجة والمثلّثة وأمثالها :

فلوريدُ البوتاسيوم والمغنسيوم Potassium Magnesium Fluoride

(Hexa) Sodium Chloride Fluoride (bis) Sulphate

1 2 3 4 5 6

كلوريدُ و فلوريدُ و(مَثْنىٰ) كبريتاتِ (سداسيٍّ) الصوديوم

٣ ٤ ٥ ٦ ١ ٢

Sodium hexa aqu- o - zinc tri- uranyl acetate

1 2 3 4 5 6 7

أستاتُ الصوديوم وسداسيُّ مائيٍّ الخارصين وثلاثيُ اليورانيل

٧ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ونلاحظ في المثال الأخير أن هنالك مزيجاً متحداً من (أستات الصوديوم) و (أستات الخارصين السداسية الماء) و (أستات اليورانيل الثلاثي) قد تمت تسميته بإضافة العناصر الفلزيّة الثلاثة إلى جذر (الأستات) ، وعطفت العناصر بعضها على بعض بـ (الواو) منعاً للالتباس ، وخلافاً للاسم الدُّولي الذي حذفت منه (and) لشخوصها في المعنى العام . ويجوز حذف (الواو) من غير تشويه للمعنى ؛ فقد جوزت العرب حذف حرف العطف[١٤] كقول أحدهم :

كيف أمسيت كيف أصبحت مما

يزرع الود في فؤاد السقيم

ويريد بذلك (كيف أمسيت وكيف أصبحت) . غير أننا نفضل بقاء (الواو) إحكاماً لصياغة التسمية .

المثال الرابع : تسمية المركَّبات المعقّدة (Complex Compounds)

تسمّى المركَّبات المعقّدة تلك التي تحتوي على اللواجن (ligands) غير العضوية والعضوية وفق المنهج القياسي السابق باستثناء بعض الفروق البسيطة التي تتعلق بأوصاف المجموعات .

ولضخامة عدد تلك المركبات وتشعب قواعدها سوف نقتصر على ذكر بضعة أمثلة نموذجية منها إلى أن يتسنى لنا نشرها كاملة في المستقبل :

(أ) Di- (1) amido- (2) tetr- (3) amine- (4) Cobalt (5) (III) (6) Ethoxide (7)

إيثُكسيدُ (٧) ثُنائيِّ (١) أميديِّ (٢) رُباعيِّ (٣) أمينِ (٤) الكوبلت (٥) (٣) (٦)

و (إيثكسيد eth +oxide) تركيب مزجي متحد ودولي الأصل . ويجوز لمن يشاء فك ارتباطه على نحو (إيثي أُكسيد) لإيضاح معناه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(ب) Tetra- (5) chloro- (6) platinate (7) (II) (8) Tetrakis (1) (pyridine) (2) platinum (3) (II) (4)

رُباعيُّ (٥) كلوريِّ (٦) بلاتيناتِ (٧) (٢) (٨) رُباعِ (١) (بريدين) (٢) البلاتينِ (٣) (٢) (٤)

وتأتي التسمية المذكورة على القياس إذا وضعنا في الحسبان تقديم (بلاتينات) على (بلاتين) على وفق قواعد العربية ؛ أي بتقديم (المضاف) الرئيس على (المضاف إليه) الرئيس أيضاً ، لأن المركب المذكور هو في الأصل (بلاتيناتُ البلاتينِ) ، ومن ثم وصفت (البلاتينات) برباعية الكلور ووصف (البلاتين) برباع البريدين بعبارات الإضافة . وكان عدد التأكسد لكليهما ٢ .

ويلاحظ في التسمية القياسية المذكورة تتابع خمسة مضافات ، وهو تعبير غير مألوف في لغتنا اليومية ، ولكنه شائع في لغة الكيمياء وفيما تتسم به من رمزية واصطلاحية .

فنحن لو قلنا ، وبالصيغة اللغوية المألوفة :

(البلاتيناتُ الرباعيةُ الكلورِ والمتحدةُ مع البلاتين الرباع البريدين) لتناثرت وحدة المنهج المقترح ولضاع القياس .

وهنالك صيغة أُخرى سهلة الحفظ ولها أنصارها بين الكيميائيين هي :

رُباعُ (بريدين) بلاتين (٢) رُباعيٌّ كلوريٌّ البلاتين (٢)
١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨

غير أنها تجافي قواعد العربية وتثير اللبس . فإحلال المُضاف محل المُضاف إليه أمر غير مقبول ، لأنه سيغير من مفاهيم التسميات العربية ويخلط بينها وبين المفاهيم الأجنبية ، لأن النقل هنا قد تم بشكل آلي .

(جـ) Bis (3 - cyclo - penta - dienyl) Hydrido Rhenium (I)
1 2 3 4 5 6 7 8

مَثْنَى (إيتا-حَلَقي خُماسيٌّ ثُنائيٌّ إينيلٍ) هيدريديٌّ الرينيوم (١)
١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٥ ٦ ٧ ٨

وهذا النمط من التراكيب الاصطلاحية واسع الانتشار في التسميات الكيميائية ، وفي العضوية نفسها من حيث تطابق تسلسل المقاطع في الصورتين الدُّولية والعربية .

وبتحليل التركيب اللغوي الاصطلاحي لهذه التسمية نلاحظ تكرار الجذر الكيميائي المحصور بين القوسين ، وبمقاطعه الأربعة (من ٢ ـ ٥) مرتين . فقلنا (مَثْنَى) ، ثم أضيف الجذر الى لفظة (مَثْنَى) ، وعطف (هيدريدي) على (مَثْنَى) من غير حرف عطف ، وهي صيغة معروفة في العربية كما رأينا . وأخيراً أُضيفَ (الرينيوم) إلى (هيدريدي) . أما لفظة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(مَثْنَى) فهي صفة لموصوف محذوف هو (مُرَكَّبٌ) ، وقد حذف للإيجاز ولعلمنا به دوماً ، لأن التسمية التامة هي : هذا مُرَكَّبٌ مَثْنَى (إيتا . . .) إلخ . وهي على غرار قولنا (هذا رجلٌ شاعِرٌ بلدتِه وشعبِه وأُمتِه والعالمِ ، وقائدُ وطنه العريق) مع شيء من التبسيط في مقارنة المثلين ، لأن إرتباط الوحدات داخل المركب مسألة معقدة ودقيقة ، ولا تقبل التأويل كعَلاقة الشاعر بقبيلته !

أما المقطع الرمزي (dienyl) فيتألف من ثلاثة مقاطع ثانوية ومتحدة هي (di + ene + yl) ، ويعني للكيميائي اتحاد (اثنتينْ di) من الأواصر المزدوجة (اين ene) لتكوين الجذر بإشارته (ايل yl-) . وسوف نبحث لاحقاً الوسائل المختلفة للتعبير عن تلك الجذور الرمزية المتحدة ، منها ما هو متـجم ، وهو قليل جدًّا ، ومنها ما هو معرّب قد كتب بالحرف العربيّ مع المحافظة على نطقه الأصلي . ذلك لأنّ رموزاً اصطلاحيّة مثل (ene و yl) لا تختلف كثيراً عن إشارات (مورس) البرقية (Telegraph) ؛ إذ سرعان ما تفقد دلالتها الاصطلاحية الدُّولية بمجرد نقلها إلى العربية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(د) Potassium (1) penta (2) - chloro (3) - nitrido (4) - osmate (5) (VI) (6)

خماسي (٢) كلوري (٣) نتريدي (٤) أوسمات (٥) (٦) البوتاسيوم (١)

(هـ) penta (1) - ammine (2) (di (3) - nitrogen (4)) Ruthenium (5) (II) (6) chloride (7)

خماسي (١) أمين (٢) (ثنائي (٣) نتروجين (٤)) كلوريد (٧) الروثينيوم (٥) (٢) (٦)

وهنا تقدم (كلوريد) المضاف على (الروثينيوم) ، وهو المضاف إليه .

(و) Lithium (1) Cyclo (2) - arsenato (3) chromato (4) sulphato (5) phosphate (6)

حلقيُ (٢) زرنيخاتيُّ (٣) كروماتيُّ (٤) كبريتاتيُّ (٥) فُسفاتِ (٦) الليثيوم (١)

(ز) Dodeca wolframo phosphate (3 -) ion
1 2 3 4 5

شق إثنا عَشَري ولفرامي الفسفات (٣-)
٥ ١ ٢ ٣ ٤

أو إثنا عَشَري ولفرامي شق الفسفات (٣-)
١ ٢ ٥ ٣ ٤

مع تفضيل الصيغة الأولى .

(ح) Tri -μ- carbonyl bis (tri carbonyl iron)
1 2 3 4 5 6 7

ثُلاثي ـ ميو ـ كربونيل مَثْنَى (ثلاثي كربونيل الحديد)
١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧

(ط) Dodeca -μ- chloro octahedro - hexa niobium (2 +) chloride
1 2 3 4 5 6 7 8

كلوريد إثنا عَشَري ـ ميو ـ كلوري ـ مُثَمَّن ـ سداسي النايوبيوم (٢)
٨ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التسميات العضوية Organic Nomenclature

لا تختلف التسميات العضوية عن التسميات غير العضوية من حيث الأُسس العامة أو المنهج ، إلا أن هنالك بعض الفروق النوعية سوف نذكرها من خلال مناقشة عدد من الأمثلة المختارة .

ولمّا كان حجم المركبات العضوية ضخماً جدًّا وأصنافها كثيرة ، فقد تعددت قواعدها وتشعبت أنظمتها ، بحيث أمسى التعريف بها جميعاً وبمقالة غير شاملة كهذه أمراً متعذراً . لكنا سوف نحاول طرح بعض تلك القواعد إلى أن تحين الفرصة المواتية لنشر التسميات العربية ـ الدولية كافة ، واستفتاء الكيميائيين العرب عنها في وقت نرجو أن لا يكون بعيداً .

ومما لا شك فيه أن التسميات العضوية والعضوية الحيوية bio-organics على وجه التخصيص أكثر تعقيداً وأعسر نطقاً وأصعب رسماً من التسميات غير العضوية ، لتعقد تراكيبها الكيميائية ، وكثرة رموزها وإشاراتها ، حتى أمست عبئاً ثقيلاً على كاهل الكيميائيين في أثناء كتابتها أو النطق بها أو استذكارها .

ولقد حاولنا جهدنا التخفيف من وطأة تلك التسميات عن الدارس العربي في أثناء نقلها إلى العربية ، وذلك بتحليل تراكيب التسمية الدولية إلى جذورها وسوابقها ولواحقها ورموزها ، ونقلها بالتفصيل إلى العربية وفق المنهاج المقترح مع الحفاظ على النهج الدولي .

المثال الأوّل : تسمية بعض الرموز العضوية الدولية

تعدّ الرموز العضوية الدولية من العلامات الرئيسة في تحديد هوية المركب العضوي ومعرفة صنفه وعائلته التي ينتمي إليها في إطار قواعد (الاتحاد الدولي IUPAC) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن بين العدد الكبير لتلك الرموز ننقل القليل منها على سبيل التمثيل :

الرمز المعرب	المعنى العلمي	الرمز الدولي
(أ) ثُلاثي إينْ أو أترايْ إينْ	اتحاد ثلاثة أواصر مزدوجة	- atri-ene
(ب) ثُنائي إينْ أو دايْ إينْ	اتحاد اثنتين من الأواصر المزدوجة	- adi-ene
(جـ) ثنائي إينْ آينْ أو (أدايْ إينْ آينْ)	اتحاد اثنتين من الأواصر المزدوجة وآصرة ثلاثية واحدة	- adi-en-yne
(د) إين ثنائي آين أو (اينْ دايْ آينْ)	اتحاد آصرة مزدوجة واحدة وآصرتين ثلاثيتين	- ene-di-yne

ومن السهل أن يلمس الكيميائي العربي الفائدة من فك ارتباط تلك الرموز ، وذلك لسهولة كتابتها وصحة نطقها وإدراك معانيها ، بمقارنتها بصيغها المدمجة (آداينيناين) و(إينداياين) التي تتبعها كتب الكيمياء المعربة في جامعاتنا .

المثال الثاني :

$$\frac{5-}{1}\ \frac{(3-}{2}\ \frac{pent}{3}\ \frac{en}{4}\ \frac{yl)}{5}\ \frac{-3,6,8-}{6}\ \frac{tri}{8}\ \frac{en-}{9}\ \frac{1-}{10}\ \frac{yn-}{11}\ \frac{yl}{12}$$

الصيغة الأولى (المترجمة)

$$\frac{٥-}{١}\ \frac{(٣-}{٢}\ \frac{خُماسي}{٣}\ \frac{إينْ}{٤}\ \frac{إيلْ)}{٥}\ \frac{-٣،٦،٨-}{٦}\ \frac{عُشاري}{٧}\ \frac{ثلاثي}{٨}\ \frac{إينْ-}{٩}\ \frac{١-}{١٠}\ \frac{آينْ}{١١}\ \frac{إيلْ}{١٢}$$

الصيغة الثانية (المترجمة)

$$\frac{٥-}{١}\ \frac{(٣-}{٢}\ \frac{خُماسي}{٣}\ \frac{إينيل)}{٤و٥}\ \frac{-٣،٦،٨-}{٦}\ \frac{عُشاريٌّ}{٧}\ \frac{ثلاثي}{٨}\ \frac{إينْ}{٩}\ \frac{-١-}{١٠}\ \frac{آينيل}{١١و١٢}$$

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصيغة الثالثة (المعربة)

٥ ـ (٣ ـ ينت إينْ إيل) ـ ٣،٦،٨ ـ ديكاتراي إينْ ـ ١ ـ آينْ إيل .

الصيغة الرابعة (المعربة)

٥ ـ (٣ ـ بنتينيلْ) ـ ٣،٦،٨ ـ ديكاترايينْ ـ ١ ـ آينيل

والصيغة الكيميائية للمركب المذكور بالأبجدية العربية هي :

ـ$كْ^{١}$ ≡ $كْ^{٢}$ـ$كْ^{٣}$ هـ= $كْ^{٤}$ هـ- $كْ^{٥}$ هـ- $كْ^{٦}$ هـ= $كْ^{٧}$ هـ- $كْ^{٨}$ هـ= $كْ^{٩}$ هـ- $كْ^{١٠}$ هـ$_{٣}$

ك هـ$_{٣}$- ك هـ = ك هـ-ك هـ$_{٢}$-ك هـ$_{٢}$

و(ك) رمز عنصر الكربون و(هـ) رمز عنصر الهيدروجين .

ونرى من المفيد أن نلقي الضوء على البنية اللغوية للصيغ السابقة لنتأكد من صحة مطابقتها للصيغة الكيميائية . فالتسمية تتألف من عدد من النعوث المتتابعة التي تصف (المركب) الذي حذف ابتغاء الإيجاز ، لأن أصل التسمية التامة (هذا مركبٌ خماسيٌّ إينيل وعشاريٌّ ثلاثيٌّ إين آينيل)، كما مر بنا .

ولقد تم بناء التسمية العربية على أساس الصيغة الكيميائية . فالمقطع الرئيس في المركب الذي تدور حوله التسمية هو (العُشاري ـ deca). وتشخيصه شرط لنجاح التسمية . وهو (هيدريُّ الكربون Hydrocarbon) بعشر ذرات كربون (من ١ ـ ١٠) ، وقد استبدلت فيه (ثلاث) أواصر منفردة (بثلاث) أواصر (مزدوجة) في المواقع (٣ و ٦ و ٨) حيث رمز إلى كل منها بـ (إينْ en) فصارت (ثلاثي إينْ Trien) حيث وصفته بها ، فأصبح (عُشاري ثلاثي إين decatrien) .

وفي المقطع الرئيس آصرة (ثلاثية) في الموقع (١) رمز إليها بـ (-yn-) . ولما كان المقطع الرئيس جذراً حراً ، أشير إلى ذلك بالعلامة (ـ يل yl ـ) . ويتصل بالمقطع الرئيس فرع في الموقع (٥) وهو هيدري كربون (خماسي -pent) ، يحمل آصرة مزدوجة واحدة رمزها (إين -en-) ، فأصبح اسمه (خماسي إينْ -penten) . ثم ارتبط المقطع الفرعي بالمقطع الرئيس من خلال (جذره الحر) ورمزه (ـ يل yl ـ) حتى أصبح اسمه (خماسي إينيل pentenyl) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المثال الثالث :

di	chloro	(2-	N,	N-	dime	thyl	amino	ethyl	2-	amino
1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11

ethyl	Sulphide	-N	,S)	Platinum	(II)
12	13	14	15	16	17

ثنائي كلوري (٢ـ ن، ن ـ ثنائي مثيل أميني أثيل

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩

٢ أميني كبريتيدِ الأثيل ـ ن، س) البلاتين (٢)

١٠ ١١ ١٣ ١٢ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧

أما صيغتاه العربية والأجنبيّة الدُّوليّة فهما :

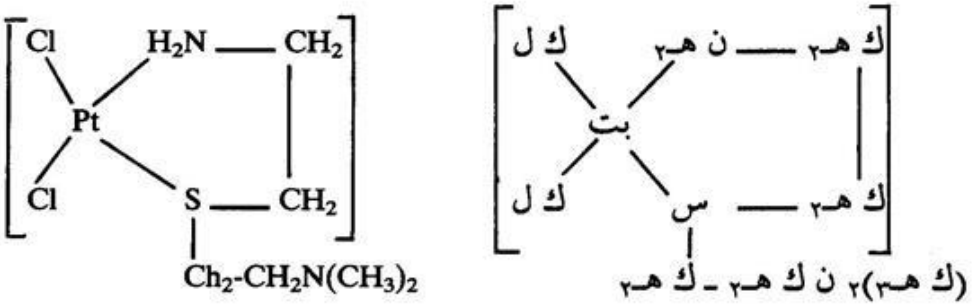

ونودّ أن نذكّر السادة القراء بأنّ المركب المذكور ، **وهو عضوي فلزي** (Organo-metallic) ، كان واحداً مما سُئِل عنه **الكيميائيون المحتجون** ، وقد أشرنا إلى ذلك في المقدمة .

إنّ العنصر (المحور) الرئيس في هذه التسمية هو (البلاتين) ، وقد وصف بعدد من المضافات الأساسية والثانوية (وهي المذكورة بين القوسين) ، لأن أصل المركب (أو نواته) هو (ثنائي كلوري البلاتين) .

أمّا العناصر الكيميائية الواردة في المركب المذكور فهي الكربون (ك) والهيدروجين (هـ) والنتروجين (ن) والكبريت (س) والبلاتين (بت) والكلور (ك ل) .

ونلاحظ هنا تطابق المقاطع باستثناء الموقع (١٣) ؛ حيث تقدم (كبريتيد)، وهو المضاف ، على (الأثيل)، وهو المضاف إليه .

المراجع

(١) طه باقر ، من تراثنا اللغوي القديم (مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٠) .

(٢) محمد بن أحمد الكاتب الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، (إدارة الطباعة المنيرية ، مصر ، ١٣٤٢هـ) ، ١٤٨ .

(٣) للمؤلف ، التسميات القياسية العربية للمركبات الكيميائية في ضوء القواعد الدولية ، مشروع مقدم إلى لجنة الكيمياء في المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٣ .

(٤) للمؤلف ، المعجم الكيميائي الجامعي ، مخطوط قدمت أجزاء منه إلى لجنة الكيمياء في المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٠ .

(٥) وجيه السمان ، التعريب في العلوم الطبيعية ، مجلة الآداب ، ع ٢ ، شباط ، ١٩٧٥ ، ص ٣٦ .

(٦) المجمع العلمي العراقي ، مصطلحات الكيمياء ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج ٢٩ ، ١٩٧٨ ، ص ٢٢٩ .

(٧) عبد اللطيف البدري ، رأي في المصطلحات الطبية ، دورة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٦٥ .

(٨) محمود الجليلي ، رئيس التحرير (المعجم الطبي الموحد) ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ط ٢ ، ١٩٧٨ .

(٩) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ط المكتبة العلمية ، بلا تاريخ .

(١٠) المجمع العلمي العراقي (مصطلحات علمية) . ١٩٨٦ ، ص ١٨٤ .

(١١) الشيخ مصطفى الغلاييني (جامع الدروس العربية)، جـ١ ، ١٩٧٧ ، ص ١٨١ .

(١٢) International Union of Pure and Applied Chemistry, Chemical Nomenclature, Pergamon Press, 1979.

(١٣) للمؤلف ، العربية ووحدة المصطلح الكيميائي ، مؤتمر تعريب التعليم الجامعي في الوطن العربي ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، بغداد ، ١٩٧٨ .

(١٤) ابن عصفور الاشبيلي ، شرح جمل الزجاجي ، ج ١ ، تحقيق الدكتور صاحب أبو جناح ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ٢٥٢ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الزَّمَخْشَري والشعوبيَّة

للدكتورة بهيجة باقر الحسني
كلية الشريعة - جامعة بغداد

حياته :[1]

هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري الخوارزمي الملقب بجار الله ، قال الزمخشري :[2]

---

(١) ترجمته في أزهارالرياض ٢٨٢/٣ ، وارشاد اللبيب ١٤٧/٧ ، وانباه الرواة على أنباه النحاة ٢٦٥/٣ ، الأعلام ٥٥/٨ ، وبغية الوعاة : ٣٨٨/٣٨٩ ، وتاريخ ابن الأثير ٨/٩ ، وتاريخ الاسلام للذهبي (وفيات ٥٣٨) ، وتاريخ أبي الفداء ١٦/٣ ، وتاريخ ابن كثير ٢١٩/١٢ ، وجريدة العراق الأحد ١٨ كانون الثاني ١٩٨٧ ، وروضات الجنات ٦٨٤/٦٨١ ، وشذرات الذهب ١٨/٤ وطبقات ابن قاضي شهبة ٢٤١/٢ ، وطبقات المفسرين للسيوطي : ٤١ ، والعقد الثمين ٢٩/٢ ، وكشف الظنون ٧٤ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ١٦٤ ، ١٨٥ ، ٦١٦ ، ٧٨٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢ ، ٨٣٣ ، ١٠٠٩ ، ١٠٥٦ ، ١٠٨٢ ، ١٠٨٥ ، ١٢١٧ ، ١٣٢٦ ، ١٣٩٨ ، ١٤٢٧ ، ١٤٧٥ ، ١٤٧٨ ، ١٥٨٤ ، ١٦٧٤ ، ١٧٣٤ ، ١٧٧٤ ، ١٧٩١ ، ١٧٩٨ ، ١٨٧٧ ، ١٨٩٠ ، ١٩٥٥ ، ١٩٧٨ ، واللباب في تهذيب الانساب ٥٠٦/٢ . ومرآة الجنان ٢٦٩/٣ ، ومعجم البلدان ٣٩٩/٤ والنجوم الزاهرة ٢٧٤/٥ ، ونزهة الالباء ٤٦٩ ، ومفتاح السعادة ٤٣١/١ ، ومجلة المجمع العلمي العربي ١٣٥/٥ ، وفيات الأعيان تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ٢٥٤/٤ ومقدمة كتاب المحاجاة بالمسائل النحوية .

The Encyclopedia of Islam, 4.1205 Geschicht der Arabixhen Litteretur, 1.289. Sup. 1.54, 172, 507, 513.

(٢) ديوان الأدب ورقة ٦ .

فجاورت ربي وهو خير مجاور لدى بيته البيت المحرّم عاكفا
أقمت باذن الله خمسا كواملا وصادفت سبعا بالمعرف واقفا
ظللت مع العمار معتمراً له وبت مع الطوّاف بالبيت طائفا

ولد جار الله يوم الاربعاء السابع والعشرين من رجب سنة ٤٦٧هـ/ ١٠٧٥م بزمخشر[١] من قرى خوارزم في عهد السلطان جلال الدنيا والدين أبي الفتح ملكشاه الذي ازدهرت في عهده التجارة والصناعة ، وازدهرت الآداب والفنون وكان يعاونه في إدارة شؤون المملكة نظام الملك أقدر وزراء الإسلام طرا[٢] .

طلب جار الله العلم وهو صغير ، ورحل لأجله ، وبسببه سقطت رجله فكان يمشي في جاون خشب كما يذكر ابن خلكان :[٣] انه «كان في بعض أسفاره ببلاد خوارزم أصابه ثلج كثير وبرد شديد في الطريق ، فسقطت منه رجله ، وانه كان بيده محضر فيه شهادة خلق كثير ممن اطلعوا على حقيقة ذلك ، خوفاً من أن يظن من لم يعلم صورة الحال انها قطعت لريبة» .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) ذكرها المقدسي في كتاب «احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص ٢٨٩» ، قال : «وزمخشر صغيرة ، عليها حصن وخندق ومحبس وأبواب محددة ، والجسور ترتفع كل ليلة ، والجادة تشق البلد ، والجامع ظريف بطرف السوق» واحسن ما قيل فيها ابيات الامير أبي الحسن علي بن حمزة العلوي :

جميع قرى الدنيا سوى القرية التي تبوأها دارا فداء زمخشرا
واحر بان تزهى زمخشر بامرىء اذا عد في اسد الشرى زمخ الشرى
فلولاه ما طن البلاد بذكرها ولا طار فيها منجداً ومغوراً
فليس ثناها بالعراق وأهله باعرف منه في الحجاز واشهرا

«أزهار الرياض : ٣/٣٨٥» .

(٢) الكامل لابن الاثير ١٠/٧٢ .

(٣) وفيات الاعيان ٢/١١٩ .

تلمذ الزمخشري على أبي مضر محمود بن جرير الضبي الاصفهاني (المتوفى سنة ٥٠٧هـ) الذي يلقب بفريد العصر ، ووحيد الدهر في علم اللغة والنحو وكان يضرب به المثل في الفضائل ، وقد أقام في خوارزم مدة ، فانتفع الناس بعلومه ، وهو الذي أدخل على خوارزم مذهب المعتزلة ونشره بها[١] .

وكان الزمخشري محباً لاستاذه ، وفياً له ، معترفاً بفضله ، فلما توفي رثاه بقصيدة قال فيها :[٢]

فقلت لطبعي : هات كل ذخيرة ... فمن أجله ما زلت أدَّخر الذخرا
وأبرزْ كريمات القوافي وغُرِّها ... فمنه استفدنا العلم والنظم والنثرا
فلهفي على ذاك اللسان وَحَزِّهِ ... مفاصِلَ أعيا حَزُّها القُضُبَ البترا
ولهفي على ألفاظه العذبة التي ... كأن زلال المزن قد مازج الخمرا
ولهفي على تلك المعاني كأنها ... منافث سحر يسحر الفِطَنَ الحبرا
فذاك «فريد العصر» حقّا فلن ترى ... عيونُهم من بعده مثلَه حُـرا

وسمع الزمخشري الحديث عن شيخ الاسلام أبي منصور الحارثي ومن ابي سعد الشقاني[٣] ، ومن أبي الخطاب ناصر بن أحمد بن عبد الله بن البطر[٤] كما أخذ الأدب عن أبي الحسن علي بن المظفر النيسابوري .

وتخبرنا كتب التراجم انه قرأ في مكة كتاب سيبويه على عبد الله بن طلحة بن محمد بن عبد الله اليابري المتوفى سنة ٥١٨هـ[٥] .

---

(١) ارشاد الاريب : ١٤٧/٧ ، وفيات الأعيان : ١١٩/٢ ، بغية الوعاة : ٣٨٨ .
(٢) القصيدة في ديوان الادب ورقة ٥٦ ، عدة أبياتها احدى وستون بيتا مطلعها :
ايا طالب الدنيا ويا تارك الاخرى ... ستعلم بعد الموت أيهما أحرى
(٣) ارشاد الاريب : ١٤٧/٧ .
(٤) طبقات المفسرين : ٤١ .
(٥) طبقات المفسرين : ١٥ ، ازهار الرياض ٧٦/٣ ، بغية الوعاة : ٢٨٤ .

ومما يجب ذكره : ان الزمخشري نشأ متحمساً للاعتزال مجاهراً به ، فقد كان إذا قصد صاحباً له ، واستأذن عليه في الدخول ، يقول لمن يأخذ له الأذن : قل له أبو القاسم المعتزلي بالباب[1] .

وفي سنة ثنتي عشرة بعد الخمس مائة مرض الزمخشري مرضة شديدة سماها بـ «المرضة الناهكة» فعاهد ربه إن شفي من مرضته تلك أن لايطأ عتبة السلطان ولا يواصل بخدمته أذياله ، وان يربأ بنفسه ولسانه عن قرض الشعر فيهم ، وأن يعف عن ارتزاق عطياتهم وافتراض صلاتهم مرسوماً وإدراراً وتسويفاً ،ويجدّ في إسقاط اسمه من الديوان ومحوه ، وإن يعتصم بجبل التوكل ويتمسك ، ويتبتل إلى ربه ويتنسك ، وأن يدرس من العلوم ما هو مُجْدٍ كعلم القرآآت والحديث والفقه .[2]

توجه الزمخشري في سنة ست عشرة بعد الخمس مائة الى بيت الله الحرام ليقضي البقية الباقية من عمره بجوار بيت الله .

وهناك في مكة رحب به الأمير أبو الحسن عليّ (بضم العين وفتح اللام) ابن عيسى بن حمزة بن وهاس . كان شريفاً جليلاً وكان ذا فضل غزير وله تصانيف مفيدة في النثر والنظم ، ومن شعره ما قاله في الزمخشري :[3]

لقد شجني في أم رأسيَ عـزمُه ... فأصبحت من عزم الإمام أميما
تمنيت لـــو لم ألقـه وجهلتـــه ... ولم يخش قلبي بالفراق كلوما
فديت امرءاً يحشو الفؤاد فراقه ... كلومـا ولقيـاه حشتـــه علومـا
وكائن رأينا من أولي العلم والتقى ... رجالا أناخوا بالحجـاز قرومـا
فأخمد «أستاذ الزمان» ضياءهم ... وكـان وكانـوا شارقـاً ونجومـا

---

(١) وفيات الاعيان : ٤/٢٥٥ .

(٢) انظر مقدمة المقامات .

(٣) انظر (ارشاد الاريب ٥/٢٨٧ ، انباه الرواة ٣/٢٩٠ ، الجبال والا مكنة والمياه ١٥ ، تاج العروس ٣/٢٤٣ ، ازهار الرياض : ٣/٢٩٢) .

اتجه الزمخشري الى التأليف والتصنيف والتدريس وتحلّق حوله فتيان مكة وقصده طلّاب العلم من ارجاء العالم الاسلامي يأخذون عنه ، وأكثر الزمخشري نفسه من الفخر بمجالسه تلك فقال :[1]

وسميت بين العرب والعجم رحلة ... اليّ يزجون المطيّ عواسفا
ألم تر أنّي ـ حيثما كنت ـ كعبةً ... يحفّون بي كالطائفين طوائفا
فشرقيهم يهوي الى النور قابسا ... وغربيهم يسعى الى البحر غارفا
وأصبحت ممدوحا لكل ممدح ... ترى مجلس الامجاد لي متراصفا
ودونك ديوان المدايح فاطلع ... تجد ناظما فيّ الثناء وواصفا

وعلى الرغم من مجاورة الزمخشري لبيت الله ، وما تمتع به فيه من الهدوء النفسي ، إلا أن ذلك كله لم ينسه الحنين الى وطنه والرغبة في العودة اليه . ويترك الزمخشري مكة عائداً إلى وطنه . وما أن تحرك الركب حتى ندم على فعلته تلك ، وفترت همته ، وضعف في نفسه شوق العودة الى الوطن ، فيصل جار الله إلى وطنه فاتر الهمة حانّاً إلى الحجاز .

ولم يستطع الزمخشري صبراً فيعود إلى الحجاز ، وفي طريقه إليه يمرّ بالعراق فيزوره الشريف أبو السعادات هبة الله بن الشجري مهنئاً له بقدومه ، فلما جلس إليه بهره علم الزمخشري وأخلاقه فأنشد ابن الشجري متمثلاً :

كانت مساءلة الركبان تخبرني ... عن أحمد بن دؤاد أطيب الخبر
حتى التقينا فلا والله ما سمعت ... أذني بأحسن مما قد رأي بصري

وأنشده أيضاً :

و مستكبر الأخبار قبل لقائه ... فلما التقينا صَغَّرَ الخَبَرَ الخُبْرُ

(١) ديوان الادب ورقة ٧٩ .

فلما فرغ من كلامه شكر الزمخشريُّ الشريفَ ، وعظّمه وتصاغر له وقال :

إن زيد الخيل دخل على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فحين بصر بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ رفع صوته بالشهادتين ، فقال له الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يا زيد الخيل ! كل رجل وصف لي وجدته دون الصفة إلّا أنت ، فإنك فوق ما وصفت . وكذلك الشريف . ثم دعا له وأثنى عليه .[1]

وينقل الزمخشري كتبه كلها إلى مشهد أبي حنيفة ولم يبق معه إلّا كتاب الله المبين ويقول الزمخشري :[2]

سأبذل معروفي ومن كان عارفاً ... سماحة منع العرف أسدى العوارفا
ووفقني حتى وقفت نفائسي ... وأعلاق اسفاري فابرحت واقفا
على مشهد النعمان نوّر قبره ... كما نوّر الاسلام مالك سالفا

فيشد الزمخشري الرحال الى مكة ، ويعيش عيشة الزهاد المتقشفين منتظراً داعي الله صباح مساء ، قال[3] :

قَرُبَ الرحيلُ الى ديار الآخرة ... فاجعل إلهي خيرَ عمري آخره
وارحم مبيتي في القبور ووحدتي ... وارحم عظامي حين تبقى ناخره
فأنا المسيكين الذي أيامه ... ولت بأوزار غدت متواتره
فلئن رحمت فأنت أكرم راحِمٍ ... فبحار جودك يا إلهي زاخره

---

(١) ارشاد الاريب ١٤٧/٧ ، نزهة الالباء : ٢٩١ .
(٢) ديوان الادب : ورقة ٨٠ .
(٣) لحظ الالحاظ بذيل طبقات الحفاظ : ٣٣٩ .

ثم عاد الزمخشري الى وطنه حيث وافاه أجله بجرجانية خوارزم ليلة عرفة سنة ٥٣٨هـ/١١٤٤م ، وأوصى أن تكتب على لوح قبره الأبيات الآتية[١] :

يامن يرى مدّ البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى عروق نياطها في نحرها والمح في تلك العظام النحل
اغفر لعبد تـاب من فرطـاته ماكان منـه في الزمـان الأول

ونختم الكلام بقول القفطي[٢] :

«كان الزمخشري أعلم فضلاء العجم بالعربية في زمانه ، وأكثرهم انساً واطلاعاً عـلى كتبهـا ، وبه ختم فضلاؤهم» .

الشعوبية

إن بداية الشعوبية محاطة بالغموض لأنها بدأت عملها في جوّ من الكتمان والحذر لذلك يتعذر علينا تحديد البداية ، ولكنها ظهرت في مطلع القرن الثاني للهجرة وهي تمثل جانباً من محاولات شعوب غير عربية لضرب السلطان العربي عن طريق الفكر والعقيدة ، فهي تتكشف عن صراع ثقافي ديني واسع*. فالشعوبي هو الذي يصغر شأن العرب ولا يرى فضلاً لهم على غيرهم ، وهم فئات مختلفة من شعوب متعددة تحاول زعزعة السلطان العربي ، أو اضعاف الاسلام وإرباكه ، وكذلك لصَدِّ تيار الثقافة العربية الاسلامية ، ولنسف التراث العربي الاسلامي ، وقد حاولت بث الوعي السياسي والديني بين صفوفها واحياء تراثها الثقافي .

---

(١) وفيات الاعيان ٤/٢٥٩ ، وانظر بحثنا «القصيدة البعوضية» مجلة الأستاذ ، سنة ١٩٦٧ .

(٢) انباه الرواة ٣/٢٧٠ .

(*) الجذورالتاريخية للشعوبية ص ٩ .

فقد ظهرت بين شاعر يتغنى بأمجاد ساسان وحضارتها ، وزنديق يبشر بالمانوية[1] والزرادشتية[2] والمزدكية[3] .

---

(١) اسس المانوية ماني بن فتق بن بابك وكان يزعم انه نبي ، وكان ظهور ماني زمن الملك سابور بن اردشير الذي تولى الملك سنة ٢٤٢ ميلادية (الفهرست ٤٧٠) وقال : «ان مبدأ العالم كونان احداهما نور والآخر ظلمة كل واحد منهما منفصل عن الآخر . وذلك الكون غير المجاور للكون المظلم لا حاجز بينهما «الفهرست ص ٤٧٣ . وثبت ماني في ديانته فكرة الحلول . ومن معتقدات المانوية «انهم لا يرون الذبيحة ولا يأكلون اللحم ولا شيئاً من الحيوانات» نظم الجوهر ص ١٤٦ . ويحرمون من الماء الطهور ولا يقرون الغسل به . كما وضع ماني عبادات منها الصلاة على أوقات ، تبدأ الصلاة الاولى منها عند الزوال والثانية بين الزوال وغروب الشمس ثم صلاة المغرب بعد غروب الشمس ثم صلاة العتمة بعد المغرب بثلاث ساعات وكذلك فرض ماني صياماً امده ستة وثلاثون يوماً (الفهرست ص ٤٨٠) ولقد اضطهد الملوك الساسانيون المانوية اضطهاداً شديداً فانه لما اظهر ماني ديانته ايام الملك سابور طلبه ولكن لم يظفر به ، وعندما تولى هرمز بن سابور الملك القى القبض على ماني وجمع الناس وقال فيهم : هذا الرجل اعلن ضرورة قتل الناس لخلاص العالم ، ولهذا فمن الضرورة أن أبدأ بقتله من أجل خلاص العالم منه ، فقتله وعلّق جسده على باب مدينة جند سابور التي تعرف الى الآن ببوابة ماني (الاخبار الطوال ص ٤٩) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٢) والزرادشتية نسبة الى زرادشت ابن اسفيخان الذي ظهر أيام الملك بشتاست وادعى النبوة ووضع أسس الديانة الزرادشتية (مروج الذهب ج١ ص ١٤٢) في كتاب الافستا الذي في يد المجوس . وامست الزرادشتية الديانة الرسمية أيام الساسانيين واستمرت حتى الفتح الاسلامي .

والزرادشتية من الديانات الثنوية «اثبتوا اصلين اثنين مديرين قديمين يقتسمان الخير والشر ، ويسمون احداهما النور والثاني الظلمة» الملل والنحل ج ٢ ص ٧٣ .

وكانت الزرادشتية «يستحلون زواج الامهات وقالوا الابن احرى بتسكين شهوة أمه واذا مات الزوج فابنه أولى بالمرأة» (تلبيس ابليس ص ٧٣) .

(٣) والمزدكية وضع أسسها مزدك الذي ظهر في أيام الملك قباذ بن فيروز وذلك في أواخر القرن الخامس الميلادي (الفهرسية ص ٤٩٣) وهي من العقائد الثنوية لانها اعتبرت (النور يفعل بالقصد والاختيار والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق ، والنور عالم حساس والظلام جاهل اعمى (الملل والنحل ج ١ ص ٨٦) . =

ومن المألوف أن تنسب حركات الموالي والأعاجم إلى أن السلطان العربي في العصر الأموي اضطدهم واحتقرهم ، وأنه ارهقهم بالضرائب وأبعدهم عن الادارة ، وإلى حرمانهم من الوظائف وفرض الجزية عليهم كما فعل الحجاج في العراق وإلى عدم اعطائهم الأعطيات في الجيش كالعرب ، وسار على سياسة العصبية للعرب واحتقار من سواهم ونبذهم اجتماعياً .

لقد وجدت الدعوة العباسية تأييداً أكيداً من العجم وبينهم الموالي إذ أن هدفهم كان تحقيق المساواة الاجتماعية أو الاشتراك في الادارة لأن العباسيين حققوا ذلك الى درجة بعيدة وواسعة .

ومن أوائل من أعلن شعوبيته اسماعيل بن يسار في الفترة الأموية الأخيرة يقول مفتخراً بالفرس :

رب خال متوج لي وعمّ ماجد مجتدى كريم النصاب
انما سمي الفوارس بالفر س مضاهاة رفعة الأنساب
فاتركي الفخر يا أمام علينا واتركي الجور وانطقي بالصواب
واسألي أن جهلت عنا وعنكم كيف كنّا في سالف الأحقاب
إذ نربي بناتنا وتدسون سفاها بناتكم في التراب[1]

ثم أعلن بجلاء عن نزعته الشعوبية في قصيدة أنشدها أمام هشام بن عبد الملك يفخر فيها بالعجم ، جاء فيها :

من مثل كسرى وسابور الجنود معا والهرمزان لفخر أو لتعظيم
أسد الكتائب يوم الروع إنْ زحفوا وهم أذلوا ملوك الترك والروم

= وحرمت المزدكية اكل لحم الحيوان كالمانوية . (الملل والنحل ج ١ ص ٨٦) ودعا مزدك بان (تكون النساء والاموال شركة بين الناس كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ) (الملل والنحل ج ١ ص ٨٦) .

(١) الجذور التاريخية للشعوبية ص ٢٥ .

يمشون في حلق الماذى سابغةً مشي الضراغمة الأسد اللهاميم
هناك أن تسألني تنبي بأن لنا جرثومة قهرت عزّ الجراثيم[1]

وقد أدت هذه النزعة إلى التنكر به ومطاردته ، وقد جاء في الأغاني : «وكان ابن يسار مبتلى بالعصبية للعجم والفخر بهم فكان لا يزال مضروباً محروماً مطروداً» .[2]

ازداد نشاط الغلاة في أواخر العصر الأموي ، وكانوا يتمسكون بتراثهم الديني المجوسي ، ويتسترون باسم الاسلام ، وقد انتبه البعض الى دورهم الخطر وإلى وجهتهم المعادية للعروبة والإسلام حين عظم دورهم في الدعوة العباسية ، فهذا نصر بن سيار يحذر القبائل العربية في خراسان من اتباع الدعوة العباسية ، ويقول :

أبلغ ربيعة في مرو واخوتها فليغضبوا قبل أن لا ينفع الغضب
ما بالكم تلقحون الحرب بينكم كأن أهل الحجا عن رأيكم غيب
وتتركون عدوا قد أظلكم ممن تأشب لا دين ولا حسب
قوما يدينون دينا ما سمعت به عن الرسول ولا جاءت به الكتب
فمن يكن سائلا عن أصل دينهم فإن دينهم أن تقتل العرب[3]

وكان للدعوة العباسية أثرها في تنشيط الوعي القومي بين الفرس وتهيئة الظروف لنشاط الحركات الدينية الفارسية من خرمية ومانوية وزردشتية .

وحملت الخرمية راية الثورة المسلحة وانتشرت دعوتها في بلاد فارس ، وكانت تمثل في الحقل الاجتماعي اشتراكية مزدك ، وفي الحقل الديني

---

(١) المصدر السابق والصفحة .
(٢) المصدر السابق ص ٤٦ .
(٣) الاخبار الطوال ص ٢٦ .

والسياسي ضرب الاسلام وإعادة السلطان إلى العجم ، وقد تستر الخرمية أحياناً ، وحاولوا أن يتخذوا من بعض مبادىء الغلو سبيلا للظهور بمظهر إسلامي فنقلوا الإمامة من العباسيين إلى أبي مسلم الخراساني ، وهذا يبدو في ثورة اسحاق الترك والمقنع مثلاً . ويبدو لي ـ الدكتور عبد العزيز الدوري ـ أن الوعي الفارسي وجد في أبي مسلم رمز توثب ، فاعتبره بعضهم خليفة زرادشت ، واعتبره آخرون المنقذ الذي حل فيه جزء الهي كما فعل المبيضة[1].

وبذل الكتّاب والأدباء والشعراء من الشعوبيين كل الطرق لبث الثقافة الفارسية ، وحاولوا بث الطابع الفارسي في الإدارة والمراسيم العباسية ، مع تقليل شأن الثقافة العربية الإسلامية ، قال ابن قتيبة : «وأعاذنا الله من فتنة العصبية وحمية الجاهلية وتحامل الشعوبية ، فإنها بفرط الحسد ونغل الصدر تدفع العرب عن كل فضيلة وتلحق بها كل رذيلة وتغلو في القول وتسرف في الذم وتبهت بالكذب وتكابر بالعصيان»[2].

واندفع الشعوبيون في الكتابة في مثالب العرب وفي الحط منها ، فهذا أبو نواس يتذكر تراث الساسانيين ، ويقول :

مسارحها الغربي من نهر صرصر ... فقطربل فالصالحية فالصفر
تراث أنو شروان كسرى ولم تكن ... مواريث ما أبقت تميم ولا بكر
قصدت بها ليلى وليل ابن حرّة ... له حسب زاك وليس له وفر[3]

ولقد سخر من العرب وتهكم بهم ، فهو يقول :

عاج الشقي على رسم يسائله ... وعجت أسأل عن خمارة البلد

---

(١) الجذور التاريخية للشعوبية ص ٣٢ .
(٢) الجذور التاريخية للشعوبية ص ٥١ .
(٣) المصدر السابق ص ٦٥ .

يبكي على طلل الماضين من أسد ... لا درّ درك قل لي من بنو أسد
ومن تميم ومن قيس ولفهم ... ليس الأعارب عند الله من أحد
لا جف دمع الذي يبكي على حجر ... ولا صفا قلب من يصفو الى وتد[1]

ومن شعره أيضاً يذم به العرب ويفخر بالفرس :

وإذا أعاشر عصبة عربية ... بدرت إلى ذكر الفخار تميم
وبنو الأعاجم لا أحاذر منهُمُ ... شراً فمنطق شرهم محسوم
لا يبذخون على النديم إذا انتشوا ... ولهم إذا العرب اعتدت تسليم[2]

وهذا بشار بن برد العقيلي بالولاء وأصله من طخارستان اتهم بالزندقة وقتل بسببها[3] قال في العرب والتفاخر بالفرس :

هل من رسول مخبر عني جميع العرب
من كان حيّاً منهُمُ ومن ثوى في الترب
بأنني ذو حسب عال على ذي حسب
جدي الذي أسمو به كسرى وساسان أبي
وقيصر خالي إذا عددت يوماً نسبي
إنّا ملوك لم نزل من سالفات الحقب
حتى استلمنا ملكها بملكنا المستلب
حتى رددنا الملك في أهل النبي العربي
من الذي عاد الهدى والدين لم يستلب[4]

وقال مفتخراً بأصله الفارسي :

---

(١) ديوان أبي نواس ص ٤٦ .
(٢) الشعوبية حركة مضادة للاسلام والأمة العربية ص ٧٣ .
(٣) وفيات الاعيان ١/ ٢٤٥ .
(٤) ديوان بشار بن برد ١/ ٣٧٧ .

أنا ابن الأكرمين أبا وأما تنازعني المرازب عن طخار
تفاخر يا ابن راعية وراعي بني الأحرار حسبك من خسار[1]

وقال متوعداً أبا جعفر المنصور لقتله أبا مسلم الخراساني :

أبا جعفر ما طول عيش بدائم ولا سالم عمّا قليل بسالم
فإنك لم تسمع بقتل متوج عظيم ولم تسمع بفتك الاعاجم
ومروان قد دارت على رأسه الرحى وكان لما اجرمت نزر الجرائم
فأصبحت تجرى سادرا في طريقهم ولا تنقضي اشباه تلك النقائم[2]

وهذا المتوكلي نرى له وجهة قومية تتغنى بالمجد الماضي الذي يحلم بإعادته فهو يقول :

أنا ابن الاكارم من نسل جم وحائز أرث ملوك العجم
ومحيي الذي باد من عزّهم وعفى عليه طوال القدم
وطالب أوتارهم جهرة فمن نام عن حقهم لم أنم

ثم يقول :

معي علم الكابيان الذي به ارتجي أن أسود الأمم
فقل لبني هاشم أجمعين هلموا الى الخلع قبل الندم
ملكناكم عنوة بالرماح طعنا وضربا بسيف خذم
فعودوا الى أرضكم بالحجاز لأكل الضباب ورعي الغنم
فإني سأعلو سرير الملوك بحد الحسام وحرف القلم[3]

وهذا الصغدي ابو يعقوب اسحق بن حسان بن فوهي الخريمي فارسي الأصل ولد في بلاد الصغد ومنها رحل إلى بغداد واختار صحبة الزنادقة المجان[4] فهو يقول :

---

(١) المصدر السابق ٣/٢٢٩ .
(٢) الصراع بين العرب والموالي ص ٩١ .
(٣) الجذور التاريخية للشعوبية ٦٥ .
(٤) تاريخ بغداد ٦/٣٢٦ .

ونوديت من مرو وبلخ فوارسا لهم حسب في الأكرمين حسيب
فيا حسرتا لا دار قومي قريبة فيكثر منهم ناصري ويطيب
وأن أبي ساسان كسرى بن هرمز وخاقان لي لو تعلمين نسيب
ملكنا رقاب الناس في الشرق كلهم لنا تابع طوع القياد جنيب
نسومكُمُ خسفا ونقضي عليكُمُ بما شاء منّا مخطىء ومصيب[1]

وقال الصغدي :

الصغد بأس إذ تعيرني جمل سفاها ومن أخلاق جارتنا الجهل
هم فاعلموا أصل الذي فيه منيتي على كل فرع في التراب له أصل
إذا أنت لم تحم القديم بحادث من المجد لم ينفعك ما كان من قبل[2]

واستمع الى علان الشعوبي الوراق يقول :

ان لي فخراً مباءته في قرار النجم مأهول
ورجال شربهم غدق هم لما حازوا مباذيل
كسرويات أبوّتنا غرر زهر مقاويل[3]

وهذا عبد الله طاهر بن الحسين يقول في قصيدة يذم العرب ويفخر بالفرس :

اقصري عمّا طمحت له ففراغي عنك مشغول
سائلي عمّن تسائلني قد يرد الخبر مسؤول
أنا من تعرف نسبته سلفي الغر البهاليل
سل بهم تنبيك نجدتهم مشرفيات معاقيل
وأبي من لاكفاء له من يسامي مجده قولوا

---

(١) الشعر والشعراء ٢/٧٣١ .
(٢) المصدر السابق ٢/٧٣٥ .
(٣) الجذور التاريخية للشعوبية ص ٦٤ .

سل بهم والخيل ساهمة حوله جرد أبابيل
أبطن المخلوع كلكله ومواليه المقاويل
فتوى والترب مضجعه غال عنه ملكه غول
قاد جيشا نحو بابله ضاق عنه العرض والطول
من خراسان مضى معهم كليوث ضمها غيل[1]

جاء في «الشعوبية حركة مضادة للاسلام والامة العربية»:[2] وقد أسهم الشعراء العرب في المعركة ضد الشعوبية وكان لهم دور كبير في الرد عليها ، فإنه لما وقف الشاعر عبد الله بن الحر الجعفي على خطر حركة المختار أنشد في تصويرها قائلاً :

وما ترك الكذاب من جل مالنا ولا المرء من همدان غير شريد
أفي الحق ان يحتاج مالي كله وتأمن عندي ضيعة ابن سعيد

وأنشد أعشى همدان في هجاء المختار :

فقتل من أشرافنا في محالهم عصائب منهم أردفت بعصائب
فكم من كمين قد أبادت سيوفهم الى الله أشكو رزء تلك المصائب
يقتلنا المختار من كل غائط فيالك دهر مرصد بالعجائب[3]

وكتب نصر بن يسار الى مروان الثاني يخبره خطر الشعوبية على الدولة الاسلامية ، فقال :

أرى بين الرماد وميض جمر فأحْجِ بأن يكون له ضرام
فقلت من التعجب ليت شعري أأيقاظ أمية أم نيام ؟
فإن يقظت فذاك بقاء ملك وإن رقدت فإني لا ألام
فإن يك أصبحوا وثووا نياما فقل قوموا فقد حان القيام[4]

---

(١) العقد الفريد : ٢/١٩٨ .
(٢) ص ١٩٢ .
(٣) الاخبار الطوال : ٢٩٧ .
(٤) الاخبار الطوال ص ٣٥٧ .

وقال أحد الشعراء العرب في ذم الهيثم بن عدي الذي عرف عنه ذم العرب :

يا هيثم بن عدي لست للعرب ولست من طيء إلا على شغب
إذا نسبت عديا في بني ثعل فقدم الدال قبل العين في النسب[1]

وقال شاعر آخر في هجاء الهيثم بن عدي :

يا ابن الخبيثة من اهجو فأفضحه إذا هجوت وما تنعي إلى أحد[2]

ولما شبّه الزنديق يزدان بن باذان حجاج بيت الله عند مناسكهم بقوله : «ما أشبههم إلاّ ببقر تدوس البيدر» . ردّ عليه الشاعر العلاء بن الحداد الأعمى مستثيرا الخليفة موسى الهادي عليه ، فقال :

أيا أمين الله في خلقه ووارث الكعبة والمنبر
ماذا ترى في رجل كافر يشبّه الكعبة بالبيدر
ويجعل الناس إذا ما سعوا جمرا تدوس البر والدوسر[3]

وحين افتخر عبد الله بن طاهر بن الحسين بأبيه على قتل الأمين رد عليه الشاعر العربي محمد بن يزيد الأموي ، فقال :

لا يرعك القال والقيل كل ما بلغت تضليل
يا ابن بيت النار موقدها ما لحاذيه سراويل
من حسين من أبوك ومن مصعب غالتكم غول
نسب من الفخر مؤتشب وأبواب أراذيل
قاتل المخلوع مقتول ودم المقتول مطلول[4]

---

(١) ارشاد الاريب الى معرفة الاديب ٢٦٤/٧ .
(٢) المصدر السابق ٢٦٤/٧ .
(٣) ضحى الاسلام ٦٧/١ .
(٤) الفرج بعد الشدة ٦٦/١ .

وهناك قصائد كثيرة في رد العرب للشعوبية تجدها في كتب التواريخ ودووايين الشعراء وكتب الأدب العربي .

ومما قالته الشعوبية «للأمم كلها من الأعاجم ملوك تجمعها ومدائن تضمها وأحكام تدين بها وفلسفة وبدائع من الأدوات والصناعات ، ولم يكن للعرب ملك يجمع سوادها ولا كان لها قط نتيجة في صناعة ولا أثر في فلسفة إلاّ ما كان من الشعر وقد شاركتها فيه العجم .[1]

وقالت الشعوبية ان العرب مجموعة قبائل لا رابطة بينهم وليس لهم من الحضارة نصيب كالفرس والروم وأنهم ينتقلون من مكان الى آخر وأساليب قتالهم الحربية كانت بسيطة .

وقد ردّ أنصار العرب بقولهم «فهم أقوى الناس همما وأشدهم أحلاماً وأصحهم أجساماً وأعزهم جاراً وأحماهم ذماراً ، وأجودهم فطناً لما أكسبهم إياه صفاء الجو ونقاء الفضاء .[2]

وأدعت الشعوبية ان اسحاق أبو العجم ، وأن أمه سارة حرة ، بينما نجد اسماعيل أبا العرب وأمه هاجر وهي أمة ، وسموا العجم «بني الأحرار» والعرب «بني اللخناء» بضوء هذا الادعاء قال شاعرهم :

في بلدة لم تصل عكل بها طنبا ... ولا خباء ولا عك وهمدان
ولا لجرم ولا بهراء من وطن ... لكنها لبني الاحرار أوطان
أرض تبنى بها كسرى مناسكه ... فما بها من بني اللخناء انسان[3]

وهاجمت الشعوبية اللغة العربية حتى أنهم جوزوا الصلاة بالفارسية، وأثار هذا الهجوم العرب وبعض المسلمين من غير العرب لأن العربية لغة القرآن ولأنها اللغة العامة للثقافة خلال عصور .

---

(١) العقد الفريد ٣/٤٠٥ .
(٢) مروج الذهب ٣/٢٤٤ .
(٣) الجذور التاريخية للشعوبية : ٦٩ .

انبرى الجاحظ والثعالبي وغيرهما للدفاع عن اللغة العربية وإظهار محاسنها واعتبروها أشرف اللغات وأسناها .

لقد بذل الكتّاب والأدباء من الشعوبيين كل سبيل لبعث الثقافة الفارسية وحاولوا بث الطابع الفارسي في الإدارة والمراسيم العباسية ، هذا مع تقليل شأن الثقافة العربية الإسلامية والاستهانة بها . وكان موقفهم يستند إلى العصبية الجامحة لا إلى الادراك .

واتخذ نشاط هؤلاء سبلا مختلفة ، منها اكثارهم من الترجمة عن الفارسية في موضوعات تتصل بصميم الذات الفارسية كالأدب والتاريخ والتقاليد والمثل . وقد شهد العصر العباسي الأول حركة ترجمة واسعة عن الفارسية ، وهي مستقلة عن حركة الترجمة التي تبناها الخلفاء ، ومن أمثلة هذه الترجمات (خداينامه) أو سير الملوك (ملوك الفرس) ، وهو كتاب ينطوي على كثير من الأساطير والمواعظ والتمجيد ويغلب عليه عنصر القصة والاسطورة . ونظراً لخطورته لدى الفرس فإننا نسمع عن ثمانية صور لـ (خداينامه) بعضها مترجم والبعض الآخر مؤلف ومترجم ، ومنها (الآيين نامه) أو المراسيم والتقاليد الساسانية وكتاب (مزدك) وهو يتضمن أدباً ومثلاً أخلاقية مجوسية لا تأتلف والمفاهيم الاسلامية ، وقد ترجمه ابن المقفع . كما أعد أبان بن عبد الحميد اللاحقي ترجمة أخرى له . ومنها كتاب (التاج) في سيرة أنوشروان ، وكتاب (كليله ودمنه) الذي تصرف إبن المقفع في ترجمته وأضاف إليه بابا (باب برزويه) للترويج للمانوية كما أوضح البيروني . ومنها كتاب سيرة الفرس المعروف بـ(اختيار نامه) نقله اسحق بن يزيد . هذا وترجمت بعض الكتب الدينية[1] .

وقد تصدت المعتزلة للرد على الشعوبية والدفاع عن مبادىء الاسلام ، وكان واصل بن عطاء يعقد الجلسات للرد على الزنادقة وتفنيد حججهم .

---

(١) الجذور التاريخية للشعوبية : ٥٠ .

وكان يناقش مشاهيرهم أمثال صالح بن عبد القدوس وغيره، فقطعهم بأقل كلال . وكان لواصل تلاميذ كثيرون أعدهم إعداداً فكرياً عميقاً ، وكان يبعث بهم إلى الأقطار (يدعون إلى مبادىء الاعتزال ويردون من خلال ذلك على خصوم الاسلام . فبعث واصل منهم عبد الله بن الحارث الى المغرب فأجابه خلق كثير ، وبعث الى خراسان حفص بن سالم فدخل ترمذ وناظر جهم بن صفوان حتى قطعه . وبعث القاسم الى اليمن وبعث أيوب إلى الجزيرة وبعث الحسن بن ذكوان الى الكوفة وعثمان الطويل الى أرمينية .[1]

والزمخشري المعتزلي[2] تبنى فكرة الرد على الشعوبية والدفاع عن الاسلام والعرب في مؤلفاته التي سنوردها .

«الزمخشري وكتابه المفصل في صناعة الإعراب»

«تعريف بالكتاب» :

قال الزمخشري مفتخراً بسعة معلوماته في علم النحو :[3]

وبي يستعيذ النحو من أن يسوسه نهى لم يجدها الذائقون حصائفا
فقل أين خلّى سيبويه كتابه يقل حجر جار الله مأوى حالفا
وما في رواة الكتب راوية له سوى واحد فانظر فلست مصارفا
ولو لم تكن لي غير هذي فضيلةٌ لبرزت سباق الاضاميم راعفا

وكان يزعم : انه ليس في كتاب سيبويه مسألة إلّا وقد تضمنها هذا الكتاب . ويحكى : ان بعض أهل الأدب ، أنكر عليه هذا القول وذكر له مسألة من كتاب سيبويه وقال : هذه ليست فيه . فقال : وإنها لم تكن فيه أيضاً ، فهي فيه ضمناً ، وبيّن له ذلك .[4]

---

(١) الشعوبية حركة مضادة للاسلام والامة العربية ص ١٧٩ .

(٢) راجع بحثنا هذا ص : ٣ .

(٣) ديوان الادب ، ورقة ١٣٦ مطلع القصيدة :
سقى الله بطن الايك اوطف واكفاً يجلل بطن الأيك أزرق وارفا

(٤) نزهة الالباء في طبقات الادباء ص : ٢٩٠ .

شرع الزمخشري في تأليف كتاب المفصل في غرّة شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ، وفرغ منه في غرّة المحرم سنة خمس عشرة وخمسمائة .

ولا ريب أن يبلغ الكتاب مكانة عالية ، فقد شرحه وعلق عليه كثير من النحاة ، ذكر بروكلمان : ان له تسعاً وعشرين شرحاً .

وأول طبعة له في كريستيانا (christianiae) سنة ١٨٥٩م باعتناء J.P. Broch كما ترجم الى الألمانية وطبع سنة ١٨٧٣ .

ولعل أكثر شراح المفصل شهرة أبا البقاء يعيش بن علي بن يعيش الحلبي (٥٥٣هـ/١١٥٨م - ٦٤٣هـ/١٢٤٥م) وقد طبع في ليسك سنة ١٨٨٢م . كما طبع المفصل وبعض شروحه عدة طبعات في مصر .

ومما قيل في كتاب المفصل :[1]

«مفصل» جار الله في الحسن غاية والفاظه فيها كدرّ مفصّل
ولولا التقى ، قلت : المفصل معجز كآي طوال من طوال المفصّل

وقال الدكتور علي عبد الواحد :[2]

«ان جماعة المتأخرين جاؤوا بمذهبهم في الاختصار والاستيعاب لجميع أبواب العلم ، فوضعوا أهَمَّ كتب النحو والصرف وأكملها وأدقها وأكثرها تهذيبا وتنقيحا ، ومن أشهرهم الزمخشري صاحب المفصّل في النحو» .

«الزمخشري والشعوبية في كتابه المفصّل» :

بدأ الزمخشري مقدمة كتابه المفصّل بأن حمد الله وأثنى عليه على أن جعله من علماء العربية وعصمه من الشعوبية ، قال[3] :

---

(١) كشف الظنون ٢/١٧٧٤ .
(٢) فقه اللغة : ص ٢٦٩ .
(٣) مقدمة كتاب المفصل .

«الله أحمد على أن جعلني من علماء العربية وجبلني على الغضب للعرب والعصبية وأبى لي أن أنفرد عن صميم أنصارهم وامتاز وأنضوى الى لفيف الشعوبية وانحاز ، وعصمني من مذهبهم الذي لم يجد عليهم الا الرشق بالسنة اللاعنين ، والمشق بأسنة الطاعنين ، والى أفضل السابقين والمصلين أوجه أفضل صلوات المصلين محمد المحفوف من بني عدنان بجماجمها وأرحائها النازل من قريش في سرة بطحائها ، المبعوث الى الأسود والاحمر بالكتاب العربي المنور ولآله الطيبين ادعو الله بالرضوان وادعوه على أهل الشقاق لهم والعدوان» .

ثم يرد على الشعوبية قائلا بأن الله جعل خيرة كتبه القرآن الكريم ونبيه في عرب خلقه وليس في عجم خلقه :

«ولعل الذين يغضّون من العربية ويضعون من مقدارها ويريدون أن يخفضوا ما رفع الله من منارها ، حيث لم يجعل خيرة رسله وخيرة كتبه في عجم خلقه ولكن في عربه ، لا يبعدون عن الشعوبية منابذة للحق الأبلج ، وزيفا عن سواء المنهج» .

ثم يقول ان اللغة العربية أم اللغات ويحتاجها صاحب العلوم الاسلامية . وهذه العلوم محتاجة الى علم الاعراب :

«والذي يقضي منه العجب حال هؤلاء في قلة إنصافهم وفرط جورهم واعتسافهم وذلك انهم لا يجدون علما من العلوم الاسلامية فقهها وكلامها وعلمي تفسيرها واخبارها إلاّ وافتقاره الى العربية بيّن لا يدفع ومكشوف لا يتقنع ، ويرون الكلام في معظم ابواب أصول الفقه ومسائلها مبنيا على علم الاعراب» . والتفاسير مشحونة بالروايات عن سيبويه والاخفش والكسائي والفراء وغيرهم من النحويين البصريين والكوفيين . . والاستظهار في مآخذ النصوص بأقاويلهم والتشبث بأهداب فسرهم وتأويلهم . وبهذا اللسان مناقلتهم في العلم ومحاورتهم ، وتدريسهم ، ومناظراتهم ، وبه تقطر في القراطيس أقلامهم ، وبه تسطر الصكوك والسجلات حكامهم ، فهم ملتبسون بالعربية اية سلكوا ، غير منفكين منها أينما وجهوا كل عليها حيث سيروا» .

وعلى الرغم من أهمية اللغة العربية ، فالشعوبيون يجحدون فضلها وينهون عن تعليمها وتعلمها :

«ثم انهم في تضاعيف ذلك يجحدون فضلها ويدفنون خصلها ويذهبون عن توقيرها وتعظيمها ، وينهون عن تعلمها وتعليمها ، ويمزقون اديمها ، ويمضغون لحمها . فهم في ذلك على المثل السائر : «الشعير يؤكل ويذم» . ويدعون الاستغناء عنها وانهم ليسوا في شق منها ، فان صح ذلك فما بالهم لا يطلقون اللغة رأسا والاعراب ، ولا يقطعون بينها وبينهم الاسباب ، فيطمسوا من تفسير القرآن آثارها ، وينفضوا من أصول الفقه غبارهما ، ولا يتكلموا في الاستثناء فانه نحو ، وفي الفرق بين المعرف والمنكر فانه نحو ، وفي التعريفين تعريف الجنس وتعريف العهد فانهما نحو ، وفي الحروف كالواو والفاء وثم ولام الملك ومن التبعيض ونظائرها ، وفي الحذف والاضمار ، وفي أبواب الاختصار والتكرار ، وفي التطليق بالمصدر واسم الفاعل ، وفي الفرق بين إن وأنّ واذا ومتى وكلما وأشباهها مما يطول ذكرها ، فان ذلك كله من النحو . وهلا سفهوا رأي محمد بن الحسن الشيباني رحمه الله فيما أودع كتاب الايمان ، ومالهم لم يتراطنوا في مجالس التدريس وحلق المناظرة ثم نظروا هل تركوا للعلم جمالا وابهة ، وهل أصبحت الخاصة بالعامة مشبهة ، وهل انقلبوا هزأة للساخرين وضحكة للناظرين» .

ثم يبين الزمخشري أهمية علم الاعراب قائلاً :

«هذا وان الاعراب أجدى من تفاريق العصا ، وآثاره الحسنة عديد الحصا ، ومن لم يتق الله في تنزيله ، فاجترأ على تعاطي تأويله ، وهو غير معرب ، ركب عمياء ، وخبط خبط عشواء ، وقال ما هو تَقَوُّلٌ وافتراء وهراء ، وكلام الله منه براء ، وهو المرقاة المنصوبة الى علم البيان ، المطلع على نكت نظم القرآن ، الكافل بابراز محاسنه ، الموكل باثارة معادنه ، فالصادّ عنه كالسادّ لطرق الخير كيلا تسلك والمريد بموارده ان تصاف وتترك» .

ويبين الزمخشري الحافز الذي دفعه لتأليف كتاب المفصل :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

«ولقد ندبني ما بالمسلمين من الأرب الى معرفة كلام العرب ، وما بي من الشفقة والحدب على أشياعي من حفدة الأدب ، لانشاء كتاب في الاعراب ، محيط بكافة الأبواب ، مرتبا ترتيبا يبلغ بهم الأمد البعيد بأقرب السعي ، ويملأ سجالهم بأهون السقي» .

ثم يبين الزمخشري منهجه في تأليف كتاب المفصّل :

«فانشأت هذا الكتاب المترجم بكتاب المفصّل في صنعة الاعراب مقسوما أربعة أقسام . القسم الأول : في الاسماء . القسم الثاني : في الافعال . القسم الثالث : في الحروف . القسم الرابع : في المشترك . وصنفت كلا من هذه الأقسام تصنيفا ، وفصلت كل صنف منها تفصيلا حتى رجع كل شيء في نصابه ، واستقر في مركزه ، ولم أدخر فيما جمعت فيه من الفوائد المتكاثرة ، ونظمت من الفوائد المتناثرة ، مع الايجاز غير المخل ، والتلخيص غير الممل مناصحة لمقتبسيه» .

ثم يوضح : على القارىء :

أرجو أن اجتني منها ثمرتي دعاء يستجاب ، وثناء يستطاب ، والله عزّ سلطانه ولي المعونة على كل خير والتأييد والملي بالتوفيق فيه والتسديد» .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الزمخشري وكتاب مقدمة الأدب :

تعريف بالكتاب :

ألف الزمخشري مقدمة الأدب لتعليم الفرس اللسان العربي ، وزودها بشروح باللغة الفارسية ، وأهداها الى الأمير بهاء الدين أبي المظفر أتسوز بن خوارزم شاه .

طبع الكتاب وتزستاين I.G. Wetzstain في مجلدين سنة ١٨٤٣ في ليسك بعنوان : Lexicon Arabicum Persicum

وطبع الكتاب في طهران باهتمام سيد محمد كاظم امام سنة ١٩٦٣ . كما ترجمه الى التركية اسحاق افندي أحمد بن خير الدين (المتوفى سنة ١١٢٠ هـ) وسمّاه (أقصى الارب في ترجمة مقدمة الأدب) .

«الزمخشري والشعوبية في كتاب مقدمة الأدب» :

بدأ الزمخشري مقدمة كتابه «مقدمة الأدب» بأن حمد الله وأثنى عليه وذلك بتفضيله اللغة العربية على جميع اللغات كما فضل القرآن الكريم على جميع الكتب ، قال :

«الحمد لله الذي فضّل على جميع الألسنة لسان العرب ، كما فضّل الكتاب المنزل به على سائر الكتب والصلاة على النبي الأمي العربي ، وعلى آله أشرف العرب بعد النبي» .

ثم مدح الملوك الذين أغدقوا عطاياهم وهباتهم على علماء الملة الاسلامية وعلى الشعراء والخطباء :

«ولجلالة هذا اللسان وما جعل الله له من نباهة الشان ، وان الحاجة اليه سانحة في الملة الاسلامية في أنواع علومها وفنون آدابها كان المتعاطون لاتقانه والتبحر فيه معدودين في علماء هذه الأمة مذكورين في طبقات الأئمة ، ومن صنع الله تعالى لهذه الطبقة أن الملوك لم تمطر سحائبهم ، ولا فاضت أعطياتهم ومواهبهم على أحد فيضها على هؤلاء من أدبائهم وخطبائهم ومترسليهم وشعرائهم . ولم يخل بعد انقضاء دولة العرب عصر من الاعصار من ملك فاضل جواد يرغب فيهم ويصطفيهم ويكفلهم ويكفيهم ، ويتعصب لصناعتهم ، ويحرص على تنفيق بضاعتهم» .

ثم يعظم الزمخشري ويفخم الامير أبا المظفر اتسوز بن خوارزم شاه لانه اهتم باللغة العربية وبالعلوم الاسلامية وذلك لطلبه من الزمخشري أن يؤلف كتابا لتعليم الفرس اللغة العربية ، قال :

«والذي اصطفاه في زماننا لنصرة الأدب ، وقذف في قلبه الرغبة في كلام العرب الأمير الأجل الاسفهسالار بها الدين علاء الدولة نجم الملوك والسلاطين أبو المظفر اتسوز بن خوارزم شاه أدام الله علاه ، ونصر لواءه ، فغاية لذته في مجالسة الأفاضل وقصارى لهوه في منادمة الاماثل ، ولا يزال ظل كرمه الواسع عليهم ممدودا ، وجنابهم بانعامه الفائض مجودا ، وصلاته وخلعه مترادفة عندهم متوالية ، رائحة اليهم غادية ، وقد رسم لي أمره

العالي زيد علوا بتحرير نسخة من كتاب «مقدمة الأدب» لخزانة كتبه المعمورة فعملت على امتثال رسمه ، وجعلت الكتاب موسوما باسمه لأن هذا الكتاب قد أصاب قبولا في القلوب ، وهبّ في البلاد مهب الصبا والجنوب ، فاردت أن لا يزال مذكورا في كل مكان وزمان ، ويكون اسمه العزيز جاريا على كل لسان ، والله موفقه لما يرفع الذكر الجميل ويكسب الثواب الجزيل انه خير موفق ومعين» .

الزمخشري وكتاب ديوان الأدب :

- تعريف بالكتاب :

للزمخشري ديوان ضخم جمعه بنفسه ورتبه على تسلسل الحروف الهجائية وذلك بطلب من أبي الحسن علي بن عيسى بن حمزة بن وهاس وأهداه اليه ، قال[1] :

« . . . للقيت مني حين اقترحت عليّ جمع نفاثات قريحتي ، وطلبت اليّ الاسجاع بمحاجاة سجيتي . . . وما هي الا اقدامة منهوك ، واقتحامة متفتك ، واغترار باستجادتك ، واستنامة الى استعادتك ، وركوب الى قولك في كثير منها هو بكلام القدماء أشبه من الماء بالماء ، قضاؤك للبنوات باصابة المخر ، واقبالك على المكبات بالمنكب المهتز ، والحاقك العربيّة بحولي العرب المنقح ، وتشبيهك أبياتها بالعراب القرح ، وشهادتك الحكيمة بما أمال من عطفها ، ونفخ في قحفها ، واعجابك بأخوات لهن من مقصرات ومقطعات ، ولعلك السبب فيما أريد بها من التشهير ، وأتيح لها التيسير ، والله المستعان» .

وقد افتخر الزمخشري وتباهى بشعره قائلاً[2] :

---

(١) مقدمة ديوان الادب .

(٢) ديوان الادب ورقة ٧٠ مطلع القصيدة :

سقى الله بطن الايك اوطف واكفا يجلل بطن الأيك أزرق ذارفا

أقرت بي الآداب أصلا لها ومن رأى مشرفيات جحدن مشارفا
وديوان منظومي يريك بدائعا وديوان منثوري يريك مطارفا

وقال أيضاً :[1]

ومما شجاني أن غرّ مناقبي يغني بها الركبان بين القوافل
وطارت الى اقصى البلاد قصائدي وسارت مسير النيرات رسائلي

الزمخشري والشعوبية في ديوان الأدب :

قال باكياً الاطلال[2] :

أيا عرصات الحي أين الأوانس رحلن وحلتك الظباء الكوانس
أعامرة بالامس تهتز نظرة مغانيك وهو اليوم قفر بسابس
بليت بشيء لم أك قبلي به فرسمك منه مثل رسمي دارس*
جفتك وكانت من مهى الانس ربربا نواشيء في برد الشباب موائس
مهى لفتاة المسك في كل ملعب بتجرير اذيال المراط كوانس
فعوضت من تلك الكوانس غيرها كوانس ما دالت لهن ملابس
وما اركس القلب المعذب بعدما سلا سلوة الا العذيب وراكس
محلان للحي الجميع كلاهما محيق كما يمحو الصفيحة طامس
توالى بكاء فيهما وتنفسا رواحس يخضلن الربى وروامس
لبذلهم ما هبت الشمأل القرى وسقيهم الصهباء والماء قارس
لعهدي بهم والدهر مفض جنونه وصرف النوى عن صدعة الشمس آيس

ثم ينتقل الى مدح العرب والفخر بهم :

تنافسهم في الغر كل قبيلة وأبى عليهم عزهم أن ينافسوا
اذا جلسوا حول الرياض بهيجة فأبهج من تلك الرياض المجالس

---

(١) المصدر السابق ورقة ٩٢ ، والبيتان من قصيدة مطلعها :
خليلي هل تجدي عليّ فضائلي اذا أنا لم ارفع على كل جاهل

(٢) ديوان الادب ورقة ٦٠ .

(*) وردت بعض الأبيات في هذا البحث مختلّة الوزن ، وبعض الكلمات غير واضحة المعاني ، ولعل ذلك ان يكون في الأصل .

عن العرب الصيد الاولى احرزوا العلى وطابت لهم أعراقهم والمغارس
غطارفة شم تربوا أعزّة فما شم ريح الذل منهم معاطس
وللعرب العرباء أصلب منبت وهل يستطيع الحز في النبع ضارس
فيا لغة لو يشعر الصخر بالذي تمارس ضج الصخر مما تمارس
إباء إباء الخيل وهي شوامس وصبر كصبر الخيل وهي هوامس
وما نال منهم في الهزاهز كلها فوارس هيجا أم ليوث فوارس
مساعر ما يحمي الوطيس بمثلهم اذا فرّ عن حرّ القراع المغامس
فكم طعنة بكر يطير رشاشها لفتيانهم والحرب شمطاء عانس
ويكفيك من أيامهم وحروبهم بما جرت الغبراء أو جرّ داحس

ثم يذكر انتصارات العرب على فارس وسلب تيجان الملوك :

وهم فرسوا أبناء فارس كلهم بانيابهم وهي الرماح المذاعس
ومصلتة ما زال يطلى بياضها بماء الطلى ما فارقتها المداوس
وهم سلبوا التيجان هام ملوكهم ولم يقطعوا عنهم وفارس فارس
وأي سخاء يدّعى كسخائهم بما ملكوا والجو أغبر عابس
بأسيافهم يمرون سوق عشارهم اذا نزل الأضياف والضرع يابس
وان تستعد منهم بأعظم ميت فذلك حصن مانع لك حارس
اذا اعتقلت كفاك فيهم بذمة فخصمك فل ناكص عنك ناكس
واعراضهم اعراقهم وكلت بها مهينمة حتى اتقتها المدانس
وعن صهر كسرى صد نعمان باوه فخنقه في خانقين الفوارس
وهان عليه يومه قبل ساعة يكابد فيها صهر من لا يجانس

ثم يوضح روعة اللغة العربية وانتشارها في الامصار ، وأن الرسول عربي والقرآن نزل باللغة العربية :

وقل هل فشا في الأرض غير لسانهم لسان فُشُوَّ الضوء واليوم شامس
به عجّ في امصارها كل منبر وطنت به في الخافقين المدارس
على ظهرها لم يخلق الله أمة تناسبهم في خصلة أو تلابس
يقايس بين الناس حتى اذا انتهى الى العرب القياس طاح المقايس
وواحدة تكفيك هاتيك حجة بساطعها تنشق عنك الحنادس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أجــلُّ رســولٍ منهم وبلسنهم أجل كتاب فاعتبر يا منافس
وقـل للشعوبيين ان حديثكم أضاليل من شيطانكم ووساوس
لكم مذهب فسل يغـر بمثله أشاييب حمقى لا الرجال الاكايس

قال من قصيدة أخرى مادحا الرسول الأعظم ومشيدا بصفاته الغر حيث جاء بالحنيفية البيضاء ومعجزته كتاب الله فتابعه سعيد ومن زاغ عنه فهو الهالك . وقد استطاع الرسول (ص) أن يطوح تاج كسرى وقيصر والممالك الأخرى ، فقال[1] :

ادار الأولى حلوك أين أولتك أراك محـلا لـلظبـاء الأوارك
ومـا أحد صـلّى عليه محمـد بذي عصم عند الآله ركائك
أبو القاسم ابن الأنبياء محمد رسول الهدى الهادي اسد المسالك
فأسعد أهل الأرض تابع خطوه ومن زاغ عنه هالك في الهوالك
الى الثقلين المصطفى كان مرسلاً من المتعـالى جـده المتبـارك
ولمـا أتـاهم بـالحنيفيـة التي هي الصبح حلى كل اسود حالك
بملة ابـراهيـم أثبـت ملة وارسخها قبل الجبال الروامك
أتاهم بآيات الكتاب فاصبحت بوازغ في الآفاق غير دوالك
يداهم باشباه السيوف بـوابكا فصدوا فثنى بالسيوف التوابك
ببيض خطمن الغر عن كل حاطم وسمر هتكن الستر من كل هاتك
وطوحن قصراً تاج كسرى وقيصر وسمن صغاراً شوس أهل الممالك
وكم من دماء حيل من دون حتفها حقن بـأيـد للدمـاء سـوافـك
وذو العرش ألقى في قلوب غواتهم من الرعب ما يثنيهم بالممالـك
فكائن رأوا من ذي ممالك كبكبت ممالك منه جنده في مهالك
وشردنهم في كل أوب تواركا صناديدهم مثل النعام الروائك

(١) ديوان الادب ورقة ٩٠ .

ثم قال مفتخراً بنسب الرسول بانه ينتمي الى قريش ذات المنصب العزيز وأنه من عدنان ، ومدح الصحابة التي التفت حول الرسول ودافعت عنه دفاع الأبطال :

اعـز قريش منصبـاً واخصهم بفرع سنام بين عدنان تافك
أبـوّتـه أعلتـه ثم ارتقت بـه نبوته في البـاذخات السـوامك
وذلـك يجزيه من ان يعتري الى فـواطم من جداتـه وعـواتـك
وما كان الاّ البدر تحتفي حوله صحابة صدق كالنجوم الشوابك
هم كشفوا عن وجهه كرب الورى كفاحاً وخاضوا دونه في المعارك
وقاموا بضرب للطلى متتابع وزادوا بطعن في الكلى متدارك
الى أن دجى الاسلام وامتد ظله وعضّ على أبهامه كل آفك
فارسلت الأديان سحا عيونها وأوضح دين الحق أنياب ضاحك
اليك رسول الله جهرّت مدحتي وأنك اسخى كل باق وهالك

* * *

الزمخشري وكتاب الكلم النوابغ :

هي مجموعة حكم ونصائح مركزة موجزة مسجوعة سجعاً ملتزماً لا ينتظمها موضوع أو فكرة وإنما في شتى مجالات الحياة في الاخلاق والسياسة والاقتصاد والدين والاجتماع ، طبع الكتاب المستشرق الهولندي هنري البرت سجلتن « Henriecus Albertus Sehultens » في سنة ١٧٧٢م مع ترجمة الى اللاتينية بعنوان « Antholagia Sententiaram Arabicarux » وفي سنة ١٨٧٥م طبع الكتاب المستشرق الفرنسي « C . Barbier de Meynard » مع ترجمة الى الفرنسية ونشرها في مجلة« Journal Asiatique» بعنوان : «Les Pensées De Zamakhscharï».

وفي سنة ١٣٠٦ هـ طبع الكتاب محمد الكستي البيروتي في بيروت .

وفي سنة ١٩٧١ م حققت الكتاب ونشرته الدكتورة بهيجة باقر الحسني في مجلة العرب في الجزء التاسع والعاشر . قال فيه السيد حبيب الدراجي التونسي[١] :

روض البلاغة قد تفتح زهره وجرى بتسنيم الفصاحة نهره
أو ما ترى «الكلم النوابغ» قد بدت تزرى بعقد لايثمن قدره
من نسج جار الله استاذ الورى المعتلى بين البرية قدره
يا زمرة الأدباء بشراكم بما قد همّ طلّاب المعارف نشره

وللكتاب شروح كثيرة أشهرها شرح العلامة سعد الدين التفتازاني وسماه بـ «النعم السوابغ في شرح الكلم النوابغ» .

طبع في وادي النيل بالقاهرة سنة ١٢٨٦ هجرية

قال فيه الزمخشري معظماً العرب ومفضلاً اياهم على العجم :[٢]

«العرب نبع صلب المعاجم والغرب مثل الاعاجم»

فسّرها التفتازاني[٣] :

«ان العرب فصحاء أعزاء أقوياء دون الاعاجم» .

وقال الزمخشري أيضاً شامخاً بالعرب[٤] :

«فرقك بين الرطب والعجم هو الفرق بين العرب والعجم»

وقال مادحا الاسلام[٥] :

«الدخول في دارة الاسلام خلود في دار السلام»

---

(١) الابيات في الصفحة الاخيرة من كتاب «الكلم النوابغ» طبعة بيروت .
(٢) الكلم النوابغ : رقم ٢٨ .
(٣) النعم السوابغ في شرح الكلم النوابغ صفحة ١٥ .
(٤) الكلم النوابغ : رقم ٢٢٠ .
(٥) المصدر نفسه رقم ١٤٢ .

وقال[1] :

«آمن بالامين«ابن آمنة» تأت يوم الفزع بنفس آمنة»

وهكذا تصدى الزمخشري للشعوبية في مؤلفاته هذه فمدح الاسلام والرسول العربي والعرب ، وذم الفرس والشعوبين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) المصدر نفسه رقم ١٥٦ .

المصادر والمراجع

١ ـ الاعلام ـ للزركلي . الطبعة الثالثة بـ «الاوفست» بيروت سنة ١٣٨٩هـ/ ١٩١٠م .

٢ ـ الاخبار الطوال ـ الدينوري ، تحقيق : عبد المنعم عامر ، مطبعة عيسى بابي الحلبي ، القاهرة سنة ١٩٦٠م .

٣ ـ ارشاد الاريب الى معرفة الاديب ـ المعروف بمعجم الادباء ، تحقيق : مرجليوث القاهرة ١٩٢٣ ـ ١٩٣١ .

٤ ـ ازهار الرياض في اخبار عياض ـ المقرى ١٣٥٨هـ ـ ١٣٦١هجرية .

٥ ـ انباه الرواة على انباه النحاة ـ القفطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧٤/١٩٥٥ .

٦ ـ ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ـ اسماعيل باشا البغدادي ، طهران سنة ١٩٦٧ .

٧ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ـ السيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ـ القاهرة ١٩٦٤ ، مطبعة آولى سنة ١٣٢٦ هجرية .

٨ ـ البيان والتبيين ـ للجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هارون ١٣٦٧/١٩٤٨ .
٩ ـ تاريخ بغداد ـ للخطيب البغدادي ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٣١م .
١٠ ـ تلبيس ابليس أو نقد العلم والعلماء ـ الطبعة المنيرية ، القاهرة ١٣٤٧ هجرية .
١١ ـ تذكرة الحفاظ ـ للذهبي ، طبع في حيدر آباد ـ الدكن ١٣٣٣ ـ ١٣٣٤هـ .
١٢ ـ الجذور التاريخية للشعوبية ـ للدكتور عبد العزيز الدوري ، منشورات دار الطليعة بيروت ١٩٦٢م .
١٣ ـ جريدة العراق ـ الاحد ، ١٨ كانون الثاني ١٩٨٧ .
١٤ ـ ديوان الادب ـ للزمخشري ، مخطوط مصور في المجمع العلمي العراقي .
١٥ ـ ديوان بشار بن برد ـ شرح وتحقيق محمد الطاهر بن عاشور .
١٦ ـ ديوان أبي نواس ـ تحقيق أحمد عبد الحميد الغزالي ، القاهرة ١٩٥٣ .
١٧ ـ روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ـ محمد باقر الخوانساري .
١٨ ـ الشعوبية حركة مضادة للاسلام والأمة العربية ـ للدكتور عبد الله سلوم من منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، الجمهورية العراقية ١٩٨٠ .
١٩ ـ الشعوبية ـ الدجيلي ـ الطبعة الثانية النجف ١٩٦٠ .
٢٠ ـ شذرات الذهب في اخبار من ذهب ـ لابي الفداء ، طبعة القاهرة ١٣٥٠ هجرية .
٢١ ـ الشعر والشعراء ـ لابن قتيبة ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٤ .

ARCHIVE

٢٢ ـ الصراع بين العرب والموالي ـ لبديع شريف ، دار الكاتب العربي ، القاهرة سنة ١٩٥٤ .
٢٣ ـ ضحى الاسلام ـ لاحمد امين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٧٥هـ .
٢٤ ـ طبقات المفسرين ـ للسيوطي ، تحقيق : فشر ، طبع في ليدن ١٨٣٩ .
٢٥ ـ العقد الفريد ، لابن عبد ربّه ، تحقيق : احمد امين ، القاهرة ١٩٤٠ .
٢٦ ـ الفائق في غريب الحديث ـ لجار الله الزمخشري ، طبع في حيدر آباد ـ الدكن سنة ١٣٢٤هـ ، وطبع في القاهرة سنة ١٣٦٦/١٩٤٧ .
٢٧ ـ الفهرست ـ لابن النديم ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة بدون تاريخ .
٢٨ ـ الفرج بعد الشدة ـ للتنوخي .
٢٩ ـ القصيدة البعوضية ـ للدكتورة بهيجة الحسني ، مجلة الأستاذ ١٩٦٧ .
٣٠ ـ الكامل في التاريخ ـ لابن الاثير . طبع في مصر سنة ١٣٠٣هـ .
٣١ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ـ حاجي خليفة ، طهران سنة ١٩٦٧ .
٣٢ ـ اللباب في تهذيب الانساب ـ لابن الاثير ، طبع في مصر ١٣٥٦ ـ ١٣٦٩ .
٣٣ ـ مجلة العرب ـ المملكة العربية السعودية ، الرياض لسنة ١٩٧١ .
٣٤ ـ المحاجاة بالمسائل النحوية ـ للزمخشري ، تحقيق الدكتورة بهيجة باقر الحسني مطبعة أسعد ببغداد سنة ١٣٩٣/١٩٧٣ .
٣٥ ـ معجم البلدان ـ لياقوت الحموي ، طبعة اولى ١٣٢٣/١٩٠٦ .
٣٦ ـ مفتاح السعادة ومصباح السيادة ـ لطاش كبرى زادة ـ طبع في حيدر آباد ـ الدكن سنة ١٣٢٩هـ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣٧ ـ مقدمة الادب ـ للزمخشري ، تحقيق سيد محمد كاظم امام ، طهران سنة ١٩٦٣م .
٣٨ ـ المفصّل ـ للزمخشري وبهامشه «الفيصل بشرح المفصل» طبع بمطبعة الحجازي بالقاهرة .
٣٩ ـ الملل والنحل ـ للشهرستاني ، المطبعة الادبية ، القاهرة ١٣٢٠ .
٤٠ ـ نزهة الالباء في طبقات الادباء ـ لابن الانباري ، تحقيق : الدكتور ابراهيم السامرائي ، الطبقة الثانية ١٩٧٠ .
٤١ ـ هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ـ لاسماعيل باشا البغدادي طبع باستانبول ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ .
٤٢ ـ وفيات الاعيان ـ لابن خلكان ، تحقيق : محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٦٧/١٩٤٨ .

* * * * * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السَّماح في أخبار الرِّماح

لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي

تحقيق: الدكتور أنور أبو سويلم، جامعة مؤتة
الدكتور ماجد الجعافرة، جامعة اليرموك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مُقَدِّمة التَّحْقِيق :

اهتم العربيُّ بسلاحه اهتماماً كبيراً ؛ حِفاظاً على وجوده ، ودفاعاً عن عرضه وماله وشرفه وكرامته ، وَرَدْعاً للطَّامعين والغُزاة ، وهو عُدَّته في الحياة ، وسبيله إلى العِزَّة والكرامة والسِّيادة ، وفي الشعر العربي تصوير لأدوات الحَرْب الهُجُومية والدِّفاعية ينطوي على حبّ وتقدير وإعزاز وإكبار ، تحسُّ من خلاله روح التضحية والفداء التي تنطوي عليها نفس العربي . «والسلاح عند العربي رمز تنطوي تحته كثير من المعاني ، فرَفْعُهُ فوق الرأس من أسمى آيات الاحترام ، وتحطيمه يعني الضِّعة والمَذَلَّة ، وتسليمه يعني الخضوع والمَسْكَنَة ، وما كان العربي يتمنَّى شيئاً سوى رمح مُدبّب وسيف صقيل ، وفرس جرداء ، ودرع سابغة[1]. وقد حفل الشعر العربي في مختلف عصوره بأوصاف خاصة بمعداتهم الحربية ، ومنها «الرمح» وعنوا بتفصيل أشكالها وألوانها وقُوَّتها ولدونتها وصفائها وصُنَّاعها

---

(١) نوري القيسي : الفروسية في الشعر الجاهلي ، عالم الكتب ، بيروت ١٩٨٤ ص١٦٨ .

وأسمائها مما يُؤَلَّف معجماً خاصاً بالسِّلاح[٢]. وهو معجم نادر قد لا نجده عند الأمم الأخرى .

وقد لحظ المؤلفون العرب أهميّةالسِّلاح في حياتهم العملية وفنونهم الشعرية والنثرية ، ولحظوا تكرار مصطلحات خاصة بأسلحتهم فجمعوا منذ وقت مبكِّر أسماء السِّلاح وأوصافه ، أو ما يمكن أنْ نسمِّيه «المصطلحات الفنيَّة للسِّلاح» حفاظاً على مفردات اللُّغة من الضياع ، واعترافاً بقيمة السلاح في حياة العرب الفُرسان ، فصنفوا كُتباً خاصة بالخيل ، والسلاح ، وأسماء السيوف والرماح والنبال ، والدُّروع ، والسِّهام والنِّصال ، وسائر الأسلحة الأخرى .

وكان للرمح أهمية خاصة : أشادوا به في أشعارهم وأخبارهم ، وألَّفوا كتباً في أهميته ، وأنواعه وأسمائه وصفاته ، وطرق استعماله . وأهمّ مؤلفاتهم فيه :

١ ـ أبو حاتم السجستاني ، سهل بن محمد (ت ٢٥٥ هـ) :
كتاب السُّيوف والرِّماح ، ذكره ابن النديم ؛ أبو الفرج محمد بن أبي إسحاق في كتاب الفهرست ، حققه : رضا ـ تجدد ، دانشگاه ، طهران (د.ت) ص٦٤ .

٢ ـ الأحدب ؛ نجم الدين حسن الرمَّاح (ت ٦٩٤هـ) :
(١) كتاب عَمَل الرمح على الأرض والفَرَس ، منه نسخة خطية في مكتبة الفاتيكان ، رقم ٢/٣٠٠ .
(٢) الفروسية والمناصب الحربية ، حققه : عيد ضيف العبادي ، منشورات وزارة الإعلام ، العراق ١٩٨٤م .
(٣) كتاب الغزو والجهاد وترتيب اللعب بالرمح وما يتعلق به ، منه نسخة خطية في رامپور (١ : ٦٧٧)

---

(٢) انظر ملحق (ألفاظ الرماح) .

ومنه نسخة خطية في الأوسكوريال رقم (٧٩٤) بعنوان : (اللعب بالرمح في معرفة الفروسية)

٣ ـ ابن الرمَّاح الحُسَامي ، محمد بن الأمير لاچين بن عبد الله الذهبي الطرابلسي (ت٧٨٠هـ) :
كتاب : بنود الرمح من بنود الأحداث والفروسية برسم الجهاد ، منه نسخة خطية في مكتبة جامعة ليدن بهولندة ، رقم ١٤١٩ .

٤ ـ ابن جماعة ، عز الدين محمد بن أبي بكر (ت٨١٩هـ) : فلق الصبح في أحكام الرُّمح ، فهرست مخطوطات برلين ، رقم ٥٥٥٠ .

٥ ـ الطرابلسي : ناصر الدين محمد (نحو القرن التاسع هجرية)
كتاب : في علم الفروسية ولعب الرمح ، منه نسخة خطية في مكتبة أياصوفيا باستنبول رقم ٢٨٢٥ ـ ٢٨٢٦ . ونسخة خطية في ليدن رقم ١٤١٩ وعنوانه : كتاب مبارك يشتمل على بنود الرماح وغير ذلك من الفوائد والميادين .

٦ ـ مجهول : علم الفروسية : النُّشَّاب والرُّمح وغير ذلك ،
منه نسخة خطية في مكتبة أياصوفيا ، باستنبول رقم ٤١٩٨ .

٧ ـ مجهول : الفروسية في اللعب والرمح :
منه نسخة خطية في مكتبة طوبقبوسراي ، استنبول ، رقم ٣٤٧١ ، ٧٤١١A .
ولعله كتاب الأحدب سالف الذكر بعنوان «اللعب بالرمح في معرفة الفروسية» .

٨ ـ مجهول من القرن العاشر هجرية : الكمال في الفروسية وأنواع السلاح ، وصفات السيوف والرماح .
منه نسخة خطية في مكتبة الفاتح باستنبول رقم ٣٥١٣ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٩ ـ مجهول : مراح نقل الرِّماح : منه نسخة خطية في مكتبة طوبقبوسراي باستنبول رقم ٧٤١١ عربي ٣٤٧١ ، تاريخه ٩٠١هـ .

١٠ ـ مجهول : الفلاح في علم السلاح والجهاد والرماح .
منه نسخة خطية في معهد آسيا للاستشراق ، لينغراد ، رقم ١/٨٥٧٥ ، وهو من مؤلفات القرن العاشر .

فصول من كتب قديمة في الرِّماح وأوصافها

١ ـ ابن أبي عون ، إبراهيم بن محمد (ت ٣٢٢هـ)
الرماح وما قيل فيها من شعر ، ضمن كتاب : التشبيهات ؛ تحقيق : محمد عبد المعين خان ، مطبعة جامعة كمبردج ، ١٩٥٠م ، ص١٣٨ ـ ١٥٩ .

٢ ـ الصولي ، أبو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٥هـ)
كتاب تفضيل السِّنان : (سنان الرمح : حديدته) وهو ضائع ، ذكره ابن النديم في الفهرست ص١٦٨ .
وانظر مقدمة شرح ديوان أبي تمام للصولي ، تحقيق د. خلف رشيد نعمان ، بغداد ١٩٧٧ ، ص١٠٩ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣ ـ الشمشاطي ، أبو الحسن علي بن محمد بن المطهر العدوي (ت ٣٧٧هـ أو ٣٨٠ هـ) :
السُّيوف والرماح وجميع السلاح ، ضمن كتابه الأنوار ومحاسن الأشعار ، تحقيق : صالح مهدي العزاوي ، دار الحرية ، بغداد ١٩٧٦ ، ص١١ ـ ٤١ .

٤ ـ الخالديَّان ، أبو بكر محمد (ت ٣٨٠هـ) وأبو عثمان سعيد (ت ٣٧١هـ) : الرماح وما قيل فيها من شعر ، ضمن كتابهما : الأشباه والنظائر ، تحقيق : السيد محمد يوسف ، مطبعة لجنة التأليف

والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٨م و١٩٦٥م ، ج١ص٩٨ ، ١٢٠ ، وج٢ ص٤٨ ، ١٦٢ .

٥ ـ الخركوشي النيسابوري ، أبو سعد عبد الملك بن محمد (ت ٤٠٦هـ) :

ذكر أسماء دروع رسول الله (ص) وسيوفه وقِسِيِّه ورماحه ، ضمن كتاب : مختصر شرف المصطفى ، منه نسخة خطية في برلين رقم ٩٥٧١ ، ورقة ٢٠١ .

٦ ـ الثعالبي : أبو منصور ، إسماعيل الثعالبي النيسابوري (ت ٤٢٩هـ) :

أسماء الرماح وصفاتها ، ضمن كتابه : فقه اللغة وسر العربية ، دار الكتب العملية ، بيروت (د.ت) ص٢٥١ ، وص٣٣٨ .

٧ ـ ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي (ت ٤٥٨هـ) :

أسماء الرماح وطوائفها ونعوتها ومواضعها وذكر ما يشبهها ، ضمن كتاب المخصص ، المكتب التجاري بيروت (د.ت) ج ص٢٨ـ٣٥ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٨ ـ ابن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣هـ) :

أوصاف الرماح ضمن كتابه «العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده» حققه : محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٦٤م ، ج٢ ، ص٢٣٠ ـ ٢٣٣ .

٩ ـ ابن نباته المصري (ت)

وصف الرماح والخيل ، ضمن كتاب مطلع الفوائد ومجمع الفوائد ، تحقيق : عمر موسى باشا ، دمشق ١٩٧٢م ، ص٢٥٢ ـ ٢٥٥ .

١٠ ـ ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ) :

السيوف والقسي والرماح والدروع ، ضمن كتابه : شرح نهج

البلاغة ، طبعة القاهرة ١٢٩٠هـ ، ج١ ، ص٣٢٧ .
١١ ـ النويري ، شهاب الدين (ت ٧٣٣هـ) : ما قيل في الرمح من الحديث والأسماء والنعوت والأوصاف ، ضمن كتابه نهاية الأرب في فنون الأدب ، دار الكتب المصرية ١٩٣٢م ج٦ ص٢١٤ ـ ٢٢٢ .
١٢ ـ القلقشندي ، أحمد بن علي (ت٨٢١هـ) :
الرمح وحامل الرمح ، ضمن كتابه : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ،
طبعة القاهرة ١٩٧٠ ج٣ ص٤٧٩ ، ٥٠٩ ، ٥٢٢ .
١٣ ـ ابن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ) : وصف الرماح ، ضمن كتابه «ثمرات الأوراق» تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة السنّة المحمدية ، القاهرة ١٩٧١م ، ص٤٠٥ ـ ٤٠٨ .
١٤ ـ المَقَّري ، أحمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ) :
آلات الحرب التي تصنع بالأندلس ، ضمن كتابه : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،
تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٤٩م ج١ ص١٨٨ و٢٠٧ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دراسات حديثة

١ ـ أحمد بن مصطفى الدمشقي اللبابيدي (ت ١٣١٨هـ) :
أسماء الرمح ، ضمن كتابه «لطائف اللغة» المطبعة العامرة ، استنبول ١٣١١هـ ، ص٧٦ .
٢ ـ الأمير شكيب أرسلان (ت ١٣٦٦هـ) :
آلات الحرب من التراس والرماح والدروع . . . إلخ لدى أهل الأندلس ، ضمن كتابه : الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، القاهرة ١٩٣٦م ج١ ص٢٣٣ .

٣ ـ آرنست كوثل : الأدوات المعدنية : الخوذة ، السيف ، الرمح . . . ضمن كتابه : الفن الإسلامي ، ترجمهُ عن الألمانية : د: أحمد موسى ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٦م ، ص١٠١ ـ ١٠٢ ، وص١٧٩ ـ ١٨٠ .
٤ ـ د. إبراهيم السامرائي : السيوف والرماح والدروع ، ضمن بحث : السلاح في العربية ، مجلة التراث الشعبي ، بغداد ١٩٧٧م مجلد ٨ ، ع٣ ، ص٥٣ ـ ٧٠ ، ومجلة الدارة ، الرياض ، ديسمبر ، ١٩٧٨م ، مجلد٤ ، ع٤ ، ص٩٩ ـ ١٢١ .
٥ ـ عبد الجبار محمود : الرمح ، ضمن بحثه : الأسلحة القديمة عند العرب ، مجلة التراث الشعبي ، ١٢ [بغداد ١٩٨١] ع ٦ ـ ٧، ص١٣ ـ ٢٦ .
٦ ـ ماجد أحمد العزي : نعوت الرماح ، مجلة ألف باء ، ١٤ [بغداد ٢٣ أيلول ١٩٨١م] ع٦٧٨ ، ص٣٩ .
٧ ـ هاني محيي الدين الأحمد :
تراث عن السُّمْر العَوالي : الرمح سلاح عريق عند العرب ، مجلة ألف باء ، ١٥ [بغداد ، حزيران١٩٨٢م] ع٧١٤، ص٤٤ ـ ٤٥ .
٨ ـ عبد القادر حافظ : الرمح ، ضمن بحثه : السيف أشهر أسلحة العرب ، مجلة ألف باء ١٤ [بغداد ٩ كانون أول ١٩٨١م] ع٦٨٩ ، ص٣٤ ـ ٣٥ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتب السلاح عامة

أ- الكتب القديمة .

١- النَّضر بن شُميل (ت ٢٠٤هـ) :
كتاب السلاح ، ذكره ابن النديم في الفهرست ص٥٨ (طبعة طهران)

٢- الأصمعي : عبد الملك بن قريب (ت٢١٦هـ) :
كتاب السلاح ، ذكره ابن النديم في الفهرست ، ص٦١

٣- أبو دلف العجلي ، القاسم بن عيسى البغدادي (ت٢٢٦هـ) :
كتاب السلاح ، ذكره ابن النّديم في الفهرست ص١٣٠ وابن خلكان في وفيات الأعيان ، تحقيق : إحسان عباس ج٤ ص٧٤

٤- شمر بن حمدويه الهروي (ت٢٢٥هـ) :
كتاب السلاح ، ذكره ابن منظور في اللسان ، مادة (علم) والزبيدي في تاج العروس ، مادة (علم)

٥- ابن السكيت ، يعقوب بن إسحق (ت٢٤٤هـ) :
السلاح ضمن كتاب : كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ ، تحقيق : الأب لويس شيخو ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٨٩٥ م ص٦٥٢ - ٦٥٤

٦- ابن أبي زُرعة ، أبو علي محمد (ت٢٥٧هـ) :
كتاب السلاح ، ذكره البيروني في كتابه الجماهر في معرفة الجواهر ، ص

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٧- الأحول ، محمد بن الحسن بن دينار الكوفي ، (كان حياً سنة ٢٥٩هـ) كتاب السلاح ، وهو كتاب ضائع ، ذكره ابن النديم في الفهرست ص٨٧

٨- ابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ) :
معرفة السلاح ، ضمن كتابه أدب الكاتب ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٥٨ ص١٥٦ - ١٥٨

٩- ابن دريد ، محمد بن الحسن الأزدي (ت٣٢١هـ) :
كتاب السلاح ، ذكره ابن النديم في الفهرست ص٦٧ ، وياقوت في معجم الأدباء ج٦ ص٤٨٩

١٠- محمد بن أحمد بن خالد (من القرن السابع الهجري) :
خزائن السلاح ، منه نسخة خطية في مكتبة قره مصطفى باستنبول رقم ٤١

ب- دارسات وكتب حديثة

١- عبد الله مخلص (ت١٣٦٧هـ) :
أدوات الحرب عند العرب ، ذكره الزركلي في الأعلام ، ج٤ ص٢٧٨

٢- محمود بن الشريف : أسلحتنا العربية قديماً وحديثاً ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٥ م .

٣- مهدي حمودي الأنصاري : السلاح في التراث العربي ، جريدة العدل ، العراق ، العدد ١٨ سنة ١٩٧٨ م .

٤- إبراهيم السامرائي : السلاح في العربية ، مجلة التراث الشعبي ٨ بغداد ١٩٧٧ م ع٣ ، ص٥٣-٧٠ .

٥- محمد حسن آل ياسين :
كتب السلاح ضمن بحثه : ما وضع في اللغة عند العرب إلى نهاية القرن الثالث ، مجلة المورد ٩ [بغداد ١٩٨٠] ع٣ ص٢٦٣ .

٦- كوركيس عواد :
مصادر التراث العسكري عند العرب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٨٢ م .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تعريف بالمؤلف :

نال السُّيوطي شهرة واسعة تَجْعله لا يحتاج إلى تعريف ، غير أنّ أكثر المحققين دَرَجوا على التَّعريف بمُؤَلَّف النصّ المُحَقَّق ، ورأوا أنَّ هذا التعريف جزء أساس في التحقيق العلمّي السليم ، وحتّى لا يكون هذا الكتاب شاذاً عن الأُصول المُتَّبعة رأينا أنْ نقدِّم تعريفاً موجزاً بمؤلفه .

لقد ترك السيوطي ترجمة ذاتية له في كتابه حسن المحاضرة[1] ، ذكر في نَسَبه ومولده وتاريخه ونشأته وحياته وشيوخه وأسماء مُصَنَّفاته ، وبَحَثَ الدكتور مصطفى الشَّكْعة في سِفْرٍ كبير مسيرة السيوطي العلمية ومباحثه اللغوية[2] . والسيوطي يوضع في مصاف كبار المُفَسِّرين والمُحَدِّثين واللُّغويين والفُقَهاء والأُصوليين والأُدباء ، وفي مقدمات كتبه المنشورة تعريفات بسيرته الذاتية ونتاجه العلمي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اسمه ونسبه ومولده :

هو الحافظ عبد الرحمن بن الكمال بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمود بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح بن أيوب بن ناصر الدين محمد بن الهُمام الخضيري الأسيوطي ، ويلقب بجلال الدين وكنيته أبو الفضل .

وُلِد في القاهرة سنة تسع وأربعين وثمانمائة (٨٤٩هـ) ونشأ يتيماً ، حيث مات أبوه سنة خمس وخمسين وثمانمائة ، وكان له من العمر ست

---

(١) حسن المحاضرة ج١ ص٣٣٥ ـ ٣٣٤ . وانظر ترجمته أيضاً في الكواكب السائرة ج١ ص٢٢٦ وشذرات الذهب ج٨ ص٥١ ، والضوء اللامع ج٤ ص٦٥ .

(٢) مصطفى الشكعة : جلال الدين السيوطي : مسيرته العلمية ومباحثة اللغوية ، مصطفى البابي الحلبي القاهرة ١٩٨١م .

سنوات[٣] . وطلب العلم في سنّ مبكرة ، فَأَتَمَّ حفظ القرآن وحفظ ألفية ابن مالك والأُصول ومنهاج الفقه والعُمدة قبل البلوغ ، وتَعَلَّم الفرائض والفقه والنحو والتفسير والأُصول والعربية، وذكر من شيوخه جلال الدين المَحَلِّي وعَلَم الدين البَلْقيني ، وتقي الدين الشُّمُنِّي ، ومحيي الدين الكافِيَجِي ، وعبد القادر العبادي ، وقد جمع أسماء العلماء الذين أخذ عنهم في رسالة سمَّاها «المنجم في المعجم»[٤] ورسالة أخرى سمّاها «حاطب ليل وجارف سيل»[٥] .

وذكر في حسن المحاضرة أنَّه تتلمذ في علم الحديث وَحْدَه على نحو مائة وخمسين شيخاً[٦] . وانقطع للتأليف وعمره أربعون سنة ، وقد جمع ما أَلَّف من كتب في رسالة كتبها بخطه[٧] .

وأشهر مؤلفاته في علوم القرآن والتفسير : تفسير الجلالين ، والإتقان ، والدُّرُّ المنثور ، وفي الحديث النبوي وعلومه : كتاب الجامع الصغير ، وفي الفقه : الأشباه والنظائر في فقه الإمام الشافعي ، وفي اللغة : كتاب المُزْهر في اللغة ، وفي النحو : كتاب همع الهوامع ، وفي التاريخ والتراجم والطبقات : كتاب حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، وتاريخ الخلفاء .

وفي التراجم والطبقات والرحلات : نظم العقيان وطبقات المفسرين وبغية الوعاة . وفي الأدب وتاريخه ومباحثه : ديوان شعره ومقاماته والمستطرف من أخبار الجواري ، وله كتب في التصوف وعلم المنطق والحياة

---

(٣) نظم العقبان في أعيان الأعيان للسيوطي ص٩٥ .

(٤) مخطوطة في مكتبة جامعة برنستون ، أمريكا ، رقم ٥٢ مجموعة جاريت .

(٥) لقط المرجان في أحكام الجان للسيوطي ص١٠ .

(٦) حسن المحاضرة ج١ ص٢٤٠

(٧) فهرست أسماء الكتب التي ألَّفها السيوطي ، مخطوطة في جامعة ييل رقم ٤٧أ ، مجموعة لاندبيرج .

الجنسية . وهو في هذه العلوم عالم موسوعي ، يخاله الباحث متخصصاً في كلّ فروع المعرفة ، تتراوح مؤلفاته ما بين الرسائل الموجزة القصيرة ، والمجلدات الضخمة الكبيرة ، وقد ذكر تلميذه ابن اياس في (بدائع الزهور) أنَّ كتب السيوطي بلغت ستمائة كتاب[٨] .

وفاته :

كانت حياة السيوطي وَقْفاً على التأليف ، فقد اعتكف في منزله متصوفاً منقطعاً ليؤلف حشداً هائلاً من المؤلفات في شتى العلوم والفنون حتى وافته المنية في ١٩ جمادى الأُولى سنة ٩١١هـ/١٥٠٥ م .

وصف المخطوطتين اللتين عثرنا عليهما :

رجعنا في تحقيق هذه الرسالة إلى مخطوطتين فريدتين :

(١) الأولى ضمن مجموع في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، رقم ٦٣٧٦ (مجموع السيوطي) منقولة من نسخة بخط تلميذ المؤلف محمد بن علي الداودي ، وعلى المجموع تملُّك لعثمان العقيلي العمري ، وجاءت في إحدى عشرة ورقة ، مسطرتها ١٠×١٤,٥سم ، في كل صفحة ثلاثة عشر سطراً ، وكتبت بخط نسخي جميل غير مشكول . غير أنَّ الناسخ لم يكن دقيقاً في نقله ، إذْ سقط منه حديث شريف ، وسطر من الفوائد اللغوية ، وكلمات مفردة ، زد على ذلك ما وقع فيه من تصحيف وتحريف ، واتخذنا هذه النسخة أصلاً ورمزنا لها برمز (ش) .

(٢) والثانية في دار الكتب المصرية ، رقم ١٥١٧ (حديث) (خصوصية) لم يذكر على غلافها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ ولاتملّكات .

---

(٨) بدائع الزهور ، حوادث سنة ٩١١ .

وجاءت في ثماني ورقات (ست عشرة صفحة) في الصفحة الواحدة نحو خمسة عشر سطراً مسطرتها ٨× ١٤سم ، وكتبت بخط نسخي نفيس غير مشكول وهي نسخة مشابهة لنسخة دار الكتب الظاهرية من حيث التصحيفات والتحريفات ، غير أنَّها أَتَمَّت ما أَخَلَّت به نسخة الظاهرية ، وليس فيها سقط أوبياض أوحذف . واتخذنا هذه النسخة فرعاً ورمزنا لها برمز (ق) .

هذا الكتاب : منهجه :

استطاع السيوطي في هذا الكتاب أنْ ينقل إلينا بايجاز ما ورد في الرماح في أبواب أربعة :

(١) الأحاديث النبوية التي ذَكَرَت الرماح .
(٢) أسماء الرماح ونعوتها (فوائد لغوية) .
(٣) مُفَاخَرَة الرُّمح والسَّيف : وهي قطعة نثرية جيدة ذكرها الكتبي ، وابن حجر والصفدي وحاجي خليفة ، لمؤلفها علي بن محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر السَّعْدي (ت٦١٧هـ) . وليس بين أيدينا نص هذه المفاخرة سوى ما جاء في رسالة (السَّماح في أخبار الرماح) .
(٤) ما قيل في الرُّمح من الأشعار : وهي مختارات من أشعار لمتأخرين ليس لهم دواوين ذائعة .

وفي هذه الأبواب الأربعة استطاع السيوطي أن يخرج عن مناهج العلماء السابقين له الذين عنوا في مثل هذا الموضع بذكر المادة المعجمية فحسب ، فقد أحصى في الباب الأول كلّ الأحاديث النبوية التي ذكرت الرماح . والباب الثاني نقل فيه عن أبي عبيد القاسم بن سلام فصلاً في أسماء الرماح من كتابه الغريب المصنف ، وهذا الكتاب لم ينشر بعد . وقد وجدنا مادة أُخرى لم ترد في الغريب المصنف فجمعناها والحقنا بها هذه الرسالة .

أما الباب الثالث فهو وثيقة عظيمة لاحتوائه على النصّ الكامل لرسالة علي بن محمد السَّعْدي في (المفاخرة بين الرُّمح والسيف) وهذه المفاخرة ضاعت فيما ضاع من كتب التراث .

أما الباب الرابع فقد أورد مختاراتٍ من شعر المُحْدَثين في صفة الرماح ، وأغفل عامداً الشعراء الجاهليين والأُمويين والعباسيين المتقدِّمين .

ويمكن القول إنَّ السيوطي استطاع في هذا الكتاب الموجز أنْ يضع يديه على المصادر الأساسية في «الرِّماح» وهي الحديث الشريف ، والمعاجم ، والنثر الفني ، والشعر . واستطاع أنْ يجمع مادة جديدة ولا سيما في باب الحديث الشريف والنثر الفني أمّا المادة المعجمية فلم يستطع أنْ يضيف شيئاً إلى أبي عبيد ، ومختاراته الشعرية لم تكن موفَّقة لاحتوائها على أَشْعَار غَثَّة ، ولإهمالها الشعر العربي في مرحلة الأَصالة التراثية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تحقيق الكتاب :

سلكنا في تحقيق هذا الكتاب الخطوات التالية :

(١) قمنا بتخريج الأحاديث الشريفة : والتعريف برجال السند للتثبّت من صدق الرواية وتسلسلها ورجعنا الى مصادر السيوطي التي ذكرها كالاستيعاب لابن عبد البر والحِلْية لأبي نعيم ، والمُصَنَّف لابن أبي شَيْبَة .

(٢) ضبطنا ألفاظ الرماح المذكورة ووثقناها بالعَوْد إلى لسان العرب ، ووجدنا ألفاظاً أُخرى أَخَلَّ بها هذا الفصل فألحقناها في نهاية الرسالة .

(٣) وجدنا مشكلات كبيرة في الرسالة النثرية (مفاخرة بين السيف والرمح) ، فكلا المخطوطتين مُصَحّفٌ ، ولم نجد المفاخرة في

كتب أُخرى ، لذلك حاولنا قراءة نصّها قراءة قويمة وتصويب ما جاء فيها من سهو وخطأ ، وعَرَّفنا بالرموز التي يُومىء إليها المُؤَلِّف .

(٤) عرّفنا بأصحاب الأشعار ، وَرَدَدْناها الى مصادرها ، وشرحنا الألفاظ الغامضة منها ، وأثبتنا الاختلاف في رواية الشعر .

وبعد :

فهذا كتاب لطيف في موضوع طريف ، حاولنا جهدنا ضبط النصّ وتقويمه وتصحيح ما وقع فيه النُسَّاخ من سَهْو ووَهْم وخَطَأ ، لنقدمه إلى الباحثين في أقرب صورة أرادها المُؤَلِّف ، وقد بذلنا في إخراجه جهداً لا يعلمه إلّا مَنْ كابَدَ مشقَّة التحقيق العلمي ، وألحقنا به مُعْجَماً لألفاظ الرِّماح ، وفهرساً بالأحاديث الشريفة ، والأعلام ، والشِّعْر . فإن أَصَبْنَا فمن الله التوفيق ، وإلّا ، فحسبنا نصيب المجتهدين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رموز النسخ المخطوطة :

(١) مخطوطة دار الكتب المصرية بالقاهرة (ق)

(٢) مخطوطة دار الكتب الظاهرية بدمشق (ش)

بسم الله الرحمن الرحيم

السماح في أخبار الرِّماح
لخاتمة الحُفَّاظ والمُجْتَهدين

جلال الدين أبي الفضل

عبد الرحمن بن العلامة

كمال الدين

السيوطي

الشافعي

رحمه

الله

آمين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

غلاف مخطوطة دار الكتب الظاهرية بدمشق .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ لله ، وسلامٌ على عِبَادِه الذين آصْطَفَى ، هذا جُزْءٌ من الرِّماح ، فيه فَوَائِدُ مِلاح ، وأَخْبَارٌ حِسَانٌ وصِحَاح ، سَمَّيْتُهُ بـ «السَّمَاح في أَخْبَار الرِّمَاح» .

« الفَصْل الأَول »

«ذِكْرُ الأَحَاديث والآثار الوَارِدَةِ في ذلك»

قال ابن أبي شَيْبَة في المُصَنَّف[1] : حَدَّثنا هاشم بن القاسم[2] ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) هو أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العَبْسي الكُوفي المعروف بابن أبي شَيْبَة ، ولد سنة ١٥٩ هـ /٧٧٥م ، وعاش في بغداد ، روى عن عبد الله بن المبارك ، ووكيع بن الجراح وغيرهما ، وحَدَّث عنه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجة وغيرهم ، وكان في عمره مُحَدِّثاً ذا شهرة واسعة ، وتوفي سنة ٢٣٥ هـ /٨٤٩م ، له كتاب المُصَنَّف (المسْنَد) . طُبع منه كتاب الرَّدُ على أبي حنيفة من المصنف . دلهي ، ١٣٣٣ هـ ، والنكت الطريفة في التحدث عن ردود ابن أبي شَيْبَة على أبي حنيفة ، لمحمد زاهد الكوثري ، القاهرة ١٣٦٥ هـ ، ومن المُصَنَّف طُبع المجلدان ١ ، ٢ في ملبتان ١٣٢٤ هـ ، ثم حققه مختار الندوى في خمسة عشر جزءاً ، وطبعته الدار السلفية في الهند ١٩٨٣م ، انظر ترجمته عند : ابن سعد : الطبقات جـ ٦ ص٢٨٨ ، وابن النديم : الفهرست ص ٢٢٩ ، والبغدادي : تاريخ بغداد جـ ١٠ ص ٦٦ ـ ٧١ ، وفؤاد سزكين : تاريخ التراث العربي ، ترجمة : محمود فهمي حجازي ، طبعة جامعة الإمام ١٩٨٣ ، مج ١ جـ ١ ص ٢٠٥ .

(٢) هاشم بن القاسم بن مقسم اللَّيثي ، أبو النَّضْر البغدادي ، روى عن عبد الرحمن بن ثَوْبان =

حَدَّثنا عبد الرحمن بن ثابت[1] ، حَدَّثنا حَسَّان بن عَطِيَّة[2] ، عن أبي مُنِيب الجُرَشيّ[3] ، حَدَّثني عن عبد الله بن عمر ، رضي الله عنهما ، قال : قال رَسُول الله ﷺ[4] : «إنَّ الله جَعَلَ رِزْقي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي ، وجَعَل الذِّلَّةَ والصَّغَارَ على مَنْ خَالَفَ أَمْرِي ، ومَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُم» .

وقال[5] ابن أبي شَيْبَة : حَدَّثنا عيسى بن يُونس عن الأَوْزَاعي ، عن سعيد بن جبلة عن طَاوُس ، قال : رَسُول الله ﷺ :

«إنَّ الله يَمْشِي بالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَي السَّاعَة وجَعَل رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي ، وجَعَلَ المَذَلَّةَ والصَّغَارَ على مَنْ خَالَفَنِي ، ومَنْ تَشَبَّه بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» .

= والأشجعي واللَّيْث ، مات سنة ٢٠٧ هـ . انظر ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ) : كتاب تهذيب التهذيب ، مطبعة المعارف النظامية حيد آباد ، الدكن ، الهند ١٣٢٥ هـ ، ج ١١ ص ١٨ .

(١) عبد الرحمن بن ثابت بن ثَوْبَان ، قال ابن حجر : له حديث «جُعِلَ رِزْقي تحت ظل رمحي» وَصَلَه أبو داود من طريق عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن حسان بن عطية عن أبي منيب الجرشي عن ابن عمر ، توفي عبد الرحمن سنة ٣٦٥ هـ . انظر : تهذيب التهذيب ج ٦ ص ١٥١ .

(٢) ق : هشام بن عطية ، والتصويب : حسان بن عطية المحاربي ، روى عن أبي مُنيب الجُرَشي ، وابن المنكدر ، وأبي كَبْشَة السَّلولي وغيرهم ، توفي سنة ١٢٥ هـ ، انظر تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٢٥١ .

(٣) هو أبو منيب الجرشي ، عبيد الله بن عبد الله بن عبد الله العتكي المروزي ، انظر : الدولابي ، أبو بشر ، محمد بن أحمد بن حماد (ت ٣١٠ هـ) : كتاب الكنى والأسماء ، دار الكتب العلمية ، بيروت (د.ت) ج ٢ ص ١٣٠ ، وتهذيب التهذيب ج ٦ ص ١٥١ .

(٤) البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت ٢٥٦ هـ) : صحيح البخاري ، مطبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، مصر ، ١٩٧١ ، الجزء الخامس ، ص ١٠٢ .

ولفظه : عن ابن عُمر عن النبي ﷺ ، قال : جُعِل رِزْقي تحت ظِلّ رُمْحِي ، وجعل الذِّلَّة والصَّغار على مَنْ خَالَفَ أَمْرِي . وهو أيضاً عند النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢ هـ) : نهاية الأَرَب ، دار الكتب المصرية ، ١٩٣٢ ، جـ ٦ ص ٢١٤ . والتاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ، جـ ٤ ص ٣٢٢ .

(٥) هذا القول إلى نهاية الحديث : سقط من نسخة (ق) .

وقال ابن أبي شَيْبَة : حَدَّثَنَا وَكِيع[1] ، حَدَّثنا سُفْيَان[2] عن أبي إسحق[3] ، عن أبي الخليل[4] ، عن عليّ رضي الله عنه ، قال[5] : كان المُغِيرة بن شُعْبَة إذا غَزَا مع النَبِيّ ﷺ حَمَلَ مَعَهُ رُمْحاً .

وقال ابن أبي شَيْبَة ، حَدَّثَنا وكيع ، حَدَّثنا مُصْعَب بن سُلَيْم ، سمعت أَنَس بن مالك ، يقول : إنَّ أَبَا مُوسى أَرَادَ أن يَسْتَعْمِل البَرَاء بن مالك[6] فأَبَى ، فقال له البَرَاء بن مالك : أَعْطِني سَيْفِي وتُرْسِي ورُمْحِي وقَوْسِي وذَرْنِي إلى الجِهَاد في سبيل الله .

---

(١) هو أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح الرُّؤَاسي ، ولد بالكوفة سنة ١٢٩ هـ ، ٧٤٦ ، كان أحد الأئمة الأَعْلام في الحديث ، أراد الرشيد أنْ يولي وكيعاً قضاء الكوفة، فامتنع لِشِدَّةِ ورعه ، وألف كُتباً كثيرة في علوم الحديث ، وتوفي سنة ١٩٧ هـ / ٨١٢ م ، وأشهر كتبه «المُصَنَّف» الذي اقتبس منه أحمد بن حنبل في مسنده ، جـ ١ ص ٣٠٨ ، وابن حجر في الإصابة جـ ١ ص ٣٣٤ ، انظر ترجمته : ابن سعد : الطبقات جـ ٦ ص ٣٩٤ ، وابن النديم : الفهرست ص ٢٢٦ ، والبغدادي : تاريخ بغداد جـ ١٣ ص ٤٩٦ ـ ٥١٢ ، وفؤاد سزكين : تاريخ التراث العربي جـ ١ ص ١٧٩ .

(٢) لعله سفيان بن عيينة بن ميمون ، أبو محمد الهلالي ، ولد بالكوفة سنة ١٠٧ هـ / ٧٢٥ م ، ونشأ في مكة ، وتوفي بها سنة ١٩٦ هـ / ٨١١ م .

(٣) أبو إسحق ، إبراهيم بن سعد الزهري المدني ، ولد سنة ١٠٨ هـ / ٧٢٦ م وكان أحد المحدثين المشهورين في المدينة المنورة ، سمع أباه والزهري وغيرهما ، ثم تولى قضاء بغداد وتوفي سنة ١٨٢ هـ / ٧٩٨ م .
انظر ترجمته : ابن سعد : الطبقات جـ ٧ ص ٣٢٢ ، البغدادي : تاريخ بغداد جـ ٦ ص ٨١ ـ ٨٦ ، والذهبي : ميزان الاعتدال جـ ١ ص ١٧ ـ ١٨ .

(٤) أبو الخليل ، اسمه عبد السلام ، روى عنه زيد بن حباب ، انظر : الكني والأسماء جـ ١ ص ١٦٥ .

(٥) الحديث في سنن ابن ماجة ، جـ ٢ ص ٣٣٩ ، ورقمه ٢٨٠٩ . وفيه زيادة ، وسنده : حَدَّثنا محمد بن إسماعيل بن سمرة ، أَنبأنا وكيع عن سفيان عن أبي اسحق عن أبي الخليل عن علي بن أبي طالب قال : كان المغيرة بن شعبة اذا غزا مع النبي ﷺ ، حمل معه رمحاً ، فإذا رَجَع طَرَح رُمْحَه حتى يُحْمَلَ له ، فقال له عليٌّ ، لأَذْكُرَنَّ ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال : «لا تَفْعَلْ ، فإنَّكَ إنْ فَعَلْتَ لم تَرْفَعْ ضَالَّةً» .

(٦) البَرَاء بن مالك بن النَضْر الخَزْرجي (ت ٢٠ هـ) ، قيل إنه قَتَلَ مائة من المشركين مبارزة ، وهو الذي قال فيه الرَّسول «إنْ أَقْسَمَ على الله لَأَبَرَّه ، وكان البراء على ميمنة أبي موسى

وقال أَبو نَعِيم[1] حَدَّثنا أَحْمَد[2] ، حَدَّثَنَا عبد الله بن صالح البُخَاري[3] عن محمد بن ناصح عن بقيَّة[4] ، عن مَسْلَمة بن عليّ[5] ، عن عثمان بن عطاء[6] عن أبيه ، عن أبي هُريرة ، قال رسول الله ﷺ[7] : مَنْ أَعْتَقَلَ رُمْحاً في سَبِيْلِ الله ، عَقَلَهُ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ مِن الذُّنُوب يَوْمَ القِيَامَة .

= الأشعري يوم فتح تُسْتَر ، واستُشْهِد على بابها الشرقيّ ، وقبره بها ، وهو أخو أنس بن مالك . انظر ترجمته وأخباره عند أبي نعيم ، أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت ٤٣٠ هـ) : كتاب حلية الأولياء ، دار الفكر ، بيروت (د.ت) جـ ١ ص ٣٥٠ ، وابن الجوزي ، جمال الدين (ت ٥٩٧ هـ) : كتاب صفوة الصَّفْوَة ، حققه محمود فاخوري ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٨٥ م ، جـ ١ ص ٦٢٤ .

(١) هو أبو نعيم ، أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت ٤٣٠ هـ) وكتابه حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، وهو مطبوع في دار الفكر ، بيروت (د.ن) .

(٢) ش : أبو أحمد . وأحمد : هو أحمد بن حنبل ، أما أبو أحمد ، لعله صبيح بن دينار ، أو محمد بن عبد الله بن الزبير لأنهما المشهوران بهذه الكنية ، انظر : الدولابي الكنى والأسماء جـ ١ ص ١١٢ .

(٣) هو عبد الله بن صالح بن مسلم العجلي (ت ٢١١ هـ) . انظر ترجمته في تهذيب التهذيب جـ ٥ ص ٢٦١ .

(٤) هو بَقِيَّة بن الوليد بن صائد بن كعب بن جرير الكلاعي ، أبو محمد ، روى عنه خلق كثير ، ولد سنة ١١٥ هـ ومات سنة ١٩٧هـ . انظر ترجمته عند ابن حجر العقلاني ، أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ) : تهذيب التهذيب ، مطبعة المعارف النظامية ، حيدر آباد الدكن ، الهند ١٣٢٥ هـ جـ ١ ص ٤٧٣ .

(٥) مسلمة بن علي بن خلف الخُشَني ، أبو سعيد الدمشقي ، روى عنه الأَعْمَش ، وعبيد الله بن عمر ، وبقية بن الوليد وخلق كثير ، وتوفي بمصر سنة ١٩٠ هـ . ابن حجر : تهذيب التهذيب ، جـ ١٠ ص ١٤٦ .

(٦) عثمان بن عطاء بن أبي مسلم الخراساني ، ولد سنة ٨٨ هـ ، وتوفي سنة ١٥٥ هـ ، متروك الحديث ، لا يُحْتَجُّ به . ابن حجر : تهذيب التهذيب ، جـ ٧ ص ١٣٨ .

(٧) الحديث ذكره السيوطي في كتاب : جامع الأحاديث للجامع الصغير ، جمعه وحققه : عباس أحمد صقر ، وأحمد عبد الجواد ، مطبعة محمد هاشم الكتبي بدمشق (د.ت) ٦٠ ص ١٠٨ .

وقال ابن أبي شَيْبَة ، حَدَّثَنَا وكيع ، حدثنا الأَعْمَش[1] ، عن حكيم بن جُبَيْر[2] عن مُجَاهد عن عُبيد بن عمير[3] قال[4] : يَجِيءُ فُقَراء المُهَاجِرين يَوْمَ القِيَامة ، تَقْطُرُ رِمَاحُهُمْ وسُيُوفُهُمْ دمًا ، فيُقَالُ لَهُمْ كَمَا أَنْتُمْ حَتَّى تُحَاسَبُون[5] ، فَيَقُولُونَ : هَلْ أَعْطَيْتُمُونَا شَيْئًا تُحَاسِبُونَا عليه ، فَيُنْظَرُ في ذلك فلا يُوْجَدُ إلَّا أَكْوَارُهم التي هَاجَرُوا عَلَيْهَا ، فَيَدْخُلُون الجَنَّةَ قَبْلَ الخَلْقِ بِخَمْسِمِائَةِ عام[6] .

وقال بن أبي شَيْبَة ، حَدَّثنا عَفَّان[7] ، حدثنا حَمَّاد بن سَلَمَة[8] ، عن إسحق بن عبد الله بن أبي طَلْحَة[9] ، عن أنس بن مالك ، قال : جاءت

---

(١) الأعمش ، الإمام المُقْرىء الراوي سليمان بن مهران ، انظر ترجمته ومروياته عن أبي نعيم في حلية الأولياء ، جـ ٥ ص ٤٦ وما بعدها .

(٢) في الحلية : حكيم بن حزام ، وفي الحاشية : الاصلان المخطوطان (حكيم بن جبير) جـ ٣ ص ٢٧٢ .

(٣) عبيد بن عمير الكناني الليثي ، انظر ترجمته في الحلية جـ ٣ ص ٢٦٦ ، وما بعدها .

(٤) الحديث ذكره أبو نعيم في حلية الأولياء وسنده : حدثنا إبراهيم بن عبد الله ثنا محمد بن إسحق الثقفي ثنا قتيبة بن سعيد ثنا جرير ثنا الأعمش ثنا حيكم بن حزام ثنا مجاهد ، ثنا عبيد بن عمير قال : ..... الخ . انظر : حلية الأولياء جـ ٣ ص ٢٧٢ .

(٥) في الحلية : انتظروا تحاسبوا .

(٦) في الحلية : فيقول الله تعالى : أنا أَحَقُّ مَنْ أَوْفَى وَعْدَهُم ، أَدْخُلوا الجَنَّةَ بِسَلام ، قال : فيدخلون قبل الناس بخمسمائة عام .

(٧) هو عفان بن مسلم بن عبد الله الصَّفَّار ، أبو عثمان البصري ، روى عن كثيرين ، منهم حماد بن سلمة ، وروى عنه البخاري ، ووَثَّقه علماء الجرح والتعديل ، ولد سنة ١٣٤هـ ، ومات سنة ٢٠٠هـ . انظر : ابن حجر : تهذيب التهذيب ج٧ ص٢٣٠ وما بعدها .

(٨) حَمَّاد بن سَلَمَة بن دينار البصري ، من الرواة المشهورين ، توفي نحو ١٦٧هـ ، انظر الحلية ج٦ ص٢٥ ، وتهذيب التهذيب ج٣ ص١١ .

(٩) هو إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة ، زيد بن سهل الأنصاري ، المدني (ت٣٤هـ) كان ثقة كثير الحديث . ترجمته في تهذيب التهذيب ج١ ص٢٤٠ .

هوازن «يوم حنين»[1] بالصِّبْيَان والنِّساء والغَنَم والإبِل ، فَجَعَلُوهَا صُفُوفاً يكثرون على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فَلَمَّا التَقَوْا وَلَّى المُسْلمون ، كما قال الله تعالى[2] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياعِبَادَ الله : أنا عبدُ الله ورسولُهُ ، ثم قال : يا مَعْشَر المُهاجرين أنا عَبْدُ الله ورسولُهُ ، قال : فَهَزَمَ الله المُشْرِكين ولَمْ نَضْرِبْ بِسَيْفٍ ولَمْ نَطْعَنْ بِرُمْح .

وقال : أَبو الرَّبِيع السَّمَّان[3] : حَدَّثَنا عبد الله بن بشر[4] عن أبي راشد الحُبْرانيّ[5] ، عن عليّ قال : رَأَى رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رَجُلاً

---

(١) انظر وقعة حنين في تاريخ اليعقوبي ٢ (بيروت ١٩٦٠م) ص٦٢-٦٤ ، وأحمد عطية الله : يوم حنين ، القاموس الاسلامي ج٢ ص١٧٣ . وفنسنك : مفتاح كنوز السنة ، ترجمة فؤاد عبد الباقي ، القاهرة ١٩٣٤م ، ص١٦٤-١٦٥ . انظر هذا الخبر في كتاب الحاكم النيسابوري : المستدرك على الصحيحين ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ج٢ ص٨٣ ـ ٨٤ .

(٢) قال تعالى : (لَقَدْ نصَرَكُمْ الله في مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ، ويَوْمَ حُنَيْنٍ إذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً ، وضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الأَرْضُ بِما رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِين * ثُمَّ أَنْزَلَ الله سَكِينَتَهُ على رَسولِهِ وعلى المُؤْمِنِين ، وأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا ، وعَذَّبَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا ، وذَلِكَ جَزَاءُ الكَافِرِيْن) . سورة التوبة ، آية ٢٥-٢٦ .

(٣) هو أبو الربيع أشعث بن سعيد السَّمَّان ، بصري . انظر الدولابي ، أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد (ت٣١٠هـ) ، الكنى والأسماء ، دار الكتب العلمية ، بيروت (د . ت) ص١٧٤ .

(٤) عبد الله بن بشر بن التَّيْهَان الرقِّي ، مولى بني يربوع ، قاضي الرقة ، روى عن الأعمش والزهري . انظر تهذيب التهذيب ج٥ ص١٦٠ .

(٥) أبو راشد الحُبْراني ، قيل اسمه أخضر ، وقيل النعمان ، مُقِلّ ، انظر الدولابي : الكنى والأسماء ج١ ص١٧٦ .

بيده قَوْس ، فقال[1] : «عَلَيْكُمْ بِهَذِهِ وأَشْباهِهَا[2] ورِماحُ القَنَا ، إنَّهُما يُؤَيِّدُ الله لَكُمْ بِهِمَا في الأَرْض» .

وقال ابن أبي شَيْبَة : حَدَّثنا زَيْد بن الحُبَاب[3] ، حَدَثنا حَمَّاد بن سَلَمَة عن علي بن زيد بن جدعان[4] عن الحسن ، قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : الدَّجَّالُ يَخُوضُ البِحارَ إلى رُكْبَتَيْه ، ويَتَنَاوَلُ السَّحَابَ ، ويَسْبِقُ الشَّمْسَ إلى مَغْرِبِها ، وفي جَبْهَتِهِ قَرْنٌ يَخْرُجُ منه الحَيَّاتُ ، وقَدْ صُوِّرَ في جَسَدِهِ السِّلاحُ كُلُّه ، حتَّى ذَكَرَ السَّيْفَ والرُّمْحَ والدَّرَقَ[5] .

وقال أَحْمَد ، حَدَّثنا . . .[6] عن عائشة رضي الله عنها أنه كان في بيتها رُمْحٌ مَوْضوعٌ ، فَقِيلَ لها : ما تَصْنَعِيْنَ بهذا ، فقالت نَقْتُلُ به

---

(١) الحديث في سنن ابن ماجة ، ج٢ ص٩٣٩ ورقمه (٢٨١٠) على هذا النحو : حدثنا محمد بن إسماعيل بن سمرة ، أنبأنا عبيد الله بن موسى عن أشعث بن سعيد عن عبد الله بن بشر عن أبي راشد عن علي ، قال : كانت بيد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوسٌ عربيَّة ، فرأى رجلاً بيده قوس فارسية ، فقال : «ما هذه ؟ ألْقِها . وعليكم بهذه وأشْباهها ورماح القَنَا ، فإنها يزيد الله بكم بهما في الدِّين ، ويُمَكِّن لكم في البلاد» . وهو عند ابن القيم الجوزية ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي (ت٧٥١هـ) : كتاب الفروسية . مكتبة عاطف ، القاهرة ، (د.ت) ، ص٢٣ وص٢٦ وص١٣٧ .

(٢) ش : وأشباهها .

(٣) زيد بن الحباب بن الريان الكوفي الخراساني ، سكن الكوفة ، روى عنه ابنا أبي شَيْبَة وعلي بن المديني وغيرهم ، توفي سنة ٢٠٣هـ ، انظر : تهذيب التهذيب ج٣ ص٤٠٢ وما بعدها .

(٤) هو علي بن زيد بن عبد الله بن أبي مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان التيمي ، أبو الحسن البصري ، أصله من مكة ، روى عنه أنس والحسن البصري والحمّادان ، توفي سنة ١٢٩هـ أو ١٣١هـ . انظر تهذيب التهذيب ج٧ ص٣٢٤ .

(٥) الدَّرَق : ضَرْبٌ من التُّرَسَة ، الواحدة دَرَقَة ، تُتَّخَذ من الجُلُود ، والدَّرَقَة : الجَعْفَة وهي تُرْسٌ من جُلُود ، ليس فيها خَشَب ولا عَقَب ، والجَمْعُ دَرَق وأَدْراق ودِرَاق . اللسان ، مادة (درق) .

(٦) في الأصل بياض مقدار سطر واحد ، وكذلك في نسخة (ش) .

الوَزَغَ[1] ، فإنَّ النَّبيَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ أَخْبَرَنا أنَّ إبراهيم ـ عليه السلام ـ لمّا أُلْقِيَ في النَّار ، لَمْ يَكُنْ في الأَرْضِ دابَّةٌ إلاّ أَطْفَأت عَنْهُ النَّار غَيْرَ الوَزَغ ، فإنَّها كانَتْ تَنْفُخُ عليه ، فأَمَرَ صلى الله عليه وسلم بِقَتْلِهَا .[2]

وقال الخطيب في رواية مالك ، أخبرنا الحسن بن أبي بكر ، أنبأنا دَعْلَج بن أحمد[3] ، أَنْبَأنا هرون بن يوسف بن زياد ، أنبأنا الزبير بن بكار ، حدثنا محمد بن الحسن ، وهو المخزومي[4] [و] يُعْرَف بابن زَبَالَة ، حَدَّثنا مالك بن أنس عن هشام به عروة[5] عن أبيه عن عائشة ، أنَّها قالت : «كُلُّ البِلاد فُتِحَتْ بالسَّيْفِ أو الرُّمْح ، وافْتُتِحَتِ المَدينَةُ بالقُرْآن» .

---

(١) الوَزَغ : دُوَيْبة ، وقيل : هي أُمُّ بُرْص . قال ابن سيدة الوَزَغَة : سامٌّ أَبْرَص ، والجمع وَزَغ وأَوْزاغ ووِزْغان وإِزْغان . وفي الحديث إنَّه أَمَر بقتل الأَوْزاغ . وفي حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ لمّا احترق بيت المَقْدِس كانت الأَوْزاغ تَنْفُخُه . وفي حديث أم شريك أنَّها استأمرت النبي (ﷺ) في قتل الوِزْغان فأَمَرَها بذلك . اللسان مادة (وزغ) .

(٢) الحديث في سنن ابن ماجة ، ج٢ ص١٠٧٦ ورقمه (٣٢٣١) . وسنده : حدثنا أبو بكر بن أبي شَيْبَة ، حدثنا يونس بن حازم عن نافع عن سائبة مولاة الفاكه بن المغيرة : أنَّها دخلت على عائشة ، فَرَأَت في بيتها رُمْحاً موضوعاً ، فقالت : يا أم المؤمنين ، ما تَصْنَعين بهذا ؟ قال نَقْتُلُ به هذه الأَوْزاغ ، فإنَّ نبي الله صلى الله عليه وسلم ، أخبرنا أنَّ إبراهيم لمّا أُلْقِي في النار لم تكن في الأرض دابَّةٌ إلاّ أَطْفَأَت النار غير الوَزَغ ، فإنها كانت تَنْفُخُ عليه . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بِقَتْلِهِ .

(٣) دَعْلَج بن أحمد بن دَعْلَج ، أبو محمد السجستاني البغدادي ، ولد سنة ٢٦٠هـ/٨٧٤م ، سمع الحديث بخراسان والري وبغداد والبصرة والكوفة ومكة ، وجاور بمكة وسكن بغداد ، وكان ثقة ثبتاً ، توفي في بغداد سنة ٣٥١هـ/٩٦٢م . انظر البغدادي : تاريخ بغداد ج٨ ص٣٨٧ ـ ٣٩٢ .

(٤) محمد بن الحسن بن زَبَالة ، جده أبو الحسن ، مخزومي مدني ، روى عن مالك وسليمان بن بلال وغيرهما ، قال معاوية بن صالح ، قال لي ابن معين محمد بن الحسن الزَّبَالي ، والله ما هو بِثِقَة ، حَدَّث عن مالك عن هشام عن أبيه عن عائشة مرفوعاً : «فُتِحَت المَدِينةُ بالقُرْآن وفُتِحت البلاد بالسيف» . ضَعَّفَه العلماء واتَّهَموه بالوَضْع . تهذيب التهديب ، ج٩ ص١١٦ .

(٥) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي ، من الثقات ، مُتْقِناً ، وَرِعاً ، حافظاً ، ولد سنة ٦١هـ ومات سنة ١٤٦هـ . انظر تهذيب التهذيب ، ج١١ ص٤٩ وما بعدها .

وقال : أَخْبَرَنا أبو عبد الله أحمد بن عبد الله بن الحسين المَحَامِلِي ، قال : وَجَدْتُ في كتاب جَدِّي القاضي أبي عبد الله الحسين[1] ابن إسماعيل المَحامِلِي بِخَطِّ يَدِهِ ، حَدَّثنا الزُّبير بن بَكَّار ، حَدَّثني محمد بن الحسن المَخْزومي ، ومحمد بن يحيى بن عيد الحميد[2] [بن عُبَيْد] بن غسان[3] ، عن مالك بن أنس عن هشام بن عروة[4] عن أبيه ، عن عائشة قالت : كُلُّ البِلادِ فُتِحَتْ بالسَّيْفِ والرُّمْح ، وفُتِحَت المَدينةُ بالقُرْآن .

وفي الاستيعاب لابن عَبْد البَرّ في ترجمة «أُسَيْد بن الحُضَيْر»[5] قال : جَاءَ عامرُ بن الطُّفَيْل وأَرْبَد[6] إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يَسْألانه أَنْ يَجْعَلَ لَهُما نَصِيباً مِنْ تَمْرِ المَدينة ، فأَبَى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال عامر بن الطُّفَيْل : لَأَمْلَأَنَّها عَلَيْكَ خَيْلاً جُرْداً ، ورِجالاً

---

(١) هو أبو عبد الله ، الحسين بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الضَّبِّي المَحَامِلي ، ولد سنة ٢٣٥هـ/٨٤٩م . سمع الحديث في بغداد ، وكان عالماً بالفقه . ولى القضاء ستين عاماً في الكوفة وفارس حتى سنة ٣٢٠هـ ، وتوفي سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م . انظر ترجمته عند : ابن النديم : الفهرست ، ص٢٣٣ ، البغدادي : تاريخ بغداد ج٨ ص١٩-٢٣ ، وسزكين : تاريخ التراث العربي ج١ ص٣٥٧ . ق : عبد الله الحبر بن اسماعيل .

(٢) هو محمد بن يحيى بن علي بن عبد الحميد بن عبيد بن غسان بن يسار الكناني ، أبو غسان المدني ، وُصف بأنه ثقة ، له علم ونباهة في الحديث والأدب والتفسير . انظر : تهذيب التهذيب ج٩ ص٥١٧ .

(٣) ق : عبد الحميد أبو غسان .

(٤) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي ، سبقت الإشارة إليه .

(٥) أُسَيْد بن حُضَيْر بن عتيك بن رافع بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأشهلي . يُكْنَى أبا عيسى وأبا عتيك وأبا الحضير ، وأبا الحصين وأبا يحيى . وكان أسيد بن حضير أحد العقلاء ، الكَمَلَةِ من أهل الرَّأي ، وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين زيد بن حارثة ، وكان أسيد بن حضير من أحسن الناس صَوْتاً بالقرآن ، وحديثه في استماع الملائكة قراءته حين نفرت فرسه ، حديث صحيح .

(٦) في الاستيعاب : زيد .

مُرْداً . فقال النبيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ : اللَّهُمَّ اكْفِنِي عامر بن الطُّفيل ، فأَخَذَ أُسيد بن الحُضَيْر الرُّمْح ، وجَعَلَ يَقْرَعُ رُؤُوسَهُما ، ويقول : اخْرُجا أَيُّها الهِجْرِسَان[1] .

(الفصل الثاني)
«فوائد لغوية»

وفي الغريب المُصَنَّف لأبي عُبَيْد[2] ، قال الأَصْمَعِي : مِن الرِّمَاح

---

(١) ق : بياض رسمت (سان) وقبلها بياض .
* الخبر في الاستيعاب : وذكر إسماعيل بن إسحاق قال : حدثنا نصر بن علي قال : حدثنا الأصمعي ، قال حدثنا أبو عطارد ، ومات قبل ابن عون ، قال : جاء عامر بن الطفيل ، وزيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وسلم ، فَسَأَلاه أَنْ يَجْعَلَ لهما نصيباً من تمر المدينة ، فأخذ أُسَيْد بن حُضَيْر الرُّمْح ، فَجَعَلَ يقرع رُؤُوسهما ، ويقول : اخْرُجا أَيُّها الهِجْرِسان ، فقال عامر من أنت ؟ قال : أنا أُسَيْد بن حُضَيْر ، قال حُضَيْر الكَتَائب ؟ قال نعم ، قال : كان أبوك خيراً منك . قال : بل أنا خير منك ومن أبي ، مات أبي وهو كافر . فقلت للأصمعي : ما الهِجْرِس ؟ قال : الثَّعْلَب . انظر الاستيعاب ج١ ص٩٤ .

(٢) أبو عبيد القاسم بن سَلاَّم الهَرَوي ، أخذ عن الأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد وعن ابن الأعرابي والكسائي ، توفي بمكة سنة ٢٢٣هـ . انظر ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي ، ص٢٦٧ ، وابن حجر : تهذيب التهذيب ج٨ ص٣١٥ ـ ٣١٨ .
وأشهر كتبه غريب الحديث وغريب المصنف ، ويقال إنه قضى في تأليف الكتاب الثاني أربعين سنة ، وهو يشتمل على ألف باب ، ومائتين وألف شاهد ، وهو أول معجم عربي مرتب على الموضوعات مثل كتاب المخصص لابن سيده . انظر وصفه ومخطوطاته في بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ج٢ ص١٥٦ ـ ١٥٧ ، وقام الدكتور رمضان عبد التواب بتحقيقه ولم ينشر بعد ، والنص المذكور جاء في كتاب السلاح لأبي عبيد القاسم بن سلام ، حققه الدكتور حاتم الضامن ، ونشرته مؤسسة الرسالة في بيروت ١٩٨٥ م ، وهو الباب الثاني من الكتاب واسمه باب الرماح والأَسِنَّة ، وأوّله ، قال الأصمعي : من الرِّماح

الأَظْمَى[1] وهو الأَسْمَرُ ، والعَرَّاتُ[2] والعَرَّاصُ[3] : وهو الشَّديد الاضْطِراب[4] . والخَمَّان[5] : الضَّعِيف ، وكذا الرَّاشُّ[6] . والمِنْجَل[7] :

= الأَظْمَى . . . وينقل عن أبي عبيدة وأبي عمرو والأصمعي واليزيدي إلى قوله : وقال غيره : المُدَاعِس : الصُمُّ من الرماح ، قال : هي التي يُدْعَسُ بها .

انظر : أبو عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٣هـ أو ٢٢٤هـ) كتاب السلاح : ص١٩ وما بعدها .

وكتاب السلاح أحد أبواب «الغريب المصنف» الضخم . قال ابن منظور : الوادق الحديد ، وحكاه أبو عبيد في باب الرماح وهو غَلَط ، وإنَّما هو سَيْفٌ وادِقٌ . اللسان ، مادة (ودق) .

وقال حاتم الضامن : إن كتاب السلاح هو فصل من كتابه الكبير الموسوم بـ«الغريب المصنف» الذي ما زال مخطوطاً ، والذي مكث في تأليفه أربعين سنة . انظر مقدمة كتاب السلاح ، ص١٢ . وقد حقق الدكتور رمضان عبد التواب أنَّ كتاب «ما خالفت العامة فيه لغات القبائل» هو فصل آخر من كتاب الغريب المصنف ، انظر : لحن العامة والتطور اللغوي لرمضان عبد التواب ، ص١٢٠ .

وهذه الفوائد اللغوية ذكرها الثعالبي ، أبو منصور إسماعيل النيسابوري (ت٤٢٩هـ) في كتابه فقه اللغة وسر العربية ، دار الكتب العلمية ، بيروت (د.ت) ص٢٥١ و٣٣٨ .

(١) رُمْحٌ أَظْمَى : أَسْمَر . الأصمعي : من الرماح الأَظْمَى غير مَهْمُوز ، وهو الأَسْمَر . وقَنَاةٌ ظَمْياء بَيِّنَة الظَّمَى (منقوص) . اللسان ، مادة (ظما) .

(٢) ش : العران .

وكتاب السلاح : العَرَّات (بالتاء) ، وفي اللسان : رُمْحٌ مُعَرَّن : مُسَمَّر السِّنَان . قال الجوهري : مُعَرَّن : إذا سُمِّرَ سِنَانُهُ بالعِرَان ، وهو المِسْمَار . اللسان ، مادة (عرن) .

(٣) رُمْحٌ عَرَّاص : لَدْنِ المَهَزَّة إذا هُزَّ اضْطَرَبَ ، وكذلك السَّيف ، قال الشاعر : «مِنْ كُلِّ أَسْمَرَ عَرَّاصٍ مَهَزَّتُهُ» اللسان ، مادة (عرص) . ق : العراض (وهو تصحيف) .

(٤) في كتاب السلاح زيادة : «وقد عَرِتَ يَعْرَتُ وعَرِصَ يَعْرَصُ .

(٥) الخَمَّان من الرماح : الضَّعيف ، يقال : رُمْحٌ خَمَّان ، وقَنَاة خَمَّانة . اللسان مادة (خمن) . وفي كتاب السلاح زيادة : «وقناة خَمَّانَة» .

(٦) رمح رَاش ورائِشٌ : خَوَّار ضَعِيف ، شُبِّه بالرِّيش لِخِفَّتِه ، والسَّهْم الرَّائِش : ذو الريش ، رِشْتُ السَّهْم أَرِيشُهُ ، وفلان لا يَرِيشُ ولا يَبْرِي : أي لا يَضُرُّ ولا يَنْفَع .

(٧) نَجَلَهُ بالرُّمح يَنْجُلُه نَجْلاً : طَعَنَهُ وأَوْسَعَ شَقَّه ، وطَعْنَةٌ نَجْلاء : واسعة بَيِّنة النَّجْل ، وسِنانٌ مِنْجَل : واسع الجُرْح . اللسان ، مادة (نجل) .

الواسع الجُرْح . أبو عبيدة[1] : الرُّمْحُ العَاتِر[2] : المُضْطَرب . وكذا العَاسِل[3] . أبو عَمْرو[4] والوَشِيج[5] : واحِدَتُها وَشِيْجَة . الأَصْمَعي : القَارِيَة من السِّنَان[6] : أعْلاه . والجَبَّة[7] : ما دَخَلَ فيه الرُّمْحُ من السِّنان ، والثَّعْلَب[8] : ما دَخَلَ من الرُّمح في جُبَّة السِّنان . والعَامِلُ[9] : أَسْفَل من ذلك . . والجَلْز[10] من السِّنان : القاطِع[11]، وكذا اللَّهْذَم[12]. والمِنْجَل :

---

(١) هو مُعَمَّر بن المثنَّى ت٢١٢هـ (المعارف لابن قتيبة ٥٤٣ ومراتب النحويين ص٤٤) .

(٢) عَتَرَ الرُّمح يَعْتِرُ عَتْراً وعَتَرَاناً : اشْتَدَّ واضْطَرَب واهْتَزَّ ، وقال «كُلُّ خَطِّيٍّ إذا هُزَّ عَتَرْ» ، والرُّمْح العَاتِر : المضطرب ، مثل العَاسِل ، وقد عَتَر وعَسَل وعَرَتَ وعَرَص . اللسان ، مادة (عتر) .

(٣) في كتاب السلاح زيادة : «وقد عَتَرَ وعَسَلَ» . وانظر اللسان ، مادة (عسل) و«عتر» .

(٤) إسحق بن مرار الشيباني ، لغوي كوفي ت٢٠٥هـ ، انظر معجم الأدباء ج٦ ص٧٧ .

(٥) أصل الوَشِيج : شَجَر الرِّمَاح ، ومنه سُمِّي عامة الرِّماح ، واحدتها وَشِيْجَة ، وقيل : هو من القَنَا أصْلَبُهُ .

(٦) القَارِيَة : حَدُّ الرُّمح والسَّيْف وما أَشْبَه ، وقيل : قَارِيَةُ السِّنان : أعلاه وحَدُّه . اللسان ، مادة (قرا) . ق : مصحفة إلى الفارئة .

(٧) الجُبَّة : من أسماء الدِّرْع ، وجمعها جُبَبٌ ، والجُبَّة من السِّنان ، الذي دخل فيه الرُّمح ، والثَّعْلَب : ما دخل من الرُّمح في السِّنان ، وجُبَّةُ الرُّمح : ما دخل من السنان فيه . اللسان مادة (جبب) .

(٨) ش : سقطت الجملة : (ما دخل فيه الرمح من السنان والثعلب) انظر : اللسان ، مادة «ثعلب» .

(٩) عَامِل الرُّمح وعَامِلَتُهُ : صَدْرُهُ دون السِّنان ، ويجمع على عَوَامِل ، وقيل عَامِل الرُّمح : ما يلي السِّنان ، ويُجْمع على عوامل ، وقيل عَامِل الرمح : ما يلي السِّنان وهو دون الثَّعْلَب . اللسان ، مادة (عمل) .

(١٠) الجلز والجِلاز : العَقَب المَشْدُود في طَرَف السَّوْط ، والجَلائِز : عَقَبات تُلْوَى على كل موضع من القَوْس ، واحدتُها جِلاز وجِلازة ، وجَلْز السِّنان : أغْلَظه ، وجَلْز السِّنان : الحَلَقة المُسْتَديرة في أسفله ، وقيل : جَلْزُهُ : أعلاه ، وقيل لأغْلَظ السِّنان جَلْزٌ . اللسان ، مادة (جلز) .

(١١) السلاح زيادة «والجَلْزُ من السِّنان إنما أُخِذَ من جَلْز السَّوْط وهو مُعْظَمه ، وأَصْل الجَلْز الطَّيُّ واللَّيُّ» .

(١٢) سيف لَهْذَمٌ : حادٌّ ، وكذلك السِّنان ، واللَّهْذَم : كُلُّ شيء من سِنان أو سَيْف قاطع . اللسان (لهذم) . ق : مصحفة إلى «اللهزم» بالزاي .

الواسع الجُرْح . اليَزِيديّ[1] : أَزْجَجْتُ الرُّمْح ، جَعَلْتُ فيه الزُّجَّ[2] وزَجَّجْتُ الرَّجُلَ : طَعَنْتُهُ بالرُّمح . وسَنَنْتُ الرُّمح[3] : رَكَّبْتُ فيه السِّنان . وأَسْنَنْتُ السِّنان : حَدَّدْتُهُ ، مِثْلُهُ بغير أَلِفٍ[4] ، غيرُهُ : الثَّلِبُ[5] : الرُّمح المُثَلَّم . والصَّدْق[6] : المُسْتَوي . [والوادِقُ : الماضي الضَّرِيْبَة][7] . والوَدَاق[8] : الحَدِيد ، والمَدَاعِس[9] : الصُمُّ من الرِّماح .

---

(١) اليزيدي ، محمد بن العباس ، أبو عبد الله ، استُدعي إلى تعليم ولد المقتدر بالله فلزمهم مدة ، توفي سنة ٣١٠هـ وله من الكتب : مختصر نحو ، كتاب الخيل ، كتاب مناقب بني العباس ، كتاب أخبار اليزيديين ، انظر ترجمته في الفهرست ، ص٥٦ ـ ٥٧ .

(٢) الزُّجُّ : زُجُّ الرُّمح والسَّهْم ، وهو الحَدِيدة التي تُرَكَّبُ في أَسْفَل الرُّمح ، والسِّنان يُرَكَّبُ عَالِيَه ، والزُّجُّ تُرْكَزُ به الرُّمح في الأَرْض ، والسِّنان يُطْعَنُ به . والجمع أَزْجاج وأَزِجَّة وزِجَاج وزِجَجَةٌ . وأَزَجَّ الرُّمح وزَجَّاه : رَكَّبَ فيه الزُّجَّ . وأَزْجَجْتُهُ فهو مُزَجٌّ ، والزُّجُّ ليس يُطْعَنُ به ، إنّما الطَّعْنُ بالسِّنان . اللسان ، مادة (زجج) .

(٣) سِنانُ الرُّمح : حديدته لصَقَالتها وملاستها ، وسَنَّ الرمح : رَكَّبَ فيه السِّنان ، وأَسْنَنْتُ الرمح : جعلتُ له سِنانا ، وهو رمح مُسَنٌّ ، وسَنَنْتُ السِّنان أَسُنُّهُ سَنّاً فهو مَسْنون : إذا أَحْدَدْتُهُ على المِسَنّ (بغير ألف) ، وسَنَنْتُ فلاناً بالرُّمح : إذا طَعَنْتَهُ به ، وسَنَّه يَسُنُّهُ سَنّاً : طَعَنَهُ بالسِّنان ، وسَنَّ إليه الرمح تَسْنيناً : وجَّهه إليه . اللسان ، مادة (سنن) .

(٤) أي أَسْنَنْتُهُ وسَنَنْتُهُ وفي السلاح : «أَسْنَنْتُ السِّنان : حَدَّدته» .

(٥) في الأصل الثُّلْث ، والصواب ثَلِب ، يقال رمح ثَلِبٌ : مُتَثَلِّم . قال أبو العيال الهذلي :

ومُطَّرِدٌ من الخَطِّيِّ (م) لا عارٍ ولا ثَلِبُ .

اللسان ، مادة (ثلب) وكذلك السلاح ص٢٠ .

وأما الثُّلْث : فهو سهم من ثلاثة . اللسان ، مادة (ثلث) .

(٦) الصَّدْق (بالفتح) : الصُّلْب من الرماح وغيرها ، ورمح صَدْق : مُسْتَوٍ ، وإنما الصَّدْق : الجامع للأوصاف المَحْمودة ، والرمح يوصف بالطول واللين والصلابة . اللسان ، مادة (صدق) .

(٧) في (ق) و(ش) «الوادق : الحديد» وفي النص سقط بَيِّن ، والصواب : «والوادِقُ : الماضي الضريبة ، والوَدَاق : الحديد» . وفي السلاح : (والوَادِقُ : الحديد) .

(٨) وَدَقَ السَّيْفُ : حَدَّ . وأنشد بيت أبي قيس «صَدْقٍ حُسَامٍ وَادِقٍ حَدُّهُ» . قال ابن سيده : وحكاه أبو عبيد في (باب الرماح) وهو غلط وإنما هو سيف وَادِقٌ . اللسان ، مادة (ودق) . وانظر كتاب السلاح لأبي عبيد ص٢٠ وفيه بيت أبي قيس بن الأسلت .

(٩) المِدْعَس من الرِّماح : الغليظ الشديد ، وهو الرمح يُدْعَسُ به أي يُطْعَنُ ، والمِدْعَس

والخُرْص[1] : السِّنان ، والخَطِّيُّ : منسوبٌ إلى أرضٍ يُقال لها الخَطّ[2] .
والرُّدَيْنِيُّ[3] : مَنْسوب إلى امرأةٍ يُقال [لها] رُدَيْنَة ، تُبَاعُ عندها الرِّماح .

أبو عَمْرو : صَدْق : صُلْب . والوَشِيْجُ : نَبَات الرِّماح .
والمُرَّان[4] : مِثْلُهُ ، والسَّمْهَرِيَّةُ[5] : مَنْسوبة [إلى سَمْهَر][6] ، وفي القاموس[7] . السَّمْهَرِيُّ : الرُّمح الصُّلب ، والمَنْسوب إلى سَمْهَر زَوْج رُدَيْنَة[8] ، وكانا مُثَقِّفِيْنَ للرِّماح[9] ، أو إلى قَرْيَة بالحَبَشَة ،

= والمَدَاعِس : الصُّمُّ من الرِّماح ، حكاه أبو عبيد ، دَعَسَه بالرمح يَدْعَسُهُ دَعْساً : طَعَنَه . اللسان ، مادة (دعس) .

(١) الخُرْصُ ، بسكون الراء وضمها : سِنان الرمح ، وقيل هو ما علا الجُبَّة من السِّنان ، وقيل : هو الرمح نفسه . والخَرِيص أيضاً : السنان والخِرْصَان أصلها القضبان ، والخِرْص : نصف السنان الأعلى إلى موضع الجُبَّة ، والمَخَارِص : الأَسِنَّة أيضاً ، وأصل الخُرْص (بضم الخاء وفتحها وكسرها) : الجريد من النخل . اللسان ، مادة (خرص) .

(٢) انظر البكري : معجم ما استعجم ص٥٠٣ وياقوت : معجم الأدباء ج٢ ص٣٧٨ .

(٣) الجوهري : القَنَاة الرُّدَيْنِيَّةُ والرُّمح الرُّدَيْنِيُّ ، زعموا أنه منسوب إلى امرأةٍ السَّمْهَرِيّ ، وتُسَمَّى رُدَيْنَة ، وكانا يُقَوِّمان القَنَا بخطّ هَجَر ، ومن كلام بعضهم : خَطِّيَّةٌ رُدْن . اللسان ، مادة (ردن) .

(٤) المُرَّانُ : الرِّماح الصُّلبة اللَّدْنَة ، واحدتها مُرَّانة ، وقال أبو عبيد : المُرَّان : نَبَات الرماح ، وسُمِّي القَنَا المُرَّان لِلِيْنِهِ . اللسان ، مادة (مرن) .

(٥) السَّمْهَرِيُّ : الرمح الصَّلِيب العود ، يقال : وَتَرٌ سَمْهَرِيٌّ كالسَّمْهَرِيّ من الرماح ، والسَّمْهرية : القَنَاة الصُّلْبة منسوبة إلى سَمْهَر رجلٌ كان يبيع الرِّماح بالخَطّ ، وامرأته رُدَيْنَة . اللسان ، مادة (سمهر) .

(٦) سقطت من الأصل في (ق) و(ش) .

(٧) انظر القاموس المحيط ، مادة (سمهر) .

(٨) هذه الزيادة لم تَرِد في كتاب أبي عبيد (السلاح) وجاء بعدها زيادة لم ترد هنا ، وهي قوله : واليزنية منسوبة الى ذي يزن . . . . وأول من عمل السِّياط . . . وأول من عمل القِسِيّ . . . وأول من عمل الرِّحال عِلاف . . . وأول من عَمَل الحديد . . .

(٩) ثَقَّفَ الرُّمح : وَضَعَه في الثِّقاف فَعَدَّله ، والثِّقاف : حديدة تكون مع القَوَّاس والرِّمَاح يُقَوَّم بها الشيء المِعْوَجّ ، وقيل : هي خَشَبة قويَّة قدر ذراع في طرفها خَرْق يَتَّسع =

والأَسَل[1] : الرِّماح . والقَناةُ[2] : الرُّمح ، وكذا الخُرْص مثلُهُ . والمُخْرِص ، والمِغْوَل[3] لكَتِف الرُّمْح الطَّويل ، وكذا الغَابَة[4] . والنَّيْزَك[5] : الرُّمح القصير .

والمِتَلُّ[6] : القَويُّ المُنْتَصِب من الرِّماح ، والمِزْجَلُ[7] : الرُّمْح الصغير ، وقيل : السِّنان .

والخِرْصُ بالكسر : الرُّمح اللَّطيف . ورُمْحٌ مُعَرَّنٌ[8] : مَسَمَّرٌ سِنَانُهُ ، والمَارِنُ[9] : مالَانَ من الرِّماح . والعَرَّاص[10] : الرمح اللَّدْنُ .

للقوس ، وتدخل فيه على شُحُوبتها فَتُسَوِّى ، ولا يُفْعَل ذلك بالقِسِيّ ولا بالرماح إلاّ مَدْهُونة مَمْلُولة أو مَضْهوبة على النار مُلَوَّحة . اللسان ، مادة (ثقف) .

(١) أصل الأَسَل : نَبَاتٌ يَخْرُجُ قُضْباناً مستوية ، وإنّما سُمِّي القَنَا أَسَلاً تشبيهاً بطوله واستوائه ، والأسل : كل ما أُرِقَّ من الحديد وحُدِّد من سيف أو سِكّين أو سِنان ، وقيل : الأَسَل : الرِّماح والنَّبل ، وقيل للقَنَا أَسَل لما رُكِّب فيها من أطراف الأسِنَّة . اللسان ، مادة (أسل) .

(٢) القَنَاةُ : الرُّمح ، والجمع قَنَوات وقَنَاً وقُنِيٌّ ، وقيل كل عصاً مستوية فهي قناة ، وقيل : كل عصا مستوية أو معوجة فهي قناة ، وقيل : القناة من الرماح : ما كان أجْوَف كالقَصَبَة .

(٣) في (ق) و(ش) (الغرل) وهو تحريف ، والصواب «المِغْوَل» وهو نصل طويل قليل العرض ، وقيل هو شبه السيف ، يَشْتَمِل به الرَّجُل تحت ثيابه ، وقيل : هي حديدة دقيقة لها حَدٌّ ماضٍ ، وقيل : سوط في جوفه سيف دقيق يشده الفاتك على وسطه ليغتال به الناس . اللسان ، مادة (غول) .

(٤) الغَابَة من الرماح : ما طال منها ، وقيل المضطربة ، وقيل الرماح إذا اجتمعت . اللسان ، مادة (غبب) .

(٥) ق : مصحفة الى : اليزك .
والنَّيْزَك : الرمح الصغير ، وقيل : هو نحو المِزْراق وقيل : هو أَقْصَر من الرمح ، فارسيٌّ مُعَرَّبٌ ، والنيزك له سنان وزُجٌّ ، والعُكاز له زُجٌّ ولا سِنان له . اللسان ، مادة (نزك) .

(٦) اللسان ، مادة (متل) .

(٧) اللسان ، مادة (زجل) .

(٨) المُعَرَّن : الذي سُمِّر سِنانه بالعِران وهو المِسْمار . اللسان ، مادة (عرن) .

(٩) انظر اللسان ، مادة (مرن) .

(١٠) رمح عَرَّاص : لَدْن المَهَزَّة ، إذا هُزَّ اضْطَرب ، وكذلك سيف عَرَّاص . اللسان ، مادة (عرص) .

والنَّحِيْضُ والمَنْحُوضُ[1] . الرمح المُنْتَصِبُ .

« الفصل الثالث »

«مُفَاخَرَةٌ بَيْنَ الرُّمْحِ والسَّيْف»

أَنْشَأَ الكَاتِبُ عَلاَءُ الدِّين عليُّ بن القَاضِي ، فَتْح الدِّين مُحَمَّد بن القاضي مُحْيِي الدِّيْن ، عبد الله بن عبد الظَّاهِر[2] ، قال : بَعَثْتُ إِلَيْكَ رِسَالَتِيْ وفي ذِهْنِي أَنَّكَ الكَمِيُّ الذي لا يُجَارِيْكَ[3] نِدٌّ ، والشُّجَاعُ الذي أَظْهَرَ حُسْنَ الابْتِلاَم[4] لو شَكَّ[5] الضِّدُّ ، والبَطَلُ المَنِيْعُ الجار ، والأَسَدُ الذي لَكَ الأَسَلُ وِجَار[6] ، والبَاسِلُ الذي كَرَّ[7] لخُمْر الغُمُود[8] بِتَجْرِيْدِكَ

---

(١) في (ق) و(ش) النَّشيص والنُّشُوص وهو تحريف ، ولعل الصواب : المِشْقَص وهو السهم العريض النصل ، وهو من النصال : الطويل أو النَّحِيْصُ والمَنْحوص . السِّنان والنَّصْل المُرَقَّق المُحَدَّد . اللسان ، مادة (شقص) و(نحض) .

(٢) هو علي بن محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان الجُذَامي المصري السَّعْدي، من كبار البلغاء ، كان جواداً وبيته مجمع الأدباء ، مدحه شعراء عصره كالشّهاب محمود وابن نباتة المصري ، وكتب في الدواوين المنصورية ، ولد سنة ٦٧٦ هـ وتوفي سنة ٧١٧ هـ وترك نظماً حسناً ونثراً جميلاً ، له رسالة مراتع الغزلان في وصف الغلمان ، والمفاخرة بين السيف والرمح ، وله شعر حسن ، انظر ترجمته في : ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ) كتاب الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، دار الجيل ، بيروت (د.ت) ج ٣ ص ١٠٩ ـ ١١٠ . والكتبي محمد بن شاكر (ت ٧٦٤ هـ) فوات الوفيات ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ج ٢ ص ٣٨١ . والصّفدي : الوافي بالوفيات ج ٢ ص ١٧١ ـ ١٧٣ . وحاجي خليفة : كشف الظنون ص ١٧٥٨ . وكحالة : معجم المؤلفين ج ٧ ص ٢١٢ .

(٣) ق : يحار بك .

(٤) ش : الابتلاء .

(٥) ق : يوشك .

(٦) الوجار : جُحْر الضبع والأسد .

(٧) ق : كم .

(٨) ق : الغود .

عَنْ وُجُوه البِيْضِ آنْحِسَار . ولَكَ مَعْرِفَةٌ في الحَرْبِ ولَأَمْاتِهَا[1] . والشَّجَاعَةِ [و][2] آلاتِها . وإليك في أَمْرِهَا التَّفْضِيْل ، ولَدَيْكَ عِلْمُ ما لِجُمْلَتها من تَفْصِيل ، وها هي احتوت على المُفَاضَلة بين الرُّمْح والسَّيْف ، ولم تَدْرِ بعد ذلك كَيْف .

فإنَّ السَّيْفَ قد شَرَعَ يَتَقَوَّى بِحَدِّهِ ، ولا يَقِفُ في مَعْرِفَةِ نَفْسِهِ عند حَدِّهِ ، والرُّمْحُ يَتَكَسَّرُ[3] بأَنَابِيْبِهِ ، ويَسْتَطِيْلُ بلِسَانِ سِنَانِهِ ، ولم يَثْنِ في وَصْف نَفْسِهِ فَضْلَ عِنَانِهِ ، وقد أَطْرَقْتُهُمَا حِمَاكَ لِتَحْكُمَ بينهما بالحَقّ السَّوِيّ ، وتُنْصِفَ بين الضَّعيف والقَوِيّ .

أمَّا السَّيْفُ فإنَّهُ يقولُ : أَنَا الذي لِصَفْحَتِي[4] العَرَر ، ولحَدِّي العَرَار[5] ، وتحت ظِلَالِي في سبيل الله الجَنَّة ، وفي أَظْلَالِي على الأعداء النار ، ولي البُرُوق التي هي للبَصَائِر لا الأَبْصَار خَاطِفَة ، وطَالَمَا طَلَعْتُ فَسَحَّتْ[6] سُحُبُ النَّصْر وَاكِفَة ، ولي الجُفُون التي مالها غير نَصْرِ الله من بَصَر[7] ، وكَمْ أَغْفَتْ فَمَرَّ بها طَيْفٌ من الظَّفَر ، وكَمْ بَكَتْ على الأَجْفَان لمّا تَعَوَّضت عَنْهَا الأَعْنَاق غُمُودَا ، وكَمْ جَلَبَت الأَماني والمَنَايَا سودا ، وكَمْ أَلْحَقَتْ رَأْساً بِقَدَم ، وكَمْ رَعَتْ[8] في خَصِيب[9] نَبْتُهُ اللِّمَم .

---

(١) ق : لامانتها ، وهو تصحيف ، والصواب : لَأْمَاتها ، واللَّأمة : أداة الحرب ، والدِّرع ، اللسان (لأم) .

(٢) سقطت (الواو) من (ق) و (ش) .

(٣) ق : يتكثر .

(٤) ق : لصحفتي .

(٥) العَرَر : الجَرَب ، والعَرَار : القَوَد . اللسان ، مادة (عرر) .

(٦) ق : فسنحت .

(٧) ق : نصر .

(٨) ق : رعبت .

(٩) الخصيب : الزرع المُخْصِب .

وكَمْ جَاءَ النَّصْرُ الأَبْيَضُ لَمّا أَسَلْتُ النَّجِيعَ[1] الأَحْمَر ، وكَمْ أَجْتَنِي ثَمَرَ التَّأْيِيد مَنْ خَرْقِ[2] حَدِيدي الأَخْضَر ، وكَمْ مِنْ آيةِ ظَفَرٍ تَلَوْتُهَا[3] لَمَّا صَلَّيْت ، واتَّقَدَ طِيْبُ فِكْرِي فَأَصْلَيْت[4] ، فَوَصْفِي هو كِتَابِي[5] المَنْثُور[6] ، وفَضْلِي هو المَأْثُور. فهل يَتَطَاوَلُ الرُّمْحُ إلى مُفَاخَرَتِي ، وأَنَا الجَوْهَرُ وهو العَرَضُ[7] ، وهو الذي يُعْتَاضُ عنه بالسِّهَام ، وما عَنِّي عِوَض . وإنْ كان ذَاكَ أَسِنَّة فأَنَا أُتَقَلَّدُ كالمَنِيَّة[8] ، كم حَمَلَتْهُ يَدٌ فكَانَتْ حَمَّالَةَ الحَطَب ، وكَمْ فَارِسٍ كَسِبَهُ[9] بِحَمْلاَتِهِ فما أَغْنَى به ما كَسَب ، حَدُّهُ لَيْسَ مِنْ جِنْسِهِ[10] ، ونَفْعُهُ لَيس من شَأْنِ نَفْسِهِ ، وأَيْنَ سُمْرُ الرِّمَاح ، من بِيْضِ الصِّفَاح ، وأَيْنَ ذُو الثُّعَالِب[11] من الذي يحمي به أُسُود الضَّرَائِب[12] ، وهل أَنْتَ إلاَّ طَوِيلٌ بلا بَرَكَة ، وعَامِلٌ[13] كَمْ عَزَلَتْكَ النِّبَالُ بِزَائِدِ[14] حَرَكَة .

فَنَطَقَ الرُّمْحُ بِلِسَان سِنَانِهِ مُفْتَخِراً ، وأَقْبَل في عَلَمِهِ مُعْتَجِراً[15] ، وقال : أَنَا الذي طِلْتُ حتى أَلْحَدَتْ[16] أَسِنَّتي الشُّهُب ، وعَلَوْتُ حَتَّى

---

(١) النَّجِيع : دم الجَوْف ، يقال : طَعَنه طعنة تَمُجُّ النَّجِيع : اللسان ، مادة (نجع) .

(٢) ق : خوف .

(٣) ق : تلوها .

(٤) من المُصَلِّي من خَيْلِ السباق ، إذا كان تالياً للأَوَّل ، أي متقدماً فائزاً .

(٥) ق : كذاتي .

(٦) ش : المشهور ، والأصل في (ق) المنشور ، وفوقها تصحيح .

(٧) الجوهر في علم الفلسفة : ما قام بنفسه ، ويقابله العَرَض ؛ وهو ما يقوم بغيره .

(٨) ق : اتقلد كالمنة ، ش : اتقلد كالمنية . ولعل الصواب : أَتَقَلَّب كالمَنِيَّة .

(٩) ش : كسب .

(١٠) ق : جنبه .

(١١) الثُّعَالب : جمع ثَعْلَب ، والثَّعْلَب : ما دخل من الرمح في السِّنَان .

(١٢) الضَّرَائب : جمع الضَّريبة والضَّريب والضَّرِيب وهو المَضروف بالسيف .

(١٣) عَامِل الرُّمح وعامِلَتُهُ : صَدْره دون السِّنان ، وقيل : هو ما يلي السِّنَان دون الثَّعْلَب .

(١٤) ق : بداية (وهو تصحيف) .

(١٥) المُعْتَجِر : من الاعْتِجَار وهو لَفُّ العمامة دون التَّلَحِّي .

(١٦) ق : انحدَّت ، والتصويب «أَلْحَدَتْ» . من أَلْحَدَ السَّهم عن الهَدَف : عَدَلَ عنه ومَالَ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كَادَت السَّماءُ تَعْقِدُ عَلَيَّ لِوَاءً من السُّحُب ، كَمْ مَيَّلَ نَسِيمُ الصَّبَا غُصْنِي[1] ومَيَّد ، وكَمْ وَهَى بي رُكْنُ المُلْحِدِيْنَ ، وللمُوَحِّدِيْنَ تَشَيَّد ، وكَمْ شَمْسُ ظَفَرٍ طَلَعَتْ وكانَتْ أَسِنَّتي شُعَاعَهَا ، وكَمْ دماء أَطْرتُ شَعَاعَها[2] ، طَالَمَا أَثْمَرَ غُصْنِي الرُّؤُوسَ في رِيَاض الجِهَاد ، وغَدَتْ أَسِنَّتِي «وكَأَنَّما صِيْغَتْ مِنْ سُرُورٍ ، فَمَا يَخْطُرْنَ إلاَّ في فُؤَادِ»[3] وكم شُبِّهْتُ بِأَعْطَافِ[4] الحِسَان بِمَا لِيْ مِنْ مَيَل ، وضُرِبَ بطُولِ ظِلِّ قَنَاتِي المَثَل[5] ، وزَاحَمتُ في المَوَاكِبِ للرِّياح بالمَنَاكِب . وحَسْبِي الشَّرَفُ الأَسْمَى أَنَّ أَعْلَى المَمَالِكِ ما عَلَيَّ بُنِي . ما طَلَعَ سِنَانِي في الظَّلْمَا ، إلاَّ خَالَهُ المَارِدُ من نُجُومِ السَّمَا .

فَهَلْ للسَّيْفِ فَخْرٌ يطاول فَخْرِي ، أو قَدْرٌ يُسَامي[6] قَدْرِي ، ولو وَقَفَ السَّيْفُ عند حَدِّه لَعَلِمَ أَنَّه كَانَ ذا الحُلَى[7] وأنَا الطَّويلُ ذو العُلاَ ، وطَالَمَا صَدَعَ هَاماً فَعَادَ كَهَاماً[8] ، وقَصَّر عن العِدَا ، وأَلَمَّ بصَفْحتِهِ كَلَفُ الصَّدَا ، وفُلَّ حَدُّه ، وأَذَابَهُ[9] الرُّعْبُ ، فُلُولاً[10] غِمْدُهُ ، فَهَلْ يَطْعَنُ فِيَّ بِعَيْب ، وأنَا

---

(١) ق : الصَّبر غضى ، ولعل الصواب «الصَّبَا غُصْنِي» .

(٢) ق : شماعها (وهو تصحيف) وسقط من (ق) جملة : وكم شمس ظفر . . . . (إلى قوله) أطرت .

(٣) هذا القول تَضْمينٌ من شعر المتنبي ، وهو قوله :
وقد صُغْتُ الأَسِنَّةَ مِنْ هُمُومٍ فَمَا يَخْطُرْنَ إلاَّ في فُؤَادِ
وهو من قصيدته التي مطلعها : «أُحَادٌ أَمْ سُدَاسٌ في أُحَادِ» .
انظر شروح : العكبري ج ١ ص ٣٥٣ والواحدي ص ٢٣٧ . والصقلي ص ٢٩٨ والبرقوقي ج ٢ ص ٧٤ وعزام ص ٧٦ .

(٤) ق : أعطاف (بسقوط الباء قبلها) .

(٥) في المَثَل : «أَطْوَلُ من ظِلِّ الرُّمح» الميداني ج ١ ص ٤٣٧ ، وجمهرة الأمثال ١٩١٢ ، والمستقصي ج ١ ص ٢٢٩ ، وكتاب أفعل ص ٥٣ .

(٦) ق : يساوي .

(٧) الحَلْيُ والحِلْيَة من السَّيف : زِيْنَته ، والجمع حُلِيّ . والحُلَى من حَلاَة السَّيْف وهو زِينته أيضاً .

(٨) الكَهَام : السَّيْف الكَلِيل . اللسان (كهم) .

(٩) ش : محرَّفة إلى : إذا به .

(١٠) الفَلُّ : كَسْرٌ في حَدّ السَّيْف وجمعه : تَثَلُّم حَدُّه ، فهو أَفَلّ ،

الذي أَطْعَنُ حَقِيْقَةً بلا رَيْب ، ومن هاهنا آنَ أنْ أَمْسِكَ عَنْكَ لِسَان سِنَاني ، وتَرْجِعَ إلى مَنْ يَحْكُمَ برِفْعَة شَأْنِك وشَأْنِي ، ونَسْعَى إلى بَابه ، ونَبُثَّ مُحَاوَرَتَنَا برِحَابِهِ ، وقد أَوْرَدَهُما المَمْلُوكُ حِمَاك[1] ، فَاحْكُم بَيْنَهُمَا بما بَصَّرَكَ الله وأَرَاك .

«الفصل الرابع»

ومِمَّا قيلَ في الرُّمح من الأشْعَار :

● قال دُبَيْس المَدائني الشاعر[2] : [البسيط]

(١) وفي قُدُودِ الرِّماحِ السُّمْرِ مُنْعَطَفٌ
وفي قُـدُودِ[3] السُّـرَيْجيَّـاتِ[4] تَـوْريـدُ

(٢) تَغَنَّتِ[5] البِيْضُ فاهْتَزَّ القَنَا طَرَباً
مِثْلَ اهْتِزازِكَ إذْ[6] يَدْعو بِكَ الجُودُ

= وتَفلَّلَت مَضَاربُ السَّيف : تَكَسَّرت ، وغِمْد السَّيف جِرَابُهُ .

(١) حِمَاك : مَحْرَمك وسَاحَتُك .

(٢) لعلّه دُبَيْس بن سيف الدولة صدقة بن منصور الأسدي ، أبو الأعز نور الدولة صاحب الحِلَّة ، وأمير بادية العراق ، كان شجاعاً عارفاً بالأدب ، يقول الشعر ، ولد سنة ٤٦٣هـ ، وتوفي سنة ٥٢٩هـ . انظر أعلام الزركلي ج٢ ص٣٣٦ .

(٣) ق : حدود .

(٤) السُّرَيْجيَّات : ضرب من السيوف واحدها سُرَيْجيّ ، وسُرَيْج : قَيْنٌ معروف ، والسيوف السُّرَيْجيَّة منسوبة اليه . اللسان ، مادة (سرج) .

(٥) ش : فغنت .

(٦) ق : ان .

● وقال سَيْف الدِّين علي بن عمر بن قزل المَشَدّ[1] ، الشاعر ، مُلْغِزاً في الرُّمْح[2] : [الخفيف]

(١) أيُّ شَيْءٍ يَكونُ مالاً وذُخْراً
رَاقَ حُسْناً عِنْدَ اللِّقاءِ[3] ومَخْبَرْ

(٢) أَسْمَرُ القَدِّ أزْرَقُ السِنِّ وَصْفاً
إنَّما قَلْبُهُ بِلا شَكَّ أحْمَرْ

● وقال الأمير أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد الهِنْتَالي[4] ، يَصِفُ

---

(١) هو عليّ بن عمر بن قزل بن جلدك التُّركماني الياروقي الأمير سيف الدين المشد ، صاحب الديوان المشهور ، ولد بمصر سنة اثنتين وستمائة ، وتوفي بدمشق سنة ست وخمسين وستمائة ، ودفن بقاسيون .

اشتغل في صباه ، وقال الشعر الرائق ، وتولى شد الدواوين بدمشق للناصر يوسف بن العزيز مدة ، وكان طريفاً طيِّب العشرة ، تام المروءة ، وهو ابن أخي فخر الدين عثمان ، أُستاذ دار المَلِك الكامِل ، ونسيب جمال الدين ابن يغمور ، روى عنه الدُّمياطي والفخر ابن عساكر ، وكانت وفاته يوم تاسوع . .

انظر : الكتبي ، محمد بن شاكر (٧٦٤هـ) فوات الوفيات ، تحقيق د . احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ج٣ ص٥١ .

وانظر : السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ج١ ص٥٦٧ .

(٢) الشعر في فوات الوفيات ج٣ ص٥٤ .

(٣) ق : اللقا .

(٤) ق : الهنتامي .

وهو أبو زكريا يحيى بن أبي محمد عبد الواحد بن حَفْص عمر صاحب افريقية . كتب له أبو الحجاج يوسف البيّاسي كتاباً سماه «الإعلام بالحروب الواقعة في صَدْرِ الإسلام» . ويبدو أن له بصراً في نقد الشعر ، إذ يروى أن طائفة من الشعراء رفعت له قصائد فوقَّعَ عليها بما رآه ، وكان منهم شاعر يعرف بابن المحظيَّة ، وكان في قصيدته خطأ فوقَّع : يُعطي إن قصيدته كذا وكذا . . . فاستحسن البلغاء هذا منه .

وورد في ترجمة صاحب فوات الوفيات له أنه الأمير أبو زكريا صاحب افريقية وتونس . . ويذكر القلقشندي أنه دخل تونس في رجب سنة ٦٢٥هـ ، وتوفي في سنة ٦٤٧هـ . انظر في ترجمته : ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ، (٦٠٨ ـ ٦٨١) ، =

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرُّمح[1] : [الطويل]

(١) وأسْمَرَ غِرٍّ شَيَّبَ النَّقْعُ رأسَهُ
أَلَا إنَّما بَعْدَ القَشيبِ مَشيبُ

(٢) مَدَدْتُ بِهِ كَفِّي إليهمْ كأنَّهُ
رِشاءٌ ومِنْ قَلْبِ الكَمِيِّ قَليبُ

● وقال فَخْر القُضَاة ، نَصْر الله بن بَصَاقة الكاتب[2] في الرُّمْح[3] : [الطويل]

= وفيات الأعيان ، ج٧ ض٢٣٨ . والكتبي ، فوات الوفيات ، ج٤ ص٢٩٤ ، والقلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي (٨٢١هـ-١٤٠٨م) ، صبح الأعشى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، ج٥ ص١٢٧ . والزركلي ، خير الدين ، الأعلام ، دار العلم للملايين بيروت ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٤ ، ج٨ ص٩٦ .

(١) الشعر في فوات الوفيات ج٤ ص٢٩٥ ، ويبدو أنه مجتزأ من قصيدة له في الرُّمح لأنّ الكتبي يقول : وقال يصف الرمح من قصيدة ، وهو معنىً غريبٌ ثم يورد الأبيات الآنفة .

(٢) فخر القضاة : هو نَصْر الله بن هِبَة الله بن أبي محمد بن عبد الباقي الغفاري ، أبو الفتح المعروف بابن بَصاقة ، ويضيف صاحب فوات الوفيات على الغفاري قوله : المصري الحَنَفي الناصري الكاتب . وهو كاتب مُتَرَسِّل من الشعراء ، ولد بِقُوص سنة تسع وسبعين وخمسمائة ، وقرأ الأدب بمصر والشام ، ووليَ كتابة الإنشاء في الدِّيار المصرية فكان خَصيصاً بالمُعَظَّم عيسى ، ثم بابنه النَّاصر داود ، وتوفي بدمشق . كان أكتب أهل زمانه ، وأجودهم ترسُّلاً ، وأطولهم باعاً في الأدب ، له «ديوان شعر» ورسائل . وتوفي بدمشق سنة خمسين وستمائة . ويذكر السيوطي أن مولده بقوص سنة سبع وسبعين وخمسمائة ، ووفاته بدمشق سنة ست وأربعين وستمائة .

انظر ترجمته : السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج١ ص٥٦٧ . والكتبي في فوات الوفيات ، ج٤ ص١٨٧ ، وابن العماد ، أبو الفلاح عبد الحيّ (ت١٠٨٩) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ـ لبنان ج٥ ص٢٥٢ . وابن كثير ، أبو الفداء الحافظ (ت٧٧٤هـ) ، البداية والنهاية ، بتحقيق د . أحمد أبو ملحم ود . نجيب عطوي ، والأستاذ فؤاد السيد ، والأستاذ مهدي ناصر الدين ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان الطبعة الثالثة ١٩٨٧ ، ج٧ ص١٩٦ ، والزركلي ، الأعلام ج٨ ص٣١ .

(٣) وله قصيدة رائية أيضاً في السيف تسير على هذا النحو :

(١) وَلِيْ صَاحِبٌ قَدْ كَمَّلَ الله خَلْقَهُ
وَلَيْسَ بِـهِ نَقْصٌ يُـعَـابُ فَيُـذْكَـرُ

(٢) عَصِيٌّ ثَقِيلٌ إنْ أُطِيلَ عِنانُـهُ
مُـطِيْـعٌ خَفِيفُ الكَـلِّ حِيْنَ يُقَصَّـرُ

(٣) يُسابِقُني يَـوْمَ النِّزالِ الى العِدَا
فـإنْ لَـمْ أُؤَخِّـرْهُ[1] فَـمـا يَـتَـأَخَّـرُ

(٤) ويؤْمَنُ[2] مِنْهُ الشَّرُّ ما دَامَ نائِماً[3]
ولَكِنْ إذا مـا قَـامَ[4] يُخشى ويُحْـذَرُ

(٥) أَنالُ بِهِ في الرَّوْعِ مَهْما اعْتَقَلْتُهُ
مَـرامـاً إذا أَطْـلَقْـتُـهُ يَـتَـعَـذَّرُ

(٦) تَعَدَّى على أَعْـدائِـهِ مُتَنَصِّلاً
إليهِمْ ومـا أَبْـدَى اعْتِـذاراً فَـيُعْـذَرُ

(٧) تَرى مِنْهُ أُمِّيّاً[5] الى الخَطِّ يَنْتَمي
ومُغْـرًى بِغَزْوِ[6] الـرُّومِ وهو مُـزَنَّرُ[7]

وأَبْـيَضُ وَضَّـاحُ الجَبِيْـنِ صَحِبْتُـهُ فَـأَحْسَنَ حَتّى مـا أَقـومُ بِشُكْـرِهِ
إذا خَـذَلَتْني أُسْـرَتي وتَـقَـاعَـدَتْ أَخِـلاّيَ عَنْ نَصْري حَبَاني بِنَصْرِهِ
يـواصِلُني في شِـدَّتي مِنْـهُ قَـاطِـعٌ يُخَفِّفُ عَنّي في رَخَـائي بِهَـجْـرِهِ
شَـدَدْتُ يَدي مِنْهُ على قَـائِمٍ بِمـا أُكَـلِّفُـهُ يَـلْقَـى الأعـادِي بِصَـدْرِهِ
صَبُورٌ على الشَّكْوَى لَوْ دُسْتُ خَدَّهُ على رِقَّـةٍ فيـه وَثِـقْـتُ بِـصَـبْـرِهِ

إذا نابني .... الخ

انظر : فوات الوفيات ج٤ ص١٨٨ .

(١) في الأصل (أوخره) والتصويب من فوات الوفيات .

(٢) ق و ش : (يومن) بتسهيل الهمزة .

(٣) ق و ش : قائماً .

(٤) ش : نام .

(٥) ق : اجبا (وفيه خطأ عروضي) .

(٦) ق : ومعدى يغزو .

(٧) ق : مرر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٨) عَجِبْتُ لَهُ مِنْ صامِتٍ وهو أجْوَفُ
ومِنْ مُسْتَطيلِ الشّكلِ وهو مُدَوَّرُ

(٩) وَمِنْ طَاعِنٍ في السِّنِّ لَيْسَ بِمُنْحَنٍ[١]
ومِنْ أرْعَنٍ مُذْ[٢] عاشَ وهو مُوَقَّرُ

(١٠) فَفَكِّرْ إذا ما شِئْتَ[٣] إفْشاءَ سِرِّهِ
فهـا أنا قَدْ أظْهَرْتُهُ وهو مُضْمَرُ

● وقال مُجير الدِّين بن تميم[٤] ، يَصِفُ مَنْ يَلْعَبُ بِرُمْح : [الكامل]

لمَّا بَدا فَوْقَ الجَوادِ وكَفُّهُ يَلْهو[٥] بِأسْمَرَ يَرْتَمي بِشِهابِ
عَايَنْتُ لَيْثاً يَلْتَوي في كَفِّهِ ثُعْبانُ رَمْلٍ فَوْقَ مَتْنِ[٦] عُقابِ

هذا آخره ولله الحَمْدُ والمِنَّة .

---

(١) ق و ش : بمخبر .
(٢) ش : قد .
(٣) فوات الوفيات : ما رمت .
(٤) مجير الدين بن تميم : هو محمد بن يعقوب بن علي ، أحد شعراء الشام ، عاش في دمشق وانتقل الى حماة وخدم صاحبها الملك المنصور جندياً ، كان فاضلاً شجاعاً عاقلاً ، ويُعَدُّ من فحول شعراء الشام في عصر الدولة المملوكية الاولى ، توفي سنة ٦٨٤هـ .
وأورد له ابن حجة الحموي ، أبو بكر علي بن محمد (ت٨٣٧هـ) في كتاب : ثمرات الأوراق في المحاضرات مقطوعتين في وصف الرماح والسيوف . انظر : ثمرات الأوراق بشرح د . مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٣ ، ص٢٧١ و٢٧٦ .
وذكره صاحب فوات الوفيات ، ولم يترجم له ، وأورد له شعراً في تفضيل الورد :
مَنْ فَضَّلَ النَّرْجَس وهو الذي يَرْضى بِحُكْمِ الوَرْدِ إذْ يُغْرَسُ
أما تَرَى الوَرْدَ غدا جالِساً إذْ قامَ في خِدْمَتِهِ النَّرْجِسُ
انظر فوات الوفيات ج٢ ص٤١٨ .
(٥) ق و ش : تلهو .
(٦) ق : رمل .

«المُلْحَق والفَهَارِس»

(١) ملحق بألفاظ الرِّمَاح .
(٢) فهرس الأَعــلام .
(٣) فهرس الحَدِيث والأَثَر .
(٤) فهرس الكتب المذكورة في متن الكتاب .
(٥) فهرس الأَشْعَار .
(٦) مراجع التَّحقيق .
(٧) فهرس الكتاب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) ملحق بألفاظ الرماح

«ويشتمل على المواد اللُّغوية التي ذَكَرَها السُّيوطي (المشار إلى جانبها بنجمة) وما استدركناه عليه من كُتُب المعاجم» .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(أزن) رُمْحٌ أَزَنِيٌّ وأَيْزَنِيٌّ وآزَنِيٌّ : منسوبٌ إلى ملك حمير ذي يَزَن ، والهمزة مقلوبة عن الياء .

(أسل)* الأَسَل : الرِّماح على التَّشْبيه بالنَّبات ؛ لاعتداله وطوله واستوائه ودِقَّة أَطْرافه . قال الثَّعالبي : الأَسَل : ما أُدِقَّ من الحديد وحُدِّد فيقع ذلك على الأسِنَّة ونحوها ، وخَصُّوا بها الرماح لدِقَّة أَطْرافها .

(ألل) الأَلَّة : أَصْغَر من الحَرْبَة ، وجمعها إلَال ، وفي سنانها عَرْضٌ .

(بوأ) بَوَّأْتُ الرُّمح : إذا سَدَّدْتُهُ .

(تمر) اتْمَارَّ الرُّمح ٱتْمِئْراراً فهو مُتْمَئِرّ : إذا كان غليظاً مستقيماً .

(ثقف) الرُّمح المُثقَّف : المُسَوَّى بالثِّقَاف ، وهي آلة تُعَدَّلُ بها الرِّماح .

(ثعلب) الثَّعْلَب : ما دخل من الرُّمح في السِّنان .

(ثلب)* رمح ثَلِبٌ : مُتثلم .

(جبب)* الجُبَّة : ما دَخَل فيه الرُّمح .

(جحل) جَحَلَه بالرُّمح : قَصَده به دون غيره .
(جحدل) جَحْدَلَه بالرمح : قصده به .
(جدل) جَدَّلَه بالرمح : طعنه به فقتله .
(جرجم) جَرْجَمَه بالرُّمح : صَرَعه .
(جزر) أَجْزَرْتُهُ الرمح : إذا طَعَنْتُهُ به .
(جعب) جَعَب الرُّمْحَ : قَصَدَ به عدوَّه .
(جعفل) جَعَب الرُّمْحَ : قَصَدَ به عدوَّه .
(جعفل) جَعْفَلَهُ الرُّمحَ : قَصَده به .
(جلز)•الجَلْز والجِلاَز : السِّنان الغليظ ، وجَلْز السِّنَان : الحلقة المستديرة في أسفله ، وقيل : أعلاه .
(جمم) الأَجَمّ : الرجل الذي ليسَ معه رُمْح .
(جهر) آسْجَهَرَّت الرماح : أُشْرِعت .
(جور) جَوَّره بالرمح : جَدَّله به .
(حدر) رمح حَادِرٌ : غليظ ، والحَوَادر من كعوب الرماح : الغلاظ المستديرة .
(حرب) حَرَّبْتُ السِّنان : حَدَّدته .
(حفز) حَفَزَه بالرمح : طعنه به .
(حمم) حُمَّة السِّنان : حدَّتُهُ .
(خدب) رمح خِدَبٌّ : واسع الجراحة ، وضَرْبَةٌ خَدْبَاء : مُتَّسعة طويلة .
(خرص)• الخُرْص : سِنان الرمح ، وقيل : ما علا الجُبَّةَ من السِّنان ، وقيل : هو الرمح نفسه .
وجمعه خِرْصَان ، وقيل : الخُرْص (بالفتح والضم) : رمح قصير يُتَّخذ من خشب ، وقيل : هو السِّنان ثم صيروه للقَنَا لما كثر استعمالهم له .
(خزق) سنان خَزْقٌ وخَازِق : نافذ ، وفي المثل : «أَمْضَى من خَازِق» .
(خطر) خَطَر الرُّمح : آهتز ، وخَطَران الرمح : ارتفاعه وانخفاضه للطَّعْن ، والرمح الخَطَّار : ذو الاهتزاز ، وقد خَطَر يَخْطِر خَطَراناً .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(خطل) الخَطِل : الرمح الشديد الاضطراب .

(خطا)* الخَطِّيُّ من الرماح : منسوب الى الخَطّ من هَجَر ، والجمع خَطِّيَّة .

(خلل) خَلَلْتُهُ بالرمح : إذا طعنته به ، وآخْتَلَلته به : انتظمت فؤاده به .

(خمس) رمحٌ مَخْمُوس : الذي طوله خمسة أذرع .

(خمن)* الخَمَّان من الرماح : الضعيف .

(خور) الخَوَّار : الرمح الخفيف .

(خوى) خَوَاية السِّنان : جُبَّته وهي ما التَقَم ثَعْلَب الرُّمح .

(دسر) دَسَّرته بالرمح دَسْراً : دفعته به دَفْعاً ، وطعَنته به طعناً .

(دعس)المِدْعَس والمَدَاعِس من الرماح : الغليظ الشديد الذي لا ينثني ، وقيل : الصُمُّ من الرماح .

(دعص) دَعَصَه بالرمح : طعنه ، المَدَاعِص : الرماح ، ورجل مِدْعَص بالرماح : طَعَّان بها .

(ذبل) الرماح الذَّوابل : سُمِّيت بذلك لِيُبْسها ولصوق لِيْطِها ؛ يعني قشرها .

(ذرب) سنان ذَرِب : حادٌ ، يقال : ذَرَبته أي حَدَّدته ، وسنان مُذَرَّب : مُحَدَّد .

(ذرع) ذِرَاع القَنَاة : صَدْرها .

(ذلق) ذَلْق السنان : حَدُّه ، وسنان أَذْلَق : حادٌ ، وسنان ذَلِق : حَادٌ .

(ربع) رمحٌ مَرْبُوع : ما كان طوله أربعة أَذْرع ، وقيل : الذي ليس بطويل ولا قصير .

(ردن) الرمح الرُّدَيْنِيّ : منسوب إلى امرأة اسمها رُدَيْنَة كانت تصنع الرماح بهَجَر .

(رزخ) رَزَخَه بالرمح يَرْزَخه زَرْخا : زَجَّه به .

(رصع) رَصَعَه بالرُّمح : طعنه طعناً شديداً حتى غَيَّب السِّنان كُلَّه فيه .

(رعش) رمح رَعَّاش : شديد الاضطراب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(رعف) الرِّماح الرَّوَاعف : المهتزَّة .
(رعل) أَرْعَلَه بالرمح : طعنه طعنلاً شديدة .
(رمح) الرُّمْح : آلة الحرب معروف ، وجمعه أَرْمَاح ورِمَاح ، والرَّامِح : الطَّاعن بالرمح ، وحامله ؛ لذلك قيل للثَّور الوحشي رامح لمكان قَرْنيه .
(ريش)• رمح رَاشٌ ورَائِش : خَوَّار ضعيف ، شُبِّه بالرِّيش لخِفَّته .
(زجج) الزُّجُّ : الحديدة التي تُركَّب في أسفل الرمح ، أَزْجَجْت الرمح : جعلت له زُجّاً ، وزَجَّجت الرجل ، طعنته بالرمح ، والمِزَجّ : الرمح الصغير .
(زجل) المِزْجَل : رمح قصير ، والزَّاجل : الحلقة في زُجّ الرمح ، وزَجَلَه بالرمح زَجْلاً : رماه به .
(زحر) زَحَره بالرمح زَحْراً : زَجَّه به .
(زرج) زرجه بالرمح يَزْرجه زَرْجاً : طعنه به .
(زرق) المِزْراق : رمح قصير ، وقد زَرَقَه بالمِزْرَاق زَرْقاً : طعنه أو رماه به .
(زعب) الرمح الزَّاعِبيّ : الذي إذا هُزَّ اضطرب من أوله إلى آخره . والرماح الزَّاعِبيَّة : منسوبة إلى زَاعب وهو رجلٌ ، وقيل : بلد .
(زفر) زَافِرة الرُّمح : نحو الثُّلُث وهو من السهم ما دون الريش .
(زلخ) زَلَخَه بالرمح : زَجَّه به زَجّاً لا طَعْناً .
(زمل) الإِزْميل : حديدة كالهلال تُجْعَل في طرف رمح لصَيْد بقر الوحش .
(سبل) السَّبَل : الرمح .
(سدد) سَدَّد رُمْحَه : خِلاف عَرَّضَه ، ورمح مُسَدَّد : قويم .
(سدك) رجل سَدِك بالرمح : طَعَّان به .
(سرر) سَرَّه بالرمح : طعنه في سُرَّته .
(سفل) سَافِلة الرمح : نِصْفُهُ الذي يلي الزُّج .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(سفه) تَسَفَّهت الرِّماح في الحرب : اضطربت ، وأصل السَّفَه : النَّزَق والخفّة .

(سلب) رمح سَلِب : طويل ،

(سلف) السَّلُوف : الرمح الطويل .

(سلق) سَلَقَه بالرمح : طعنه به فوقع على ظهره .

(سمح) رمح مُسَمَّح : ثُقِّف حتى لان .

(سمر)• الأَسْمَر : الرمح الذي يضرب لونه إلى السُّمرة . وقيل : هو الدقيق .

(سمهر)• السَّمْهَرِ : الرمح الصَّليب العُود ، منسوب إلى سَمْهَر رجل كان يبيع الرماح بالخَطِّ ، وامرأته رُدَيْنَة .

(سندر) السَّنْدَريّ : السهم المُتَّخَذ من شجرة السَّنْدَرَة ، ويُتَّخذ منها أيضاً القِسِيّ والنَّبْل والرماح .

(سنن)• سِنَان الرمح : حديدته لِصَقالتها ومَلاَستها ، وأَسْنَنْتُ الرمح : جَعَلْتُ له سِناناً ، وهو مَسْنُون مُحَدَّد .

(شجر) تَشَاجر القوم بالرماح : تطاعنوا ، رماح شواجر : مختلفة .

(شرع) رمح شُرَاعِيّ (بالكسر والضم) : طويل ، أَشْرَعْتُ : الرمح : مَدَدْتُهُ ، وهي شُرَّاع وشَوَارع .

(شطط) شَطَاط (بكسر الشين وفتحها) : القناة المعتدلة .

(شقص) المِشْقَص : الرمح الطويل ، وقيل : السهم العريض النَّصْل .

(شكك) شَكَّه بالرمح شَكّاً : انتظمه به .

(شهب) سنان أَشْهب : إذا جُلي صار لونه الشُّهْبَة .

(صبح) المُصْبَاح : السِّنان العريض ، والصُّبَاحِيَّة : الأَسِنَّة العِراض ، منسوبة .

(صدر) صَدْر القناة : أَعلاها : والجمع : صُدُور .

(صدق) الصَّدْق من الرِّماح : الصُّلْب المُسْتَوي الجامع للأوصاف المحمودة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(صرد) صَرَدَ الرمحُ والسهمُ يَصْرُدُ صَرْداً : نفذ حَدُّه ، وصَرَده وأَصْرَدَهُ : أنفذه ، وأَصْرَدَ السهمُ : أخطأ ، وقيل : رمح مُصَرَّد : مُخْطِىء (على الأضداد) .

(صعد) الصَّعْدَة : قناة تشبه الرمح تنبت مستوية لا تحتاج أنْ تُقَوَّم ، والجمع صِعَاد .

(صلب) سنان صُلَّبِيٌّ مَسْنُون ومُصَلَّب : مسنون أيضاً .

(صمع) رمح أَصْمَع : صُلْب مستوٍ ، وقناة صَمْعَاء : صُلْبة مستوية الكُعوب مكتنزة .

(صمم)* الصَّمَم : اكتناز القناة ، يقال : قناة صَمَّاء ، ورمح أَصَمّ .

(شبب) الشُّبّ : اعوجاج في الرمح .

(ضبن) ضِبْنُ الرمح : إبْطُهُ وفيه عَالِيَتُهُ وهو نصفه الأَعْلَى الذي يلي السِّنان .

(ضغن) قناة ضَغِنَة : عوجاء .

(ضلع) ضَلِع الرمح ضَلَعاً : اعْوَجَّ . والضَّلِع : الرمح المُعَوَّج ورمح ضَلِيع : مائل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(ضهب) تَضْهِيبُ الرمحِ : عَرْضُهُ على النار ليَسْتوي .

(طحر) قناة مُطْحَرَة : إذا التَوَتْ في الثِّقَاف ، وسنان مُطْحَر : مَسْنُون ، وقيل : مُطَوَّل .

(طرح) رمح مِطْرَحٌ : طويل .

(طرد) المِطْرَدُ : رمح قصير تُطْعَنُ به حُمُر الوحش ، وقال ابن سيدة : المِطْرَد (بالكسر) رمح قصير يُطْرَدُ به الوحش ، والطَّرَّاد : الرمح القصير ، والمُطْرِد من الرُّمح : ما بين الجُبَّة والعالية .

(طرر) سنان مَطْرُور : مَسْنُون .

(طنب) الطَّنَب : اعوجاج في الرمح .

(ظما)* رمح أَظْمَى : أَسْمَر ، وقناة ظَمْيَا ، بَيِّنَه الظَّمَى .

(ظنب) الظُّنْبُوب : مِسْمَار يكون في جُبَّة السِّنان حيث يُرَكَّبُ في عَالِية الرُّمح .

(عتر)• عَتَر الرمح يَعْتِرِ عَتْراً وَعتراناً : اشتِدَّ واضطرب وٱهْتَزَّ ، والرمح العَاتِر : المضطرب مثل العَاسِل .

(عتل) العُتُلّ : الرمح الغليظ .

(عجف) سنان أَعْجَف : رقيق .

(عذب) عَذَبَة الرمح : الخِرْقة التي في رأسها ، والجمع عَذَبٌ .

(عذر) عَذَار السنان : شَفْرتاه ، وسنان عَذَار : حَادٌ .

(عرت) الرمح العَرَّات : الشديد الاضطراب ، وقد عَرِتَ وعَرِصَ .

(عرد) رمح عَرْدٌ : شديد صُلْب .

(عرص)• رمح عَرَّاص : لَدْن المَهَزَّة .

(عرن) رمح مُعَرَّن : مُسَمَّر السِّنان بالعِرَان وهو المِسْمَار .

(عسل)• عَسَل الرمح يَعْسِل عَسْلاً وعُسُولاً وعَسَلاناً : اشتد اهتزازه واضطرب ، ورمح عَسَّال وعَسُول وعَاسِل مضطرب لَدْن .

(عشز) قَنَاة عَشَوْزَنَة : صُلْبَة .

(عضب) العَضَب في الرمح : الكَسْر .

(عضض) أَعَضَّ الرمح الثِّقَاف : أَلْزَمه إيَّاه .

(عقل) ٱعْتَقَل رمحه : جعله بين رِكَابه وساقه .

(عكز) العُكَّازة : عصا في أسفلها زُجٌّ .

(علب) رمح مُعَلَّب : مُتَثَلِّم ، وعَلَّب الرمح عَلْباً : حزم مقبضه بعِلْبَاء البعير .

(علا) عَالِية الرمح : ما دخل في السنان الى ثُلُثه ، وجمعها عَوَالٍ ، وعوالي الرماح : أسِنَّتُهَا .

(عمل) عَامل الرمح وعاملته : صَدْره دون السنان ، ويجمع على عَوَامل ، وقيل : عامل الرمح : ما يلي السنان ، وهو دون الثَّعْلَب .

(عنز) العَنَزَة : قَدْر نصف الرمح وفيها زُجٌّ كزُجّ الرمح .

(عير) العَيْر : النَّاتىء في وسط السنان .
(غرر) الغِرَار : حَدُّ الرمح والسهم والسيف .
(غول)* المِغْوَل : نَصْل دقيق له حدٌّ ماضٍ يشتمل به الرجل تحت ثيابه .
(غيب) الغَابَةُ من الرماح : ما طال منها ، وكان لها أطراف تُرَى كأطراف الأَجَمة وقيل : هي المُضْطربة من الرماح في الريح ، وقيل : هي الرماح إذا اجتمعت على التشبيه بالغَابة التي هي الأَجَمة ، وجمعها غَابَاتٌ وغَابٌ .
(فرخ) الفَرْخَة : السِّنان العريض .
(قدس) قَدَسَه بالرمح قَدْساً : طعنه طعناً خفيفاً .
(قدع) تَقَادعوا : تَطَاعنوا بالرماح .
(قرش) تَقَارَشت الرماح : تداخلت في الحرب ، قَرَشَه بالرمح : طَعَنه ، والقَرْش : الطَّعْن .
(قرن) القُرْنَة : حَدّ الرمح والسيف ، وقُرْنَة السِّنان : حَدُّه ، أَقْرَنت الرمح : أَشْرَعته ، والأَقْرَن : مَنْ يرفع رأس رُمْحه .
(قرا)* القَارِيَة : حَدّ الرمح والسيف وقيل : أَسْفَل الرُّمح مما يلي الزُّجّ ، وقَارِية السِّنان : أعلاه وحدُّه .
(قصد) رمح قِصْدَه وقَصِيد : مكسور، وَتَقَصَّدَت الرِّماح : تَكَسَّرت ، وانقصد الرمح انكسر نصفين ، وكل قطعة قِصْدَةٌ .
(قصف) قَصِفَت القناة قَصَفاً : انكسرت ولم تَبِن ، فإن بانت قيل : انْقَصَفَتْ .
(قطر) قَطَّره بالرمح : طعنه فألقاه على قُطْريه ، أي جانبيه .

(قطر) قَطَّره بالرمح : طعنه فألقاه على قُطْريه ، أي جانبيه
(قطع) القِطْع : النَّصل القصير ، والجمع أَقْطُع وأَقْطَاع .
(قعضب) القَعْضَبيَّة : رماح منسوبة إلى قَعْضَب ، وهو رجل كان يعملها في الجاهلية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(قلع) اقْتَلَع الرمح : أخذه ليحمل به .
(قلم) مِقْلَم الرمح : كَعْبُهُ .
(قنا) القَنَا من الرماح : ما كان أجوف كالقَصَبة ، وقيل : كل عصا أو رمح مستوٍ أو غير مستوٍ فهو قَنَاة ، وجمعها : قَنًا وقَنَوات وقُنِيّ وقِنَاءٌ .
(قوم) رمح قَوِيم وقَوَام : مُسْتَوٍ .
(كرب) الكَرِيْبُ : الكَعْب من القناة .
(كعب) الكَعْب : عُقْدة ما بين الأُنبوبين ، من القَنَا ، وقيل : هو أُنبوب ما بين كل عقيدتين ، وجمعه كُعُوب وكِعَاب ، ورمح بكَعْبٍ واحدٍ : مستوي الكُعُوب ليس له كَعْبٌ أغلظ من آخر .
(كعبر) كَعَابِر القناة : عُقُودها إذا كانت غلاظاً .
(كور) المُكَوَّرُ : المطعون بالرمح .
(لدن) اللَّدن : الرمح اللَّيِّن ، والجمع لُدُون .
(لزز) لَزَّهُ بالرمح : طَعَنَهُ .
(لما) الأَلْمَى من الرماح : الشديد السُّمرة الصُّلْب .
(لهذم) اللَّهْذَم : الرمح القاطع .
(لهز) لَهَزَه بالرمح : طَعَنَه في صدره .
(لوا) أُمّ اللِّواء ؛ الرمح .
(ليط) اللِّيْطَة : قِشْرَة القناة ، وجمعها لِيَطٌ .
(مأر) اتْمَأَرَّ الرمح : اشْتَدَّ وصَلُب .
(متل) المِتَلُّ : الرمح الشديد الغليظ القوي .
(مدر) المَدَرِيَّة : رماحٌ تُرَكَّبُ فيها القُرُون المُحَدَّدة مكان الأَسِنَّة .
(مرن) المَارِن : الرمح الصُّلب اللَّيِّن ، والمُرَّان : الرِّمَاح الصلبة اللَّدنة ، وأصل المُرَّان : نبات تُصْنَع منه الرماح ، وقيل : المُرَّان من الرمح : مَتْنُهُ ؛ وهو وسطه ، وقد مَرَنَ يَمْرُنُ ، وما أحسن مَرَانَةَ الرمح ومُرُونَتَهُ .
(معد) مَعَد الرمح مَعْداً وامْتَدَهُ : انتزعه من مركزه واجتذبه .
(معط) امْتَعَطَ الرُّمح : انتزعه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(مغس) مَغَسَهُ بالرمح مَغْساً : طعنه .
(نبرس) النَّبَارِيس : الأَسِنَّة واحدها نَبْراس .
(نحض) النَّحِيض والمَنْحُوض : النَّصْل المرقق المُحَدَّد .
(نجل)* نَجَلَهُ بالرمح يَنْجِلُهُ نَجْلاً : طَعَنه وأوسع شَقَّه ، وسنانٍ مِنْجَلٌ : واسع الجُرْح .
(ندس) رماح نَوَادِسٌ : شديدة الطَّعْن ، نَدَسَهُ بالرمح : طَعَنه ، والمُنَادَسَةُ : المُطَاعنة .
(نزك)* النَّيْزَك : الرمح الصغير (فارسي مُعَرَّبٌ) .
(نصل) أَنْصَلْتُ الرمح : إذا نزعت نَصْلَه ، ونَصَّلْتُهُ : رَكَّبت عليه النَّصل ، والنَّصْلُ هو السِّنَان .
(نضا) نَضِيُّ الرمح : ما فوق المِقْبَض من صدره : النَّضِيُّ : الخَلَق من الرماح .
(نكت) طعنه بالرمح فَنَكَتَهُ : إذا أوقعه على رأسه .
(هرع) أَهْرَع القوم برماحهم : أَشْرَعوها ، تَهَرَّعت الرماح : أقبلت شَوَارع .
(هزع) تَهَزَّع الرمح واهْتَزَع : اضطرب ، والهَزَع : الاضطراب ، ورمح هُزَعٌ : مُضْطَرِبٌ .
(هكك) الهَكُّ : مُدَاركة الطَّعْن بالرماح .
(وخض) وَخَضَه بالرمح : إذا طعنه طَعْناً لا يَنْفُذُ .
(ودق) الرمح الوَادِق : الماضي الضَّريبة .
(وشج)* الوَشِيج : الرماح ، واحدته وشِيحةٌ ، وأَصْلُهُ نبات الرماح ، وقيل : هو من القَنَا أَصْلَبُهُ .
(يزن) اليَزَنِيَّةُ : الرماح منسوبة إلى ذي يَزَن ، وهو من ملوك حمير ، ويروى : أَزَنِيَّة .
(يمم) يَمَّمْتُهُ الرُّمح : قَصَدْتُهُ به دون غيره .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٢) فهرس الأعلام

إبراهيم (عليه السلام) ص ٢٣٨
إبراهيم الزهري = أبو إسحق
أحمد بن حنبل ص ٢٣٤ ، ٢٣٧
أحمد بن عبد الله المَحَاملي ص ٢٣٩
أربد ص ٢٣٩
أبو إسحق (إبراهيم بن سعد الزهري) ص ٢٣٣
إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة ص ٢٣٥
أسيد بن الحضير ص ٢٣٩
الأصمعي ص ٢٤٠ ، ٢٤٢
الأعمش ص ٢٣٥
أنس بن مالك ص ٢٣٣ ، ٢٣٥
الأوزاعي ص ٢٣٢
البراء بن مالك ص ٢٣٣
ابن بصاقة ، فخر القضاة نصر الله ص ٢٥٢
بقية (بن الوليد) ص ٢٣٤
حسان بن عطية ص ٢٣٢
الحسن (بن أبي طالب) ص ٢٣٧
الحسن بن أبي بكر ص ٢٣٨
الحسين بن إسماعيل المَحَاملي ص ٢٣٩
حكيم بن جبير ص ٢٣٥
حمّاد بن سَلَمة ص ٢٣٥ ، ٢٣٧
الخطيب ص ٢٣٨
أبو الخليل (عبد السلام) ص ٢٣٣

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دُبَيْس المدائني ص ٢٥٠
الدَّجال ص ٢٣٧
دَعْلَج بن أحمد ص ٢٣٨
أبو الربيع السمان ص ٢٣٦
رُدَيْنَة (امرأة) ص ٢٤٤
ابن زَبَالة = محمد بن الحسن المخزومي ص ٢٣٨
الزبير بن بكار ص ٢٣٨ ، ٢٣٩
زيد بن الحباب ص ٢٣٧
سعيد بن جبلة ص ٢٣٢
سفيان (بن عُيينة) ٢٣٣
سَمْهَر (زوج ردينة) ص ٢٤٤
ابن أبي شَيْبَة (عبد الله بن محمد) ص ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ .
طاوُس ص ٢٣٢
عائشة ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩
عامر بن الطفيل ص ٢٤٠
ابن عبد البر ص ٢٣٩
عبد الرحمن بن ثابت ص ٢٣٢
عبد الله بن بشر ص ٢٣٦
عبد الله بن صالح البخاري ص ٢٣٤
عبد الله بن عمر ص ٢٣٢
عبيد بن عمير ص ٢٣٥
أبو عبيدة معمر بن المثنى ص ٢٤٢
عثمان بن عطاء ص ٢٣٤
عفّان بن مسلم ص ٢٣٥
علي بن أبي طالب ص ٢٣٣

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

علي بن زيد بن جدعان ص ٢٣٧
علي بن محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر ص ٢٤٦
أبو عمرو (الشيباني) ص ٢٤٢
عيسى بن يونس ص ٢٣٢
ابن قزل ، علي بن عمر المشد ص ٢٥١
مالك بن أنس ص ٢٣٨ ، ٢٣٩
محمد (صلى الله عليه وسلم) ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ .
محمد بن الحسن المخزومي ص ٢٣٨ ، ٢٣٩
محمد بن ناصح ص ٢٣٤
محمد بن يحيى بن عبد الحميد ص ٢٣٩
مجاهد ص ٢٣٥
مجير الدين بن تميم ص ٢٥٤
مسلمة بنُ عليّ ص ٢٣٤
مصعب بن سليم ص ٢٣٣
المغيرة بن شعبة ص ٢٣٣
أبو منيب الجرشي ص ٢٣٢
أبو موسى (الأشعري) ص ٢٣٣
أبو نعيم (أحمد بن عبد الله) ص ٢٣٤
هارون بن يوسف بن زياد ص ٢٣٨
هاشم بن القاسم ص ٢٣١
أبو هريرة ص ٢٣٤
هشام بن عروة ص ٢٣٨ ، ٢٣٩
الهنتائي ، الأمير أبو زكريا ، يحيى بن عبد الواحد ص ٢٥١
وكيع ص ٢٣٣ ، ٢٣٥ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٣) فهرس الحديث والأثر

(١) حديث : إنَّ الله جَعَلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي . . . إلخ ص ٢٣٢
(٢) حديث : إنَّ الله يَمْشِي بَيْنَ يَدَيَّ السَّاعة . . . إلخ ص ٢٣٢
(٣) حديث : كان المُغِيرة بن شُعْبة إذا غَزَا مع النبيّ حَمَلَ معه رُمْحاً . . . ص ٢٣٣ .
(٤) قال البراء بن مالك : اعْطِنِي سَيْفي وترسي ورُمحي . . . إلخ ص ٢٣٣
(٥) حديث : من اعْتَقَل رمحاً في سبيل الله . . . إلخ ص ٢٣٤
(٦) حديث : يَجِيءُ فُقَراء المُهَاجرين يومَ القِيَامة تَقْطُرُ رِماحُهُم . . . ص ٢٣٥
(٧) حديث : يا عِبَادَ الله ، أَنَا عبدُ الله ورسوله . . . إلخ ص ٢٣٦
(٨) حديث : رَأَى النبيُّ رَجُلاً بيده قوس . . . إلخ ص ٢٣٦
(٩) حديث : الدَّجَّال يخوضُ البِحَار إلى رُكْبَتَيْهِ . . . إلخ ص ٢٣٧
(١٠) عن عائشة أَنَّه كان في بَيْتها رُمْحٌ مَوْضُوعٌ . . . إلخ ص ٢٣٧
(١١) حديث : كلُّ البلادِ فُتِحَتْ بالسَّيْفِ أو الرُّمح . . . إلخ ص ٢٣٨ ، ٢٣٩
(١٢) حديث : اللَّهم اكْفِنِي عامر بن الطفيل . . . إلخ ص ٢٤٠

(٤) فهرس الكُتُب المذكورة في متن الكتاب

(١) كتاب المُصَنَّف لابن أبي شيبة ص ٢٣١
(٢) كتاب الاستيعاب لابن عبد البر ص ٢٣٩
(٣) كتاب الغَرِيب المُصَنَّف لأبي عُبَيْد ص ٢٤٠
(٤) كتاب مُفَاخَرَة بين الرُّمح والسَّيْف لابن عبد الظاهر ص ٢٤٦

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٥) فهرس الأشعار

المطلع	القافية	القائل	البحر	الصفحة
وأَسْمَرَ	مشيب	الهنتاني	الكامل	٢٥٢
مَدَدْتُ	قليب	الهنتاني	الكامل	٢٥٢
لمَّا بَدَا	بِشِهابِ	ابن تميم	الكامل	٢٥٤
عايَنْتُ	عُقابِ	ابن تميم	الكامل	٢٥٤
وفي قُدودِ	توريد	دُبَيْس المدائني	البسيط	٢٥٠
تَغَنَّت	الجُود	دُبَيْس المدائني	البسيط	٢٥٠
أي شيء	ومخبر	ابن قزل	الخفيف	٢٥١
أَسْمَرُ	أحمَر	ابن قزل	الخفيف	٢٥١
ولِيْ صاحبٌ	فيذكَرُ	ابن بصاقة	الطويل	٢٥٣
عَصِيٌّ	يُقَصَّرُ	ابن بصاقة	الطويل	٢٥٣
يُسابقُني	يتأَخَّرُ	ابن بصاقة	الطويل	٢٥٣
ويؤْمَنُ	ويحذرُ	ابن بصاقة	الطويل	٢٥٣
أنالُ به	يتعذَّرُ	ابن بصاقة	الطويل	٢٥٣
تعدَّى	فيُعْذَرُ	ابن بصاقة	الطويل	٢٥٣
ترى منه	مُزَنَّرُ	ابن بصاقة	الطويل	٢٥٣
عجبتُ	مدوَّرُ	ابن بصاقة	الطويل	٢٥٤
ومن طَاعِنٍ	موقَّرُ	ابن بصاقة	الطويل	٢٥٤
مفكِّر	مُضْمَرُ	ابن بصاقة	الطويل	٢٥٤

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٥) مراجع التحقيق

الأصفهاني ، أبو نعيم ، أحمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ) : حلية الأولياء ، دار الفكر ، بيروت (د.ت) .

البخاري ، أبو عبد الله ، محمد بن اسماعيل الجعفي (ت٢٥٦هـ) : صحيح البخاري ، مطبعة المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية مصر ١٩٧١م .

البغدادي ، الخطيب أبو بكر أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ) : تاريخ بغداد ، دار الكتاب العربي ، بيروت (د.ت) .

الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت٤٢٩هـ) : فقه اللغة وسر العربية ، دار الكتب العلمية بيروت (د.ت) .

ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ) : صفوة الصفوة ، حققه : محمود فاخوري ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٨٥م .

ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ) :

ـ تهذيب التهذيب ، مطبعة المعارف النظامية ، حيدر آباد الدكن ، الهند ١٣٢٥هـ .

ـ لسان الميزان ، حيدر آباد ، الهند ١٣٣٠هـ .

ـ الدر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، دار الجيل ، بيروت (د.ت) .

ابن خلكان ، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت٦٨١هـ) : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، حققه : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت (د.ت) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الدولابي ، أبو بشر ، محمد بن أحمد بن حماد (ت٣١٠هـ) : الكنى والأسماء ، دار الكتب العلمية ، بيروت (د.ت) .

الذهبي ، أبو عبد الله ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ) :

(١) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، حققه : علي البجاوي ، دار المعرفة ، بيروت (د.ت) .

(٢) سير أعلام النبلاء ، حققه : شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٢م .

الزركلي ، خير الدين : الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٤ .

السيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ) :

ـ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة . حققه : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، وشركاه ، القاهرة (د.ت) .

ـ جامع الأحاديث للجامع الصغير ، حققه : عباس أحمد صقر ، وأحمد عبد الجواد ، مطبعة محمد هاشم الكتبي ، دمشق (د.ت) .

ابن أبي شَيْبة ، أبو بكر عبد الله بن محمد بن ابراهيم العبسي (ت٧٧٥هـ) :

* المصنَّف ، المجلد الأول والثاني ، ملتان ١٣٢٤هـ .

وبتحقيق مختار أحمد الندوي بخمسة عشر جزءاً ، طبعة الدار السلفية ، الهند ١٩٨٣م .

الصفدي ، خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ) : الوافي بالوفيات ، دار صادر ، بيروت ١٩٧٣م .

ابن عبد البرّ ، أبو عمر يوسف بن عبد الله : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، حققه : علي البجاوي ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة (د.ت) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أبو عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٣هـ) : كتاب السِّلاح ، حققه : حاتم الضامن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٥م .

ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحي (ت١٠٨٦هـ) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت (د.ت) .

فؤاد سزكين :

تاريخ التراث العربي ، ترجمة : محمود فهمي حجازي ، مطبعة جامعة الإمام ، الرياض ١٩٨٣م .

القزويني ، محمد بن يزيد (ت٢٧٥هـ) : سنن ابن ماجه ، حققه : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي (د.ت) .

القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ) : صبح الأعشى في صناعة الانشا ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة (د.ت) .

ابن قيم الجوزية ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي (ت٧٥١هـ) : الفروسية ، مكتبة عاطف ، القاهرة (د.ت) .

الكتبي ، محمد بن شاكر (ت٧٦٤هـ) : فوات الوفيات ، حققه : احسان عباس ، دار صادر بيروت (د.ت) .

ابن كثير ، أبو الفداء ، اسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ) : البداية والنهاية ، حققه : أحمد أبو ملحم وآخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٧م .

منصور علي ناصف :

التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول .

دار إحياء الكتب العلمية ، عيسى البابي الحلبي القاهرة (د.ت) .

ابن النديم ، محمد بن إسحق بن يعقوب (ت٣٨٥هـ) : الفهرست ، حققه : رضا ـ تجدد ، طهران (د.ت) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٢هـ) : نهاية الأرب في فنون الأدب ، طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣٢م .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٦) فهرس كتاب السَّمَاح في أخْبَار الرِّمَاح

مُقَدمة التَّحقيق ٢١٥
صورة غلاف الكتاب ٢٣٠
الفصل الأول ٢٣١
الفصل الثاني ٢٤٠
الفصل الثالث ٢٤٦
الفصل الرابع ٢٥٠
المُلْحَق والفَهَارس ٢٥٥
ـ ملحق بألفاظ الرماح ٢٥٦
ـ فهرس الأعلام ٢٦٦
ـ فهرس الحديث والأثر ٢٦٩
ـ فهرس الكتب المذكورة في متن الكتاب ٢٦٩
ـ فهرس الأشعار ٢٧٠
ـ مراجع التحقيق ٢٧١

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قراءة جديدة
في ديوان اسماعيل بن يسار
تحقيق الدكتور يوسف حسين بكار

للدكتور نوري حمودي القيسي
عميد كلية الآداب - جامعة بغداد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أقف مع أخي الدكتور يوسف الموقف الأخوي الذي وجدت نفسي ملزماً به لعلّ فرصة جديدة تتاح له لإعادة النظر في تحقيق شعر هذا الشاعر مستقبلاً فتكون هذه المحاولة اغناء لمحاولته وإضاءة خفيفة توسع مدى الرؤية التي أضاء بها حياة هذا الشاعر وأبدأ أولاً باستدراك الأبيات .

١ ـ اعتمد الأخ الدكتور يوسف كتاب جمهرة نسب قريش وأخبارها للزبير بن بكار (شرح وتحقيق الاستاذ محمود محمد شاكر) وخرّج منه القطعة رقم (٤) ورقم (١٢) وفاتته القطعة الثامنة التي ذكرها صاحب جمهرة النسب فلم يخرجها منه ولي عليها الملاحظات الآتية :

أ ـ قال الدكتور يوسف : قال يرثي أخاه محمد بن يسار والقصيدة كما يذكرها صاحب جمهرة النسب قال : حدثنا الزبير قال : وحدثني مصعب بن عثمان قال : قال اسماعيل بن يسار النّساء يرثي أبا بكر بن حمزة بن عبد الله بن الزبير . فالمرثية ليست في رثاء أخيه كما ذكرت في المجموع .

ب ـ ولو تأمل أخي الدكتور يوسف البيت الأول من القصيدة والشاعر يقول : لما نعى الناعي أبا بكر . .

ولم يُعرف أخو الشاعر بهذه الكنية . لأدرك أن المرثى غير أخيه . .

جـ ـ في الأبيات السبعة التي أوردها صاحب جمهرة نسب قريش تصحيح لما ورد في رواية الأغاني . . . فرواية الأول

غلب العــزاء ورواية المجموع عيل العزاء

وهناك اختلافات أخرى في رواية الأبيات لا يمكن اغفالها لصحتها ووثوق روايتها أو قدم مصدرها والفرق كبير بين الزبير بن بكار وأبي الفرج .

د ـ بعد رواية الأبيات السبعة يعقب صاحب جمهرة النسب بقوله : وهي طويلة وهي اشارة يمكن الانتفاع منها لأنها تقدم دليلاً على فقدان شعر الشاعر وطول نفسه وشدة صلته بالمرثى وأمور أخرى تغني دراسة الدكتور يوسف لو تأمل في هذا المصطلح حين يذكر .

٢ ـ في الصفحة نفسها التي ذكرها صاحب جمهرة النسب (٦٥) يقول : قال وأنشدني مصعب بن عثمان لاسماعيل بن يسار النّساء يرثي أبا بكر بن حمزة :

أحين بلغت ما كنا نُرَجّي وكنت على أنوف الكاشحينا

أبا بكر ثويت رهين رمس يخبّ بنعيك المتعجلونا

ويقول وهي طويلة : وقد أخلّ بها المجموع الشعري :

٣ ـ وفي جمهرة نسب قريش وفي الصفحة ٢٨٩ ـ ٢٩١ قصيدة قوامها سبعة عشر بيتا يرثي فيها الشاعر يحيى بن عروة بن الزبير وقد أنشدها مصعب بن عثمان وهي :

أَلا يا عَيْنُ فانهمِري بغَزْر وفِيضي عَبْرةً من غَيْرِ نَزْرِ

ولا تَعِدِي عَزَاءً بَعد يحيىَ فقد غُلِبَ العَزاءُ وعيلَ صَبْري

وَمَرزِئَةٍ كأنَّ الجوفَ مُنها ... بُعَيْد النَّومِ يُسْعَرُ حَرَّ جَمْرِ
على يَحْيى ، وأيُّ فتىً كيحْيى ... لعانٍ عائِلٍ غَلِقٍ بوتْرِ
وللخَصمِ الألدِّ اذا دَعاني ... ليأخذَ حَقَّ مَقْهُورٍ بقَسرِ
وللأضْياف إن طَرقُوا هُدُوّاً ... وللكَلِّ المُكِلِّ وكُلِّ سَفْرِ
إذا نزلَتْ بهم سَنَةٌ جَمَادٌ ... أَبِيُّ الدَّرِّ لم يُتكْسَعُ بغُبْرِ
هُنَالك كان غيثَ حَياً تَلاقَتْ ... يَدَاهُ في جَنَابٍ غيرِ وَعْرِ
وأَحْيا من مُخَبَّأَةٍ حَيَاءً ... وأَجرأُ من أَبى شِبْل هِزَبْرِ
هَريتِ الشِّدْق ريبالٍ إذا مَا ... عدَا لم تُنْهَ عَدْوَته بزجْرِ
تَدِينُ الجاذِياتُ له إذا مَا ... سمعنَ زئيرهُ في كُلِّ فَجْرِ
فإمّا يُمْس في جَدَثٍ ضَريحٍ ... بمُغْبرٍ من الأرواح قفْرِ
فقد يعْصَوصِبُ الجَادُون مِنْه ... بأَروَعَ ماجِدِ الأعراقِ غَمْرِ
إذا ما الضَّيفُ حَلَّ على ذَراهُ ... تلَقّاهُ بوَجْهٍ غير بَسْرِ
ندىً صافٍ يَبينُ العِتْقُ فيه ... يُبَيِّنْ قُبْلَ مَقْدَعةٍ ونُكْرِ
تُفَرَّجُ بالنَّدى الأبوابُ عنهُ ... ولا يكْتَنُ دُونَهُمُ بسِتْرِ
دَهَاني الحادثاتُ بهِ فأمْسَتْ ... عَلَيَّ هُمُومُها تَغْدُو وتَسْري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد أخلّ بها المجموع الشعري :

والسؤال بعد هذا هو كيف يتسنى لأخي الدكتور يوسف أن يعتمد على كتاب جمهرة النسب في مقطوعتين وتفوته المقطعات الأخرى :

في القطعة الثانية عشرة :

اعتمد أخي الدكتور يوسف على جمهرة نسب قريش وأخبارها ٢٧٩ - ٢٨١ .

كتاب نسب قريش الذي وردت فيه الأبيات ١ ، ٢ ، ٤ ، ٨ ، ١٠ .

والتعازي والمراثي حيث وردت فيه الأبيات ١ ، ٢ ، ٤ ، ٧ ، ١٠ ، ١٣ - ١٦ .

وهذا يعني ان أكمل نص مذكور في جمهرة نسب قريش . ولكن عندما ثبت النص لم يعتمد جمهرة نسب قريش وإنما وضعت الأبيات واختيرت النصوص دون قاعدة والدليل على ذلك . ان رواية البيت الثاني في جمهرة نسب قريش وردت على الوجه التالي :

زعمت انها هلاكي مع المال . . .

وثبت المحقق الكريم : زعمت أنها ملاكي . . .

ورواية الجمهرة أدق وأوفق .

وكذلك الأمر في الأبيات ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١٠ وكان المفروض أن تثبت رواية الجمهرة وتثبت الاختلافات بالنسبة لبقية المصادر لاعتبارين الأول قدم النص والثاني : وجودة مكتملاً وهما سببان موجبان كذلك وان معظم الاختلافات التي تثبت في بقية المصادر (عدا الجمهرة) كانت أضعف وأبعد عن الدقة .

التخريج

يلتزم المحققون بجملة قواعد تعينهم على متابعة الابيات وتكشف لهم عن التصحيف والتحريف الذي يعتري النصوص وتساعدهم على تخريج بعض الوجوه في التفسير وأمور أخرى تعطي النص حقه وتوفر له من المستلزمات ما تجعله أكثر وضوحاً . ومن أجل استكمال هذه المتابعة فقد اهتدى بعض المحققين إلى وضع ضوابط نافعة يمكن اعتمادها في أصول تثبيت النص وطريقة التخريج فكان الأولى أن يعتمد النص الكامل الذي يرد في المصادر أصلاً لأن هذا النص بصورته الكاملة يضيء الجوانب الأخرى للمصادر التي تستعين ببعض أبيات النص على الرغم من تأخر هذا المصدر فالنص الكامل الذي يذكره صاحب الخزانة يعتمد قبل النص المجتزأ الذي يرد في الشعر والشعراء على الرغم من تأخر الأول وتقدم الثاني لأن صاحب الخزانة يعتمد على ديوان كان بين يديه كما يذكر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في مصادره . فروايته أوثق ونصه أوفى وأكمل . . وهكذا أصبحت هذه القاعدة أساساً في التثبيت . ثم بدأ باعتماد المصادر الأخرى التي تتوالى على ذكر بقيته على وفق تسلسل رقمي معروف عند المحققين وفي ضوء هذه القاعدة تثبت مصادر التخريج على وفق تسلسل زمني يعطي العصر أهميته ويوضح الاختلاف ويحدد التاريخ الذي بدأ الاختلاف يداخل النص . وقد أصبحت هذه القواعد أصولاً عند طلبة الدراسات العليا ومن وطّن نفسه للعمل في هذا الميدان التراثي . ولم أجد أخي الدكتور يوسف قد سلك واحداً من هذه المسالك وهو يترك النصوص وتخريجاتها كما تأتي وقد أدّى هذا الاختلاط إلى عدم وجود قاعدة معتمدة في تسلسل ترتيب المصادر .

استدراك مصادر التخريج

حاولت أن أشير إلى مصدر واحد فقط وهو أقرب إلى كل المصادر لما يمكن أن يحتنجه من أبيات شعرية وهو كتاب المنازل والديار فقد وردت فيه الأبيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٩ ، ١٠ من القطعة (٢) في الصفحة ٣٥ . وفي رواية الأبيات اختلاف يمكن أن يصحح ما ورد في الأبيات المعتمدة ، ولعل رواية البيت التاسع وحده تكفي لهذا التصحيح . فقد وردت رواية هذا البيت في الديوان . .

صاح أبصرت أو سمعت براع ردّ في الضرع ماقرى في العلاب

ورواية المنازل :

. . . . . ردّ في الضرع ما مرى ، وهي أصوب .

أورد البحتري في حماسته ثماني قطعات نسبت ست منها إلى اسماعيل بن بشار واثنتان منهما نسبتا إلى اسماعيل بن بشار الكناني واعتمد المحقق على اجتهاد الأب لويس شيخو الذي اعتقد ان بشارا تصحيف ليسار فنسب القطع إلى اسماعيل بن يسار ، وجريا على هذه القاعدة أَلْحَقَ

المقطعتين اللتين وردتا في الحماسة والمنسوبتين إلى اسماعيل بن بشار الكناني إلى اسماعيل بن يسار . وفي هذه النسبة خطورة كبيرة لم يحاول أخي الدكتور أن يؤكدها أو يشير اليها في الدراسة أو يهتدي إلى بيت واحد ورد في هذه المقطعات منسوبا في أي مصدر إلى اسماعيل بن يسار . وكنت آمل أن يقف أخي الدكتور يوسف عندها وقفة المتأمل لدراستها دراسة تحليلية ومقارمة مفرداتها وصياغتها ودلالة معانيها وتراكيب جملها لعله يهتدي إلى ما يجد فيه وجها للمقارنة ليضع دليلا واحداً على الأقل بين أيدينا لنقتنع بهذه النسبة التي هي أقرب إلى الحدس منها إلى الحقيقة .

وإذا تجاوزت هذه المسألة فإن المحقق الكريم حاول أن يجمع بيتين ورداً متفرقين احدهما في الباب الثامن والثلاثين (فيما قيل في كراهة ودّ الملول) والآخر ورد في الباب الخامس والثلاثين والمائة (فيما قيل في الرخاء بعد الشدة) في مقطعة واحدة . وقال كان البيتان متفرقين في حماسة البحتري ، الأول ص ٧ والآخر ص ٢٢٥ ، والمعروف ان قواعد التحقيق لا تبيح مثل هذا الجمع لعدم وجودهما في نص وإنما يمكن اعطاؤهما أرقاماً متتالية . ويشار في الهامش إلى أن البيتين وردا متفرقين ويبدو أنهما من قصيدة واحدة لتشابههما في البحر والغرض والسياق ، ويؤكد على انهما ثبتا على هذه الهيئة التزاماً بالأمانة العلمية .

وكذلك صنع في القطعة الرابعة عشرة وذكر في الهامش انها متفرقة في حماسة البحتري والقطعة الثامنة عشرة ، وذكر في الهامش انها كانت متفرقة فجمعها . . وما يقال في القطعة الأولى يقال في هذه القطع . .

وربما ساور أخي الدكتور يوسف الشك في النسب فقال في القطعة الأولى قال في ترك المراد وفي التاسعة قال اسماعيل وفي الرابعة عشرة قال في من يريد له الخير ويريد لك الشر . والواقع ان الأبيات التي وردت تحت هذا الباب هي ثلاثة والأبيات العشرة وردت في الباب الحادي والخمسين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والمائة (فيما قيل في الندامة على شتم العشيرة ومجازاتها بالسوء وترك العفو عنها) والفرق بين البابين كبير . . ولو فصل بينهما وأشار إلى رأيه بأنهما من قطعة واحدة كان أكثر أمانة وأوثق رواية وأحكم من حيث أصول التحقيق . وكذلك القطعة الثامنة عشرة التي جمعت بين قطعتين وردتا تحت بابين إلا أن أخي الدكتور يوسف قال : قال في تقلب الدهر ، والواقع ان إحدى القطعتين وردت تحت الباب الرابع والثمانين (فيما قيل في انجاز الوعد وترك المطل) .

إن هذه الملاحظات التي آثرت تقديمها إلى أخي الدكتور يوسف بكار حملني عليها تقديري لجهوده في ميادين الأدب واعتزازي بما يقدم عليه في ميادين التحقيق وجمع الشعر . .

والله نسأل التوفيق والهداية .

والســـلام .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نحو معجم للخيل والخيالة*

للدكتور سلمان قطاية
باريس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جلّ من لا يخطىء ، وما أجمل أن يعترف الأنسان بخطئه . واستدراكا لما جاء في المقالة المذكورة أعلاه ، وبعد التفكير ، والاستشارة (وشاورهم في الأمر) ، والسؤال (وفوق كلّ ذي علم عليم) ، وجدت أنّ من الأفضل والأنسب أن تكون المصطلحات التالية كما يلي :

خائل (وج : خيل وخيول) هو اسم الجنس ، أي جنس الحيوان من وحيدات الظفر التي يركبها الانسان منذ أقدم العصور ، والدّهور .

حصان (ج : أحصنه) : الحيوان المعروف .

فحل : الحصان (أي الذكر) المكرّس للسفاد (وبالعاميّة : حصان تَشْبِيَةٍ)

فرس : أنثى الحصان ، ونكرّسها للأنثى جرياً على السنّة المحمّدية .

حِجْر : الفرس المكرّسة للإنجاب .

خيّال : (ج : خيّالة) من يركب الحصان ، ويزاول رياضة الفراسة .

---

* نشرت المقالة في العدد (٣٥) من مجلة مجمع اللغة العربية الاردني ، ص ٢٠١ .

فارس : (ج : فوارس) : المحارب القديم .

وهكذا ، نحصل على الجدول التالي ، بعد الترجمة الى ثلاث لغات أوروبيّة

عربيّة	فرنسيّة	انجليزيّة	ألمانيّة
خائل :	Eqqus	Eqqus	Eqqus
حصان :	Cheval	Horse	Pferd
فحـل :	Etalon	Stallion	Beschäder
فرس :	Jument	Mare	Stut
حجر :	Poulinière	Brood-Mare	Zuchstut
خصيّ :	Hongre	Gelding	Wallach

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأنتهز الفرصة لأتمّ بعض المصطلحات الأخرى ، ولأنشر قائمة بخلق الفرس .

ألمانية	أنجليزيّة	فرنسيّة	عربيّة
		Art Vétérinaire	بيطرة
		Art Vétérinaire équin	بيطرة خيّلية
			زردقة :
Beschlagschmied	Farrier	Maréchal-Ferrant	بيطار :
		Vétérinaire Equin	بيطريّ خيليّ :
			وصف الفرس ،
	Hippoloigy	Hippologie	أو خلق الفرس :
Vollblut	Pur-Bred Arab	Pur Sang Arabe	عربي ، أصيل ،
Arab Pferd	Arabian		حرّ ، عتيق :
		Guédish	برذون ، رمكة ،
			كديش :
Orientalische Pferd	Oriental Horse	Cheval Oriental	حصان شرقي :
Veredelte Ländische	Inproved Native	Cheval Indigéne	حصان محلّي هجين :
	Horse	Amélioné	
	Thoroubred	Pure-Sang	نقيّ الدّم :
Halbblut	Half- Bred	Demi-Sang	نصفيّ الدّم :
Abend ländische Pferd	Western Horse	Cheval Occidental,	حصان غربي :
Schritt Pferd	Cart- Horse	Cheval de Trait	حصان جرّ :
Reitpferd	Saddle- Horse	Cheval de Selle	حصان فراسة :
Varer tier	Sire	Sire, Le Pére	أب :

وأجدني مضطرّاً لشرح معاني هذه الكلمات :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فالبرذون : هو الحصان غير العربي ، وكان العرب يطلقونه على الخيول التي جاءت الى بلادهم مع الأقوام الغازية من الشرق ، فهي أذن الخيول التركمانيّة .

الحصان الشرقيّ : مصطلح استعمله الغربيون ، عندما عادوا بعد الحروب الصليبية ببعض الخيول العربية التي أسموها شرقيّة ، ولربّما كانت تركمانية أيضاً أو خليطاً من الأثنين .

الحصان الغربي : هي الخيول التي كانت بحوزة الغربيين عندما جاؤوا في الحروب الصليبية أو بعدها .

الحصان المحلّي الهجين : عمليّاً كلّ خيول العالم التي دخلها دم عربي أو غير عربي وهو نادر .

نقيّ الدمّ : هو الحصان الذي يُحصل عليه بمزاوجة عدد من الخيول بعضها مع بعض ، ثمّ تربّى بشكل تحتفظ بالصفات نفسها ، وكان أوّل من قام بهذه المحاولة بنجاح كبير الانجليز فحصلوا على حصانهم الشهير . لذا فإنّ هذا المصطلح يدلّ على الحصان الانجليزيّ ، وللدلالة على أنّه حصان عربي يجب إضافة كلمة العربي . والحقيقة أنّ الحصان النقيّ الدمّ فعلاً هو العربي .

نصفّي الدم : هو الحصان الذي ٥٠٪ من دمه من نوع والنصف الآخر من نوع آخر . كالانجليزيّ ـ العربي مثلا .

حصان الجرّ : هي الخيول الأوروبية قبل أن يتعرّف عليها الغربيون ، وهي تدعى أيضاً الثقيلة لأنّ الوزن الأدنى لها لا يقلّ عن ٦٠٠ كغم . ولها أعراق كثيرة جدّاً ، أشهرها وأجملها : البيرشيرون الأبيض اللون الكثيف والطويل الثنّة ، وهو الذي يجرّ عربة ملكة إنكلترا .

حصان فراسة : هو الحصان المكرّس للفراسة والرياضة . ومن أنواعه المستحدثة بخلط دم عدّة أعراق من الخيل ، حصان الفراسة الفرنسيّ .

أبّ : يطلق على الفحل المكرّس للسفاد والمشهور بأحفاده المسجّلة كلّها في سجلّات أنساب الخيل ويطلق على كلّ الفحول من كلّ الأعراق .

أمّا الزردقة : فهو العلم بتربية الحيوانات والنباتات ، ولا مقابل لهذه الكلمة في اللغات الأخرى .

Francais	English	Deutsh	عربيـة*
1- Gorge	Throat	Die Kehle	مذبح ، منحر
2- Gouttière de la Jugulaire	Jugular Groove		أخدع ، ميزابة الوداجيّ
3- Epaule	Shoulder	Die Schulter	كتف
4- Masse des Pectoraux Chest	Chest	Die Brust	فهدة
5- Bras	Arm	Der Oberarm	عضد
6- Avant-bras	Forarm	Das Röhrbein	ساعد
7- Genou	Knee	Das Voeder Füss	ركبة
8- Boulet	Fetlock	Wurzel gelenk Die Fessel	وظيف
9- Tendon	Tendon	Die Sehne	وتر
10- Fanon	Father, Hairy heel	Der Kötenbehang	ثنّة
11- Chataigne	Chestnut, Castor	Die Kastanie	كستنا ، وسمة
12- Plie du Genou			ثنية الركبة
13- Paturon	Pastern	Die Fessel	رسغ
14- Pied, Sabot	Foot, hoof	Der fuss, Der Huf	قدم ، حافر
15- Côtes	Ribs	Der Rippen	ضلع
16- Abdomen, Ventre	Belly	Der Bauch	بطن

* انظر صورة الحصان المرفقة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ARCHIVE

Francais	English	Deutsh	عربـــية
17- Flanc	Flank	Die Flanke	خاصرة
18- Urethère	Urethra	Der Urethra	احليل
19- Pénis, Verge	Penis	Die Schlauch	جردان
20- Fourreau	Sheath	Das Geschlechts Organ	قنَب
21- Scrotum, Bourses Scrotum	Scrotum	Der Hodensack	صفن
22- Grasset	Stifle	Das Knie	ثفنة
23- Jarret	Hock	Das Sprunggelenk	عرقوب ، شظيّة
24- Tendon du Jarret	Hock's tendon	Die Sprungglenks sehne	وتر العرقوب
25- Cuisse	Thigh	Der Oberschenkel	فخـذ
26- Fesse	Buttock	Die Hinterbarcke	الـية
27- Queue	Tail	Der Schweif	ذيل ، ذنب
28- Coccyx	Coccyx	Die Schweifwuzil	عصعص
29- Racine de la Queue	Tail's racin	Die Schweifrühe	عسيب
30- Croupe	Croup	Die Kruppe	كـفل
31- Ilion	Ilium	Der Hufthocker	عـجز
32- Ischion	Ischia		ورك
33- Lombes, Reins	Loins	Die Lende, Die Niere	قـطاة
34- Siège, Dos	Back	Der Rüken	صهوة ، ظهر
35- Garrot	Withers	Der Widerrist	غارب ، كاهل ،
36- Crinière	Mane	Die Mähne	عـرف
37- Encolure	Neck	Der Hals	عـنق
38- Interars			جـؤجـؤ
39- Région de la Veine de l'Eperon			مركل ، محزم ، منقب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

Francais	English	Deutsh	عربـــية
1- Organe Féminin Vulve	SexuelUdder, Vulva	Die Scheide	ظبية ، فرج
2- Anus	Anus	Der After	شرج
3- Commissure	Commisur		ملتقى
4- Clitoris	Clitoris	Clitoris	خاتم ، بظر
5- Vagin	Vagina	Die Scheide	مهبل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com